التراث الشعبي

مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والفنون - بغداد
العدد الخامس - السنة التاسعة ١٩٧٨



GIFTS OF 2000

INSTITUTO EGIPCIO DE
ESTUDIOS ISLAMICOS
MADRID - SPAIN

التراث الشعبي

مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والفنون
في الجمهورية العراقية

العدد الخامس ــ السنة التاسعة

١٩٧٨

رئيس التحرير
لطفي الخوري

سكرتير التحرير
سعدي يوسف

دار الحرية للطباعة ــ بغداد
١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م

● **الغلاف الامامي :**

بائعة الرّوبة ــ لوحة للفنان ليث الخفاف .

● **الغلاف الخلفي :**

نواعير حديثــة الفرات

عنــوان المجلــة :

المركــز الفولكلوري

عمارة المفــرق ــ الكرادة الشــرقية

بغداد ــ الجمهورية العراقية

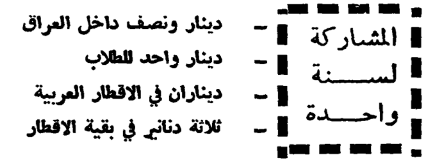
هاتف : ٩٢٤٠٢

في هذا العدد **صفحة**

تعنون كافة المقالات والرسائل باسم رئيس التحريـر
لا تعاد المقـالات لاصحابها سواء نشـرت ام لم تنشـر

- يرسل بدل المشاركة بحوالة بريديـة او مصـرفية وترفض المبالـغ النقدية المظروفة رفضا باتا .

- لا تقبل المشاركة لاقل من سنة .



الحبر وأدوات الكتابة في التراث العربي

سهيل قاشا

تمهيد

من منا لم يخلب لبه لمنظر الخطوط وزخرفتها واشكالها وتنميقها وهو يقلب بين يديه صفحات مخطوطة اثرية جميلة طال شوقه اليها وهواه الى لقائها ؟

من منا لا يدين للحبر والمداد والقلم والورق بتعلمه وعلمه وثقافته ويجعل الحياة نضرة متجددة الرونق والبهاء امام عينيه ؟

ومن منا لايؤدي الحبر والمداد دورا هاما في كل ساعة من ساعات جهده في جده ولهوه وابتغائه الرزق وانصرافه الى مايجدد نشاطه ويشحذ همته ؟

ان قصة الحبر والمداد والورق هي في الواقع قصة الحضارات القديمة والحديثة ، فكل ماتركه الاقدمون من ثقافات وآثار وكل مانشاهده وماله وجود في هذا العالم ينحصر فيما سطر على الورق او على المواد الاخرى ، ولم يكذب قط القائل الذي قال ان الاقاويل والشائعات اليومية التي تسري بيننا لم تعد هي تلك التي يتناقلها الناس حين يلتقون وجها لوجه عند مفارق الطرق وعلى مائدة الطعام او في الاسواق ، بل ان بضع عشرات من الناس يكتبون في الصحف والمجلات والكتب بواسطة المداد والحبر والورق .

وجميع اوجه النشاط الانساني لها صلة مباشرة بالحبر والمداد والورق ، كما ان الطباعة اليوم في مقدمة الاعمال التي يستخدم فيها الحبر والورق ، وكذلك فان الاعمال التي تجري في المكاتب تتصل مباشرة بالحبر : مثل المراجعات والمحاسبات وعرائض الدعاوى ، ومحاضر المحاكمات والدروس والمحاضرات في المدارس والمعاهد والكليات والنشرات والاعلانات والمجلات والصحف وغير ذلك مما لاحصر له .

ولقدحرص الانسان منذ اقدم العصور على ان يسجل مجالات نشاطه واخباره الا ان مواد صنع الحبر والمداد لم يهتد اليها الا قبل مايقارب الالفين عام او اكثر اذ كان يدون عصورئذ على الصخر والحجر باقلام حديدية ، وعلى الطين باقلام خشبية الى حين مااهتدى الى الورق فراح يكتب عليها بالريشة والقصبة الخاصتين بالحبر والمداد والورق .

وليس من شك ان اهتمام العرب بتأليف الكتب وترجمتها وجمعها كان داعيا الى اهتمامهم الشديد بالوراقة والنساخة والضبط والتصوير والتنميق والتجليد واتضح ذلك باجلى مظاهره عندما استفحل ملك العرب واوغلوا في الحضارة وتلالأ عصرهم الذهبي بانوار المعارف . واشتهر الخلفاء والوزراء في التنافس وبذل المال لاتقان هذه الفنون وتعزيزها ومساعدة القائمين بها وعلى سبيل المثال نروي ان وزير الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ) كان ينفق ثلاثين الف دينارا كل شهر على ترجمة الكتب وتجويد نسخها .

والذي حملنا لتسطير هذا البحث هو توضيح دور العرب العظيم في نشر صناعة الحبر والورق وادوات الكتابة في التراث العربي ، تلك الادوت التي حافظت على تراث الانسانية القديم ، ولولاهم لاندثر هذا التراث وانمحت آثاره الى غير رجعة .

مادة الحبر والمداد(١)

من المواد الاساسية التي تستعمل في صناعة الحبر والمـــداد ، العفص(٢) والزاج(٣) والصمغ وماشابهها من التـي لم تكن تحتاج الى تهيئة وتدبير كبيرين .

اما التي كانت تحتاج الى كبير علاج وتحضير فهي الدخـان .

يقول ابو القاسم خلوف بن شعبة الكاتب : « ويتوخى في الدخان ان يكون من شيء له دهنية ، ولايكون من دخان شيء يابس في الاصل ، لان الدخان كله شيء مثله وراجع اليه (٤) .. »

ويخبرنا احمد بن يوسف الكاتب بقوله : « ... كان يأتينا رجل في ايام خمارويه(٥) بمداد لم أر انعم منه ولا اشد سوادا منه ، فسألته من اي شيء استخرجته ؟ فكتم عني . ثم تلطفت به بعد ذلك ، فقال لي : من دهن بزر الفجل والكتان ، اضع دهن ذلك في مسارج واوقدها ثم اجعل عليها كأسا حتى اذا نفد الدهن رفعت الطاس وجمعت مافيها بماء الآس والصمغ العربي ،وانما جمعه بماء الاس ليكون سواده مائلا الى الخضرة ، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير(٦) ... »

ويقول صاحب الحلية : « ... وان شئت اخذت من دخان الحمص وشبهه ، وتلقى عليه ماء ، وتأخذ مايعلو فوقه ، وتجمعه بماء الاس ، والعسل ، والكافور ، والصمغ العربي، والملح ، وتمده وتقطعه شوابير، والدخان الاول اجود (٧).. » .

صناعة الحبر والمداد

كان الاولون يكتبون(٨) بمادة المداد وخاصة اهل صنعة الكتابة والاستنساخ .

قال الوزير ابو علي ابن مقلة(٩) : « ... واجود المداد ماتخذ من سخام النفط ، وذلك ان يؤخذ منه ثلاثة ارطال فيجاد نخله وتنسفيته، ثم يلقى في طنجير(١٠) ويصب عليه من الماء ثلاثة ارطال ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة عشر درهما ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ، ومن العفص عشرة دراهم ، ولايزال بساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين ، ثم يترك في اناء ويرفع الى وقت الحاجـة(١١) » .

وماذكره فيه اشارة الى انه لا ينحصر في سخام النفط(١١) بل يكون من دخان غيره ايضا كما تقدم . نعم ذكره صاحب الحلية انه يحتاج مع ذلك الى الكافور(١٣) لتطيب رائحته والصبر(١٤) ليمنع من وقوع الذباب عليه . وقيل ان الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب .

اما الحبر فيصنف الى صنفين :

الاول مايناسب الكاغد(١٥) اي الورق : وهو حبر الدخان ، ومن صفاته انه يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدق جريشا ، وينقع في ستة ارطال ماء مع قليل من الاس(١٦) (وهو المرسين) اسبوعا ، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف ، او الثلثين ، ثم يصفى من مئزر(١٧) ويترك ثلاثة ايام ، ثم يصفى ثانيا ، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء اوقية من الصمغ العربي : ومن الزاج القبرسي كذلك ، ثم يضاف اليه من الدخان المتقدم ذكره مايكفيه من الحلاكة(١٨) . ولابد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمنع بالصبر وقوع الذباب فيه ، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ، ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر ثلث اوقية ، بعد ان يسحق الدخان بكلوة كفك(١٩) بالسكر النبات(٢٠) والزعفران الشعر(٢١) والزنجار(٢٢) الى ان تجيد سحقه ولايصحن في صلابة ولا هاون لئلا يفسد .

والصنف الثاني وهو مايناسب الرق ، ويسمى الحبر الراس ولا دخان فيه ولذلك يكون بصاصا براقا وبه اضرار في النظر اليه من جهة بريقه ويفسد الكاغد على طول .

صفة هذا الحبر انه يؤخذ من العفص الشامي رطل واحد فيجرش ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة ارطال ويجعل في طنجير ، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج ، وعلامة نضجه ان تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصاصة . ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث اواق ، ومن الزاج اوقية ، ثم يصفى ويودع في اناء جديد ويستعمل عند الحاجة(٢٣) .

الحبر السفري :

يستعمل هذا النوع في الاسفار والرحلات حيث يكون من السهل اصطحابه وتهيئته دون ان يفسد او يترك آثارا فيصنع على الفطرة او مايسمى على البارد من غير نار ، يؤخذ العفص ، فيجرش جرشا جيدا ويسحق لكل اوقية عفص درهم واحد من الزاج ، ودرهم من الصمغ العربي ويلقى عليه ويرفع الى وقت الحاجة ، فاذا احتاج اليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعمل للكتابة(٢٤) .

المداد والحبر الملون

ان هذا النوع من المداد والحبر كان يستعمل في كتابة فواتح الكلام: من الابواب ، والفصول والابتداءات ونحوها ، ويكتب به الطغراوات(٢٥) ورسائل الملوك والامراء والاسماء الجليلة ، وكان يستعمل على اربعة اشكال :

الاول الذهب :

وطريقة صنعه ، ان يحل ورق الذهب ، اذ يؤخذ ويحلل ورق الذهب هذا في اناء صيني او نحوه حتى يضمحل جرمه منه ، ثم يصب عليه الماء الصافي النقي ويغسل من جوانب الماء حتى يمتزج الماء والشراب ويترك ساعة حتى يرسب الذهب ، ثم يصفى الماء عنه ويؤخذ مارسب في الاناء فيجعل في قنينة زجاجية او دواة ضيقة الاسفل ويجعل منه القليل من الليقة اوصوفة الدواة ، والنزر اليسير من الزعفران بحيث لا يخرجه عن لون الذهب ، وقليل من ماء الصمغ المحلول ويكتب به ، فاذا جف صقله بمصقلة من جزع حتى يأخذ حده ثم يزمك او يملأ من جوانب الحرف(٢٦) .

الثاني اللازورد(٢٧) :

وانواعه كثيرة واجودها المعدني ، اما الانواع الاخرى فلا تناسب الكتابة وانما يستعمل في الدهانات ونحوها .

وطريقة الكتابة به او صنعه ان يذاب بالماء ، ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربي ، ويجعل دواة ــ كدواة الذهب ــ وكلما رسب حرك بالقلم ولا يكثر به الصمغ كي لايسود ويفسد .

الثالث : الزنجفر(٢٨) :

واجوده المغربي ، وطريقة صنعه ، ان يسحق بالماء حتى ينعم ، واذا سحق بماء الرمان الحامض فهو احسن ، يضاف اليه ماء الصمغ ، ثم يلاق بصوفة الدواة كما يدق الحبر ويجعل في دواة ويكتب به .

الرابع المغرة العراقية(٢٩) :

وهي مايكتب به نفائس الكتب ، ربما كتب بها الملوك والاعيان ، وطريقة صنعه كطريقة صنع مداد الزنجفر السابقة الذكر .

ادوات الكتابــة

بعد ان تكلمنا عن الحبر والمداد وهما العمود الفقري للكتابة ، ولايمكن الاستغناء عنهما بأي حال من الاحوال ، كان هناك ادوات تلازم الكاتب والناسخ في حله وترحاله يستعملها في تنميق خطه وزخرفة صحائفه ورسم اشكاله في المخطوطات التي يؤلفها او يستنسخها فرأيت من اللازم ان نتكلم عنها ولو باقتصاب ليقف القارىء الكريم على ماكان يعانيه المؤلف والكاتب ايامئذ ، واول هذه الادوات هي الورق ، فالحبر والورق صنوان لا يفترقان كل منهما هو ظل للاخر ولاكتابة اذا فقد احدهما .

جاء في القلقشندي (٣٠) اسماء ادوات الكتابة وهي :

القلم والدواة والحبر والليقة والسكين والمقط والمسن والمقلمة والملواق والمرملة او المتربة والرمل والمنشاة والمنفذ والملزمة والمفرشــة والمسحة والمسقاة والمسطرة والمصقلة .

اولا : الورق :

لا اود الدخول في تاريخ صناعة الورق واول ظهوره ، انما اقتصر على ما اخبرنا به المؤرخون العرب القائلون ان العرب نقلوا صناعة الورق الى سمرقند(٣١) كالقزويني(٣٢) والثعالبي(٣٣) اذ يذكران كيف ان صناعة

الورق نمت وازدهرت حتى اصبحت بعد ذلك تجارة رائجة لاهالي تلك المدينة .

ويقول ابن النديم[٣٤] في الفهرست : « اما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ، ويقال انه حدث في ايام بني امية ، وقيل في ايام الدولة العباسية، وقيل انه قديم العمل ، وقيل انه حديث ، وقيل ان صناعا من الصين عملوه بخراسان على امثال الورق الصيني » .

ويقول الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب :«... واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند ، صنعه هناك اسرى من الصين، اسرهم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤هـ فاتخذوا له من خرق الكتان والقنب على ماكان جاريا في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ومنها دخل الى اوربا واشتهر...[٣٥] » .

وقامت الدولة العباسية (٧٥٠-١٢٥٨م) وصناعة الورق (الكواغيد) مزدهرة في سمرقند ، وكان التجار ينقلونه الى بغداد والى مختلف المدن الاسلامية فيتهافت عليه رجال الدواوين والعلماء والنساخ والطلاب وكل صاحب قلم ، وراجت كواغيد سمرقند رواجا عظيما في الدولة الاسلامية وكما يقول الثعالبي انها عطلت قراطيس[٣٦] مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها .

ولما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة ادرك اهمية ورق سمرقند وكثرة الحاجة اليه في مختلف الدواوين والمعاهد العلمية وراى تهافت العلماء والنساخ والتجار وغيرهم عليه ، فأمر بالتوسع في صناعة الورق تمشيا مع سياسته الاقتصادية وذلكحتى يستغنى عنالبردي المصري[٣٧] بل اصدر امرا يحرم استخدام البردي لارتفاع ثمنه مطالب باستخدام ورق سمرقند الرخيص .

ومن الطريف ان العرب اصطلحوا على ابعاد قياسية للورق يحرصون عليها ويخصصون كلا منها لنوع من الكتابات ويختصون به طائفة دون طائفة ، وكانت الورقة الكاملة تسمى (الطومار)[٣٨] فكان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، والى الامراء من نصف طومار ، والى العمال والكتاب من ثلث طومار ، والى التجار واشباههم من ربع طومار ، والى الحساب والمساح من سدس طومار .

ولقد خصص القلقشندي فصلا من كتابه « صبح الاعشى في صناعة الانشا » للحديث عن مقادير الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ، فبين مقادير قطع الورق في الزمن القديم ومقاديره في زمانه وبوب مقادير قطع الورق المستعمل في زمانه الى ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى في مقادير الورق المستعمل بديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية . والمجموعة الثانية في مقادير الورق المستعمل بدواوين الانشاء بالممالك الشامية، دمشق وحلب وطرابلس وحماه وصفد والكرك في المكاتبات والولايات الصادرة عن النواب بالممالك . والمجموعة الثالثة في مقادير قطع الورق الذي تجري فيه مكاتبات اعيان الدول من الامراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية والبلاد الشامية .

ثم يختتم القلقشندي حديثه عن مقادير قطع الورق بقوله : « . . . هذه مقادير قطع الورق بالديار المصرية والشامية ، اما غير مملكة الديار المصرية من الممالك فالحال فيها يختلف في مقادير الورق المستعمل بدواوينها ، فاما بلاد المشرق فعلى نحو المقادير المتقدمة ، واما بلاد المغرب والسودان وبلاد الفرنج فعادة كتابتهم في طومار واحد يزيد طوله عن عرضه قليلا ما بين صغير وكبير ما يقتضيه حال المكتوب(٣٩) . » .

وكان يستعمل بديوان الانشاء ثلاثة انواع من الورق :

الورق البغدادي : وكان اجود هذه الانواع ، واكثرها اتساعا ، وقد خصص لكتابة المصاحف وعهود الخلفاء وبيعتهم ومكاتبة الملوك . سمي بذلك لانه كان يجلب من بغداد .

الورق الشامي : وهو على انواع منها الحموي وقد عرف بذلك لانه كان يجلب من حماة ثم ينقل الى دمشق ، ومنها الورق الشامي المشهور الذي كان يستعمل بدواوين الانشاء في اليمن والحجاز وبلاد الروم ، ولايقدم كاتب السر على استعمال هذا النوع من الورق الا بأذن خاص ، واخر انواع الورق الشامي هو ورق الطير ويقال له ورق البطائق وكان رقيقا جدا بحيث يمكن وضعه تحت اجنحة حمام الزاجل .

واخيرا الورق المصري ، ومنه الورق المنصوري ، ويعتبر اوفر الورق قطعا واعظمه حجما(٤٠) .

ومن مشاهير الوراقين ابو محمد البكري الشنتويني الوراق المتوفى سنة٥١٧هـ كامن شاعرا مفلقا مليح الكتابة قليل الخط نسخ الكثير بالاجرة ومن شعره هذان البيتان نظمهما في حرفته(٤١) :

اما الوراقة فهي انكد حرفة
اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب ابرة
تكسو العراة وجسمها عريان

ولله در الشاعر سراج الدين الوراق اجاد في وصف صناعته بهذين البيتين اذ قال(٤٢) :

ياخجلتي وصحائفي قد سودت
وصحائف الـبرار في الاشراق
وموبخ لي في انقيامة قائل
اكذا تكون صحائف الوراق

ومن لطيف مانظمه لسان الدين الخطيب عن براعة الوراق قوله(٤٣):

يمضي الزمان وكل فان ذاهب	**الا جميل الذكر فهو الباقي**
لم يبق من ايوان كسرى بعدذا	**ك الحفل الا الذكر في الاوراق**
هل كان للسفاح والمنصور والمـ	**ـهدي من ذكر على الاطلاق**
اوللرشيد وللامين وصنوه	**لولا شباة براعة الوراق**

ثانيا ـ الرق(٤٤) :

والرق هو الاداة الثانية من ادوات الكتابة ، وكان يصنع من جلود الضان والعجول والماعز لتكون مادة للكتابة على نطاق واسع ، ولقد كانت الجلود تستعمل للكتابة في مختلف البلدان منذ القديم ، وكان الجلد يغسل ثم يدفن في حجر الطباشير لتخلص مما هو عالق به من شحم وقذارة وبعد ذلك يبسط على اطار ويترك ليجف ، ثم تحلق الشعيرات بواسطة السكاكين ويصقل الجلد للحصول على سطح بالغ الملاسة يصلح تماما لاغراض الكتابة .

وكانت تستعمل في الاصل لكتابة الوثائق الطويلة قطع مستطيلة من الرق تخاط معا على صورة شرائط طويلة يمكن لفها بهيئة اسطوانية ثم استخدم اسلوب آخر وهو طي قطعة مستطيلة كبيرة على مقاسات مختلفة للصفحات ، ثم تجليد الرقوق المطوية على هيئة كتاب .

ثالثا القلم والريشة :

استعمل الانسان القلم الحديدي المادة والمدبب الراس او مثلثه عندما كان يحفر كتاباته على الحجر والصخور ، وقد استعمل ايضا القلم الخشبي او المصنوع من العضام او العاج او ايةمادة صلبة اخرى عندماكان ينقش على الالواح الطينية الطرية .

ولكنه باكتشافه الرق والورق راح الكاتب يستنبط اقلاما دقيقة الصنع من القصب ، ذات رؤوس معينة يستخدمها حسبما يرغب في تصوير الحرف . واحيانا اخرى استعمل ريشة طير النعام او اية ريشة من اي طير نقط تكون قوية وذات راس صالح للكتابة ، ومن هنا اطلق على اداة الكتابة الريشة، وقد كان الكتاب يلونون نهايات الريشة ويحفظونها في مكان امين .

وطريقة الكتابة بهذه الريشة او القصبة بان يغمس الراس في الدواة وبعده يكتب بما حمله من مداد ، الى ان اكتشف القلم الحالي الذي بين ايدينا بانواعه واشكاله .

وفي « صبح الاعشى » للقلقشندي فصل عن القلم وصفاته ومساحته وطول الاقلام وغلظها ، وبري القلم مع معرفة محل البراية من القلم وما قاله العرب بهذا القلم ومكانته في التراث نورد هنا بعضا منها لاعطاء الموضوع حقه من البحث التراثي .

ان القلم على ما أورد القلقشندي في صفته يقول : قال ابراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط : ليكن قلمك صلبا بين الدقة والغلظ، ولا تبره عند عقدة فانه فيه تعقيد الامور . ولا تكتب بقلم ملتوي ، ولاذي شق غير مستوي . وان اعوزك البحري والفارسي واضطررت الى الاقلام النبطية فاختر منها ما يميل الى السمرة(٤٥) .

وقال ابراهيم بن محمد الشيباني :ينبغي للكاتب ان يتخير من انابيب القصب اقله عقدة ، واكثفه لحما ، واصلبه قشرا ، واعدله استواء .

وقال العتابي : سألني الاصمعي يوما بدار الرشيد : اي الانابيب للكتابة اصلح وعليها اصبر ، فقلت : مانشف بالهجير ماؤه ، وسره من تلويحه غشاؤه :من التبرية القشور ،الدرية الظهور ،الفضية الكسور(٤٦) .

اما عن مساحة الاقلام وطولها وغلظها فقد ورد لدى القلقشندي في كتابه «صبح الاعشى» كلاما طويلا نوجزه هنا بالقول :

قال ابن مقله : خير الاقلام ما كان طوله من ستة عشر اصبعا الى اثني عشر وامتلاؤه مابين غلظ السبابة الى الخنصر . وهذا وصف جامع لسائر انواع الاقلام على اختلافها ... وقال في موضع آخر : احسن قدود القلم ان لا يتجاوز به الشبر باكثر من جلفته . ويشهد له قول الشاعر :

فتى لو حوى الدنيا لاصبح عاريا — من المال معتاضا ثيابا من الشكر
له ترجمان اخرس اللفظ صامت — على قاب شبر بل يزيد على الشبر

وقال الشيخ عماد الدين الشيرازي : احمد الاقلام ماتوسطت حالاته في الطول والقصر والغلظ والدقة فان الدقيق الضئيل تجتمع عليه الانامل فيبقى مائلا الى مابين الثلث والغليظ المفرط لاتحمله انامل.

وقال في الحلية : اذا كانت الصحيفة لينة ، ينبغي ان يكون القلم لين الانبوب ، وفي لحمه فضل ، وفي قشره صلابة ، وان كانت صلبة كان يابس الانبوب صلبه ، ناقص الشحم ، لان حاجته الى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة اكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكفي في الصحيفة الصلبة ، ماوصل اليها في القلم الصلب الخالي من المداد .

كذلك تكلم القلقشندي عن بري القلم فجاء في كتابه المذكور : قال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب الى خلال ، منها جودة بري القلم ، واطالة جلفته ، وتحريف قطته ، وحسن التأتي لامتطاء الانامل ، وارسال المدة بعد اشباع الحروف والتحرز عند فراغها من الكشوف ، وترك الشكل على الخطأ والاعجام على التصحيف .

ومن كلام المقر العلائي ابن فضل‌الله : من لم يحسن الاستمداد وبري القلم والقط وامساك الطومار ، وقسمة حركة اليد حال الكتابة فليس هو من الكتابة في شيء .

ويحكى ان الضحاك كان اذا اراد ان يبري قلما توارى بحيث لايراه احد ويقول : الخط كله القلم . وكان الانصاري اذا اراد ان يبري فعل ذلك .

راى ابراهيم بن المحبس رجلا ياخذ على جارية قلم الثلث فقال اعلمتها البراية ؟ قال : لا ، قال : كيف تحسن ان تكتب بمالا تحسن برايته ؟ تعليم البراية اكبر من تعليم الخط .

اما عن معرفة محل البراية من القلم فيقول القلقشندي ، قال ابراهيم بن محمد الشيباني :يجب ان يكون البري من جهة نبات القصبة يعني من اعلاها اذا كانت قائمة على اصلها ، فان محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس والى هذا المعنى اشار ابو تمام الطائي :

اذا استغزر الذهن الجليّ واقبلت
اعاليه في القرطاس وهي اسافلُ

وقال ابو القاسم : اذا اخذ القلم ليبريه فلا يخلو من استقامة في البنية واعوجاج في الخلقة ،فان كان مستويا فالبرية من راسه ،وهو حيث

استدق ، وان كان معوجا ودعت الضرورة اليه ، فالبرية من اسفله لان اسفله اقل التواء من اعلاه .

قال ابن البربري : اذا بدات بالبراية فامسك السكين باليد اليمنى والانبوبة باليسرى وضع ابهامك اليمنى على قفا السكين ثم اعتمد على الانبوبة اعتمادا رفيقا .

وقال العتابي : سألني الاصمعي يوما بدار الرشيد اي نوع من البري اصوب واكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطة التي عن يمين سنها برية تأمن معها الحجة عند المدة والمطة ، الهواء في شقها فتيق والريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق(٤٧) .

وانالبري يشتمل على معان : الاول في صفته ومقداره في الطول والتقعير : قال الوزير ابن مقله : ويجب ان يكون في القلم الصلب اكثر تقعيرا ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . والى ذلك اشار الشيخ علاء الدين السامرائي :

وطولهــا كعقـــدة الابهـام ولا اعلـى ولا ادنـى يكـون ارذلا

وقد قال ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب : اطل خرطوم قلمك فقيل له اله خرطوم قال : نعم وانشد

كأن انوف الطـير في عرصاتها خراطيم اقلام تخطـ وتعجِمُ

وقد قال الوزير ابو علي بن مقلة : لو كان القلم غير مشقوق مـــا استمرت به الانامل ولا اتصل الخط للكاتب ولكثرة الاستمداد وعدم الشق ولمال المداد الى احد جنبي القلم ، علم قدر فتل الكاتب له . ويختلف ذلك بحسب القلم في صلابته ورخاوته ، فاما المعتدل فيجب ان يكون شقه الى مقدار نصف الفتحة او ثلثيها :

وقد نظم الشيخ علاء الدين السامرائي(٤٨) في ارجوزته قائلا :

واعلم بان الشق ايضا يختلفْ بحسم الاقلام ، فافهمْ ما اصفْ
فان يكن معتدلاً شــقٌ الـى مقدار ثلث الجلفة انقل واقبـلا
والرخو للنصف اوالثلثـين زد والصلب بالفتحة الحق تستفد
وربمــا زادوا علــى ذاك اذا افرط في الصلابة اعرف ذا وذا

اما عن مكانه القلم في التراث الادبي العربي فقد نال حظا وافرا ، حيث ان القلم هو اشرف آلات الكتابة واعلاها رتبة اذ هو المباشر للكتابة دون غيره ، لان غيره من آلات الكتابة يعد بمثابة الاعوان والخدم له .

وحسب القلم فخرا ان القرآن الكريم اورد ذكره غير مرة كقوله :
«ن والقلم وما يسطرون(٤٩) » . وقوله «اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم(٥٠) » .

ولله ابو الفتح البستي حيث يقول :(٥١)

اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم … وعدّوه ممايكسب المجد والكرمْ
كفى قلم الكتّاب عزّا ورفعة … مدى الدهر ان الله اقسم بالقلمْ

وامية بن عبدالعزيز بن ابي الصلب فيقول :(٥٢)

وما مقلم اظفاري سوى قلمي … وماكتائب اعدائي سوى كتبي

ومن ابدع ما نظم في الكتب والقلم ايضا قول احمد بن رضي المالقي اذ يقول :(٥٣)

ليس المدامة مما استريح لها … ولا منادمة الاوتار والنغمِ
وانما لذتي كتب اطالعها … وخادمي ابدا في خلوتي قلمي

واثبت ياقوت الرومي في مقدمة كتابه «معجم الادباء» يصف ماسطره فيه من حكم وامثال واخبار واشعار ونثر واثار وغيرها فتطرق لذكر القرطاس والقلم بقوله :(٥٤)

من كل معنى يكاد الموت يفهمه
حسنا وبعيده القرطاس والقلم

ووصف ابن سناء الملك قلمه بهذين البيتين قائلا (٥٥)

ولي قلم في انملي ان هززته … فما ضرني الا اهزّ المهنّدا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره … فان صليل المشرفي له صدى

وانشد بعضهم ملغزا في قلم قال :(٥٦)

وساكن رمس طعمه عنه رأسه … اذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشي صامتا متكلما … ويرجع من في القبر منه مقوّما
وليس بحيٍّ يستحق كرامة … وليس بميت يستحق الترحما

وانشد ابو هلال العسكري صاحب الصناعتين يشكو حالته ويلعن القرطاس والحبر والقلم بهذه الابيات :(٥٧)

اذا كان مالي مال من يلقط العجمْ … وحالي فيكم حال من حاك او حجمْ
فاين انتفاعي بالاصالة والحجى … وما ربحت كفي على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي … فلا يلعن القرطاس والحبر والقلمْ

وقال الشاعر ابو تمام الطائي :(٥٨)

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت
له رقـــاب وذلت خوفـــه الامم
فالموت والموت لاشـــيء يغـــالبه
مازال يتبـع مايجـري به القلـم
كذا قضى اللـــه للاقـلام مذ بريت
ان السـيوف لهـا مذارهفت خدم

ويقول ابي هلال العسكري :(٥٩)

لـك القـلم الجـاري ببؤس وانعـم
فمنهـــا بـــواد ترتجى وعوائـــد
اذا مـلأ القرطاس سود ســـطوره
فتلـــك اسود تتقـى وأســـاود
وتلـك جنان تجتنـى ثمراتهـــــا
ويلقـــاك من انفاســهن بـــوارد
وهــن برود مالهـــن مناســـج
وهن عقـــود مالهـــن معـــاقد
وهــن حيـــاة للولـــي رضيـــة
وهــن حتـــوف للعدو رواصـــد

وقال ابو تمــام ايضا :

لـــكالقلـم الاعلـى الذي بشباتـه
تصـاب من الامـر الكلى والمفاصل
لعـــاب الافاعي القاتـلات لعابـــه
واري الجنـــى اشتارته ايد عواسل
لـه ريقـه طـل ولكـــن وقعهـــا
بآثاره في الشـــرق والغرب وابـل
فصيـــح اذا استنطقته وهو راكـب
واعجـم ان خاطبتــه وهو راجـل
اذا ماامتطى الخمس اللطاف وافرغت
عليــه شــعاب الفكر وهـي حوافل
اطاعته اطراف القنـــا وتقوضـــت
لنجواه تقريض الخيـام الجحافـل
اذا استغزر الذهن الجلي واقبلـت
اعاليــه في القرطاس وهي اسـافل

وقد رفـدته الخنصران وسـدّدت
ثـلاث نواحيـه الثـلاث الانامـلُ
رايـت جليلاً شـأنه وهو مرهف
ضنـا وسمينا خطبـه وهو ناحـلُ

وقول ابي هلال العسكري (٦٠)

انظـر الى قلـم ينكس راسـه
ليضـم بـين موصّـل ومفصّـل
تنظر الـى مخـلاب ليـث ضيغم
وغـرار مسـنون المضارب مفِصَل
يبـدو لنـاظره بلـون اصفـر
ومـدامع سـود وجسـم منحـلِ
فالدّرج ابيض مثـل خـدّ واضـح
يثنيه اسـود مثـل طرف اكحـلِ
قسم العطايـا والمنايـا في الـورى
فاذا نظرتَ اليـه فاحـذر واُمـلِ
طعمان شـوب حـلاوة بمـرارة
كالدهـر يخلط شـهده بالحنظـلِ
فاذا تصرّف في يديـك عنانـه
الحـقتَ فيـه مؤمّـلا بمؤمـلِ
ومذلـلاً بمعـزز ولربمـا
الحقـت فيـه معـززاً بمـذلّلِ

هذا في مجال الشعر العربي .

اما في ميدان النثر العربي فقد ورد الكثير عـن القلم ومكانتهمنها:(٦١)
قال العتابي : ببكاء القلم تبتسـم الكتب .

وقال البحتري : الاقلام مطايا الفطـن .

وقال ابو دلف العجلي :القلم صائغ الكلام ،يفرغ مايجمعه ويصوغ مايسبكه اللب .

وقال سهل بن هارون : القلم انف الضمير ، اذا رعف اعلن اسراره وابان آثـاره

وقال علي بن منصور : بنور القلم تضيء الحكمة .

وقال المأمون : لله درا لقلم كيف يحوك وشي المملكة .

وقال غيره :بالقلم تزف بنات العقول الى خدور الكتب .

وقال جعفر بن يحيى : لم ار باكيا أحسن تبسما من القلم .

ومن كلام ابن حفص بن برد الاندلسي : ما اعجب شأن القلم ، يشرب ظلمة ويلفظ نورا ، قد يكون قلم الكاتب امضى من شباة المحارب القلم سهم ينفذ المقاتل وشفرة تطيح بها المفاصل .

ويقال : عقول الرجال تحت اسنة اقلامها . بنوء الاقلام يصوب غيث الحكمة .

هذا غيث من فيض عن مكانة القلم في التراث العربي ...

رابعا ـ الملواق :(٦٢)

وهو ما تلاق به الدواة (اي تحرك) به الليقة . قال بعض الكتاب : واحسن مايكون من الابنوس ،لئلا يغيره لون المداد . وقيل : يكون مستديرا مخروطيا ، عريض الرأس ثخينه .

خامسا ـ المرملة:(٦٣)

اسمها القديم «المتربة» جعلا لها الة للتراب ، اذ كان يترب بها الكتب بعد الكتابة وكانت تشمل على :

١ ـ **الظرف** : الذي يجعل فيه الرمل ، وهو المسمى بذلك ، ويكون جنس الدواة اذا كانت الدواة نحاسا . اومن النحاس ، ونحوه ان كانت خشبا على حسب ما يختاره رب الدواة . ومحلها الدواة ما يلي الكتاب مما بين المحبرة وباطن الدواة مما يقابل «المنشأة» ـ الاتي ذكرها ـ ويكون في فمها شباك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها وبها اتخذت مرملة اخرى اكبر من ذلك تكون في باطن الدواة لاحتمال ان تضيق تلكعن الكفاية لصغرها .

وارباب الرياسة من الوزراء والامراء ونحوه يتخذون مرملة تقارب حبة الرانج(٦٤) لها عنق في اعلاها ، تكون في الغالب من جنس الدواة مـن نحاس ونحـوه . وربما اتخذت من الخشب لقضاة الحكم ونحوهم .

ومما الغز فيها القاضي ابن بنت الاعز قوله(٦٥):

ظريفة الشـكل والتمثال قد صنعت
تحكـي العروس ولكـن ليس تفتلـم

كأنها من ذوي الالبـاب خاشـــعة
تبكـي الدمـاء على ماســطر القلـم

وقال انها كانت تسمى «المتربة» ايضا . وفي ذلك يقول الوجيه المناوي شعرا :(٦٦)

يامادحـــا امـــرا ولـم يأتــه
ولـــم ينـل منـــه ولا جرّبــه
لاتغبــــط الكاتـب في حالــــه
فــانه المســكين ذو «المتربــه»

٢ ـ **الرمل** : وكان يرش فوق المداد بعد الكتابة مباشرة لغاية تجفيفه وبروزه فوق الصحيفة . وقد يجعل للخط رونق وللكتابة جمال . وقد اختار الكتاب لذلك « الرمل الاحمر » دون غيره ، لانه يكسو الخط الاسود من البهجة مالايكسوه غيره من اصناف الرمل ، وخيره ما كان دقيقا وهو على انواع ، منه ما يؤتى من اطراف الجبال او الواحات ويكون رملا متحجرا شديد الحمرة يتخذ منه الكتاب حجارة لطافا تحت بالسكين ونحوها على الكتابة ويكون من الرمل الدقيق الاصفر كلون الزعفران وله بهجة على الخط الا انه عزيز الوجود . او رمل بين الحمرة والصفرة به شذور بصاصة لخالها الناظر شذور الذهب وهو عزيز الوجود جدا ، وبه يرمل الملوك ومن شابههم من الخلفاء والوزراء والامراء ...

سـادسـا ـ المنشاة :

وتشتمل على شيئين :

١ ـ **الظرف** : وحاله كحل «المرملة» في الهيئة والمحل من الدواة من جهة الغطاء ، الا انه لا شباك في فمه ليتوصل الى اللصاق ، وربما اتخذ بعض الكتاب منشاة اخرى غير التي في صدور الدواة من رصاص على هيئة حق لطيف ، ويجعلها في باطن الدواة ، كالمرملة المتوسطة فان اللصاق قد يتغير في النحاس بخلاف الرصاص .

٢ ـ اللصاق ، وهو على نوعين :

احدهما النشا المتخذ من الحنطة وطريقة صنعه ان يطبخ على النار كما يطبخ للقماش الا انه يكون اشد منه ، ثم يجعل في «المنشاة» وهو الذي يستعمله كتاب الانشاء ، ولا يقولون على غيره لسرعة اللصاق به ، وموافقة لونه للورق في نصاعه البياض .

والثاني ، وهو المتخذ من الكثيرا : وهو ان تبل (الكثيرا) بالماء حتى تصير في قوام المصاق ، ثم تجعل في «المنشاة» وكثيرا ما يستعمله كتاب الديوية ، وهو سريع التغير الى الخضرة ، ولا يسرع اللصاق به .

وينبغي أن يستعمل في اللصاق في الجملة : الماورد والكافور لتطييب رائحته .

سابعا ـ المنفذ

وهي آلة تشبه «المخرز» وتتخذ لحزم الورق . وينبغي ان يكون محل الحاجة منها متساويا في الدقة والغلظ اعلاه واسفله سواء ، لئلا تختلف اثقاب الورق في الضيق والسعة ، خلا ان يكون ذبابه(٦٧) دقيقا ، ليكون اسرع وابلغ في المقصود ، وحكمه في النصاب في الطول والغلظ حكم « المدية » وقد سبق واكثر من يحتاج الى هذه الالة من الكتاب ، كتاب الدواوين ، وربما احتاج اليها كتاب الانشاء في بعض احواله .

ثامنا ـ الملزمة :

خشبتان تشد اوساطهما بحديدة مع الصياقلة والابارين ، وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه ايضا ذات دفتين يلتقيان على راس الدرج حال الكتابة ، ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ويجس بمجس على الدفتين .

تاسعا ـ المفرشة :

وهي آلة تتخذ من خرق الكتان ، بطانة وظهارة ، او من صوف ونحوه ، تفرش تحت الاقلام وما يماثلها (القصبة والريشة) مما يكون في بطن الدواة وذلك لئلا تلطخ الاوراق بالحبر ، كما أن الحبر الذي يكون فيها تجففه هذه المفرشة .

عاشرا ـ المسحة :

وتسمى الدفتر ايضا . وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ، ذات وجهين ملتوتين من صوف او حرير او غير ذلك من نفيس القماش ، يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة ، لئلا يجف عليه الحبر فيفسد

والغالب في هذه الالة ، ان تكون مدورة مخرومة من وسطها وربما كانت مستطيلة ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة . وفيها نظم عبدالرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل وكان وزيراً للملك الافضل هذين البيتين اذ قال(٦٨) :

ممسحة نهارها يجن ليل الظلم
كأنها من طرفها منديل لف القلم

وقال نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها ايضا :

وممسحة لاحت كافق تبددت
به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما اطال الليل فيها وروده
حكته ومدت للصباح المطالع

كما ونظم فيها المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر(٦٩) قائلا :

وممسحة تناهى الحسن فيها
فاضحت في الملاحة لا تبارى
ولا نكر على القلم الموافي
اذا في وصلها خلع العذارا

حادي عشر ـ المسفاة :

وهي آلة لطيفة تتخذ لصب المداد في المحبرة ، وتسمى الماوردية ايضا ، لان الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ما ورد لتطيب رائحتها ، وايضا فان المياه المستخرجة كماء الورد والحلاف(٧٠) والريحان ونحو ذلك لاتحل الحبر وتفسده بخلاف الماء ، وتكون هذه الالة في الغالب من الحلزون الذي يخرج من البحر الملح ، وربما كانت من نحاس ونحوه والمعنى فيها ان لاتخرج المحبرة من مكانها ولا يصب من اناء واسع الفم كالكوز ونحوه ، فربما زاد الصب على قدر الحاجة .

ثاني عشر ـ المسطرة :(٧١)

وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطر عليها ما يحتاج الى تسطير من الكتابة ومتعلقاتها ، واكثر ما يحتاج اليها الخط المذهب .

ثالث عشر ـ المصقلة :

وهي التي يصقل بهـا الذهب بعد الكتابة ، وهي من آلات الدواة لامحالة .

رابع عشر ـ المهرق(٧٢)

وهو القرطاس الذي يكتب فيه ، ويجمع على مهارق .

خامس عشر ـ المسن :

وهو آلة تتخذ لاحداد السكين وهو نوعان : اكهب (احمر اللون) ويسمى الرومي . واخضره وهو على نوعين : حجازي وقوصي . والرومي اجودها ، والحجازي اجوده الاخضر .

سادس عشر ــ المقلمة :[٧٣]

وهي المكان الذي يوضع فيه الاقــلام ، سواء كان من نفس الدواة او اجنبيا عنها . وقد لاتعد من الات لكونها من جملة اجزاء الدواة غالبا .

سادس عشر ــ المقلمة [٧٣] :

هي مسنّ الاقلام ، تستحد بها اذا كلت ، وتطلق بها اذا وقفت وتلمها اذا تشعثت . فتجب المبالغة في سقيها واحدادها ليتمكن مــن البري ، فيصفو جوهر القلم ، وينبغي ان لايستعملها في غير البراية لئلا تكلّ وتفســد .

قال الصولي : واحدد سكينك ولا تستعملها لغير ذلك .

وقال ابن مقله : واستحد السكين حدا ولتكن ماضية جدا فانه اذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا .

وقال الشيخ عماد الدين بن عفيف : فساد البراية من بلادة السكين.

اما محمد بن عمر المدائني فيقول : ينبغي ان تكون لطيفة القدّ ، معتدلة الحدّ . فقد كره المبالغة في سقيها لتمكن الباري من بريها ولا عيب في حملها في الكمّ والخفّ .

قالوا : واحسنها ما عرض صدره وارهف حده ، ولم يفضلْ عــن القبضة نصابه واستوى من غير اعوجاج .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ورايت والدي وجماعة من الكتّاب يستحسنون العقابية وهي التي صدرها اعرض من اسفلها .

وللــه القائل في وصفها :

انا ان شــئت عــــدّة لعــدو
حين يخشى على النفوس الحمـام
انــا في الســلم خــــادم لــدواة
وبحــدي تقـــــوّم الاقـــــلام

ثامن عشر ـ المقط (٧٥):

قال الصولي : ينبغي ان يكون المقط صلبا فتمضي القطة مستوية لامشظية . قال الوزير ابن مقلة : اذا قططت فلا تقط الا على مقط املس صلب غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظى القلم .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ويتعين ان يكون من عود صلب كالابنوس والعاج . ويكون مسطح الوجه الذي يقط عليه ، ولا يكون مستديرا : لانه اذا كان مستديرا تشظى القلم ، وربما تهللت القطة فتاتي الادارات والتشعيرات غير جيدة .

تاسع عشر : المحبرة والدواة(٧٦) :

وتشمل على الجونة وهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر . قال بعض فضلاء الكتاب : وينبغي ان تكون شكلا مدور الراس يجتمع على زاويتين قائمتين يوقذهما خط ولا يكون مربعا على حال لانه اذا كان مربعا يتكاثف المداد في زواياه فيفسد المداد ، فاذا كان مستديرا كان ابقى للمداد واسعد في الاستمداد .

ثم الليقة وتسميها العرب الكرسف تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه في بعض الاحوال ، قال بعض الكتاب : تكون من الحرير والصوف والقطن . ويقال فيه الكرسف والبرسن والطوط ، والعطب ، والاولى ان تكون من الحرير الخشن لان انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها اعون على الكتابة .

وقال بعض الكتاب : ويتعين على الكاتب ان يتفقد الليقة ويطيبها باجود ما يكون ، فانها تروح على طول الزمن . ولله القائل(٧٧) :

متظرف شهدت عليه دواته ... ان الفتى لا كان غير ظريف

ان التفقد للدواة فضيلة ... موصوفة للكاتب الموصوف

وكان بعض الكتاب يطيب دواته باطيب ماعنده من طيب نفسه ، فسئل عن ذلك فقال : لاني اكتب به اسم الله تعالى واسم رسوله (ص) واسم امير المؤمنين ، وربما سبق القلم بغير ارادتنا فنلحسه بالسنتنا ونمحوه باكمامنا .

قال الشيخ علاء الدين السرمري (السامرائي) : ويتعين على الكاتب تجديد الليقة في كل شهر وانه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة لاجل مايقع فيها من التراب ونحوه فيفسد الخط ، ونظم في ذلك ارجوزة فقال(٧٨)

وجدد الليقة كل شهر
فشيخنا كان بهذا يغري
لاجل مايقع فيها من قذى
فينتشي من ذاك في الخط اذى

وينبغي له مع ذلك ان يصونها عن الاشياء القذرة كالبصاق ونحوه فقد حكى محمد بن عمر المدائني ان بعض العلماء راى صبيا يبصق في دواته فزجره وقال لمعلمه : امنع الصبيان عن مثل هذا فانما يكتبون به كلام الله .

والمحبرة او الدواة كما تسمى احيانا كانت تتخذ من اجود العيدان وارفعها ثمنا كالابنوس والساسم والصندل ،(٧٩)واحيانا من الزجاج الابيض او الملون وقد تصنع من قشرة جوز الهند او الخشب الصلب او النحاس وغيره ...

وقد غلب على الكتاب الاموال اتخاذ الدوي من النحاس الاصفر ، والفولاذ ، وتغالوا في اثمانها وبالغوا في تحسينها والنحاس اكثراستعمالا والفولاذ اقل لعزته ونفاسته واختصاصه باعلى درجات الرياسة كالوزارة وما ضاهاها .

واما دوي الخشب فقد رفضت وتركت الاالابنوس والصندلالاحمر، فانه يتعاناه قضاة الحكم وبعض شهود الدواوين .

واما التحلية فقال الحسن بن وهب : سبيل الدواة ان يكون عليها من الحلية اخف مايكون ويمكن ان تحلى به الدوي في وثاقة ولطف ليأمن من ان تنكسر او تنقصم في مجلسه . قال وحق الحلية ان تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات فيها. ليأمن من مسارعة القذى والدنس اليها ولا يكون عليها نقش ولا صورة . وحق هذه الحلية مع ماذكره ابن وهب ان تكون من النحاس ونحوه دون الفضة والذهب .

اما قدرها فيقول الحسن بن وهب ايضا سبيل الدواة ان تكون متوسطة في قدها ، لا بالقصيرة فتقصر اقلامها وتقبح ولابالكثيفة فيثقل محملها وتعجف .

قال الفضل ويكون طولها بمقدار عظم الذراع او فويق ذلك قليلا لتكون مناسبة لمقدار القلم(٨٠) .

من الكتاب من يتخذها مستطيلة مدورة الرأسين لطيفة القدّ طلبا للخفة . وكتّاب الاموال يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا ليجعلوا في باطن غطائها ما استخفوه مما يحتاجون اليه من ورق الحساب الديواني المناسب لهذه الدواة في القطع . وعلى هذا الانموذج يتخذ قضاة الحكم وموقعوهم دويهم الا ان في الغالب تكون من الخشب كما تقدم . وينبغي للكاتب تحسين الدواة وتجديدها .

يقول المدائني(٨١) .

جوّد دواتـك واجتهـد في صونهـا
ان الـدويّ خـزائـن الاداب

واهدى أبو الطيب عبدالرحمن بن احمد بن زيد بن الفرج الكاتب الى صديق له دواة أبنوس محلاة وكتب معها(٨٢) :

لم ار سـوداء قبلهـا ملكتْ
نواظر الخلـق والقلـوب معـا
لا الطول ازدى بهـا ولا قصـر
لكـن اتـت للوصـول مجتمعـا
فوقك جنـح من الظـلام بهـا
وبـارق بائتـلاقهـا لمعـا
خذهـا لـدرّ بهـا تنظمـه
يروق في الحسـن كل من سـمعا

اماالمحبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها : فمنهم من رجحها ومالوا الى اتخاذها لخفة حملها وقالوا بها يكتب القرآن والحديث والعلم . وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث انها آلة النسخ الذي هو من اشد الحرف وتعبها واقلها مكسبا . ويروى ان شعبة راى في يد رجل محبرة فقال : ارم بها فانها مشؤومة لا يبقى معها اهل ولا ولد ، ولا ام ولا اب(٨٣)

ومن ادوات الدواة والاتها المزبر(٨٤) وهو القلم وسبق الكلام عنه ، ثم القرطاس ، قال محمد بن شعيب بن سابور : مثل الكاتب بغير دواة كمثل من يسير الى الهيجاء بغير سلاح . ومن اهم ادوات الكتابة القرطاس

ويقال «قرطس» ايضا على ما ورد في الشعر الجاهلي. وجاء ذكر القرطاس في القرآن بقوله : « ولو نزلنا عليك كتبا في قرطاس فلمسوه بايديهم(٨٥) » وقال ايضا : « وقل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس(٨٦) » .

وانشد المخش العقيلي النصراني يصف رسوم دار شبهها بخط الزبور (مزامير داود) على القرطاس قال :

مخـــط زبـور من دواة وقرطس
كان بحيث اسـتودع الـدار اهلهـا

ومن الطف ما قرأناه عن الدواة قول احمد ابن بنت الاعز :(٨٧)

تعطلت فابيضـت دواتـي لحـزنهـا
ومذقل مالـي قـل منها مدادهــا
وللناس مسـود اللبـاس حدادهم
ولكـن مبيض الدواة حدادهــــا

ومن هذا القبيل ايضا ما رواه ابو علي البصير الاعمى عن المحبرة قائلا(٨٨) :

اذا ماغـدت طـــلابة العلـم مالها
مـن العلـم الا ما يخلد في الكتـــب
غدوت بتشـمير وجـد عليهـــم
ومحبرتي سـمعي ودفترهـا قلبي

واجاد بعضهم ملغزا في الدواة قولهـم :

ومرضعة اولادهـــا بعـد ذبحـــهم
لهـــا لبـن مالـــذ قط لشـــارب
وفي بطنهــا السكين والثدي راسـها
واولادهـا مذخــــرة للنوائـــب

عشرون ـ المداد والحبـر :

سبق وتكلمنا عن صناعته وهنا نبين مقامه :

للمداد والحبر مكانة سامية في التراث الادبي العربي وشرف رفيع فقد ورد في الاخبار : « يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة

فيوضع احدهما في كفة الميزان والاخر في الكفة الاخرى فلا يرجح احدهما على الاخر(٨٩) » .

قال بعض الحكماء : صورة المداد في الابصار سوداء ، وفي البصائر بيضاء .

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره منه. فقال له : ياهذا ان المداد من المروءة وانشد ابو زيد :(٩٠)

اذا ماالمسك طيّب ريح قوم
كفتني ذاك رائحة المداد
وما شيء باحسن من ثياب
على حافاتها حمم السوادِ

وقال بعض الادباء : عطروا دفاتر الاداب بسواد الحبر .

وكان في حجر ابراهيم ابن العباس قرطاس يمشق فيل كلاما فاسقط فمسحه بكمه فقيل له لو مسحته بغيره ؟ فقال المال فرع والقلم اصل والاصل احق بالصون من الفرع وانشد في ذلك(٩١)

انما الزعفران عطر العذارى
ومداد الدوى عطر الرجالِ

وانشد غيره :(٩٢)

من كان يعجبه ان مس عارضه
مسك يطيب منه الريح والنسما
فان مسكي مداد فوق انملتي
اذا الاصابع يوما مسّت القلما

على ان بعضهم قد انكر ذلك وقال : المداد في ثوب الكاتب سخافة ودناءة منه وقلة نظافة . قال ابو العالية : تعلمت القرآن والكتابة وما شعر بي اهلي وما رؤي في ثوبي مداد قط وانشدوا :(٩٣)

دخيل في الكتابة يدّعيها
كدعوى آل حرب في زيادِ
يشبّه ثوبه للمحو فيه
اذا ابصرته ثوب الحدادِ
فدع عنك الكتابة لست منها
ولو لطخت وجهك بالمدادِ

وقال فارس بن حاتم : ببريق الحبر تهتدي العقول لخبايا الحكم، لانه ابقى على الدهر وانمى للذكر وازيد للاجر . واعلم ان المداد ركن من اركان الكتابة وعليه مدار الربع منها وانشدوا في ذلك(٩٤) :

ربع الكتابة في سواد مدادها
والربع حسن صناعة الكتّابِ
والربع من قلم تسوّى بريه
وعلى الكواغد رابع الاسبابِ

قال بعض الحكماء : وانما اختير فيه السواد دون غيره لمضادته لون الصحيفة ، قال : وليس شيء من الالوان يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض(٩٥)

قال الشاعر :

فالوجه مثل الصبح ابيض
والفرع مثل الليل مسوِدُ
ضدان لما استجمعا حسنا
والضد يظهر حسنه الضدُ

ويقال في المداد : اسود قاتم وهو أول درجة السواد ، وحالك وحانك وحلكوك وداج ودجوجي وديجور وادهم ومدهام .

قال المدائني : حدثني بذلك محمد بن نصر عن احمد بن الضحاك عن أبي عبيدة كتب جعفر بن حداد بن محمد الى دعلج بن محمد يستهديه مدادا (٩٦):

ياأخي للسواد لا للمداد
وصديقي من بين هذا العبادِ
والذي فيه الف مجد طريف
قد امدتّ بالف مجد تلادِ
اذا اشكو اليك حال دواتي
اصبحت تقتضي قميص حدادِ

ولله منصور بن اسماعيل حيث يقول :(٩٧)

وسوداء مقلتها مثلها
واجفانها من لجين صقيل
اذا اذرفت عبرة خلتها
كغالية فوق خدّ اسيل

واجاد الحسن بن وهب في ما انشده في المداد بقوله(٩٨)

وما شـــيء احسـن مـن ثيـاب
علـــى حافاتهـــا ســـمة المداد

ونظـم اخـر في المداد قوله :(٩٩)

لاتجـز عـن من المـــداد ولطخـــه
ان المـداد خلوق(١٠٠) ثوب الكـاتب

واحســن من كليهما بيتان في المداد ظريفان انشدهما زيد بن الحســن الكندي البغدادي (٥٢٠-٥٩٧هـ) وزيد فروخ شاه وهما :(١٠١)

لامنـي في اختصـار كتبـي حبيـب
فرقت بينـــه الليالـــي وبينـــي

ليتنـــي قد اطلت لكـــن عـــذري
فيــه ان المـــداد انســان عينـــي

وخير ما نختم بحثنا هذا ، كلمة موجزة عن الخطاطين العرب ، فقد كان الخطاطون في العصور الغابرة يتنافسون في اجادة الكتابة ويبالغون حتى درجة الابداع في تنميق الكتب وزخرفتها . ولعظيم اجلال داود الملك للكاتب فقد انشد عنه في مزاميره قائلا : «لساني قلم كاتب بارع »(١٠٢) . ومن طريف مانظمه الشعراء في الكتبة قول احدهم :(١٠٣) .

ما النـــاس الا الكتبـــــــه
هـــــم فضـــة في ذهبـــه
قـــد احـــرزوا دنيـــــــاهم
من شـــق تلـــك القصبـــه

ومن مشاهير الخطاطين الاقدمين : اسحق بن حماد في عهد الخليفتين المنصور والمهدي وكان له عدة تلاميذ وضعوا الخطوط الاصلية الموزونة في اثني عشر قلما وهي : قلم السجلات ، قلم الديباج ، قلم الجليل ، قلم المفتح ، قلم الحرم ، قلم العهود ، قلم الحرناج ، قلم المدامرات ، قلم القصص ، قلم اسطورمار الكبير ، قلم الثلاثين ، قلم الزنبور(١٠٤) .

واول من نال القدح المعلى في اجادة الخط علي بن محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨هـ كان وزيرا للخليفة جعفر المقتدر بالله . وهو اول واشهر من كتب الخط البديـع نقل طريقته عن خط الكوفيين وابرزها في

هذه الصورة . وفي ابن مقلة انشد ابو عبيد البكري الاندلسي صاحب التآليف المشهورة قوله :(١٠٥)

خط ابن مقله من ارعاه مقلته
وددت جوارحه لو اصبحت مقلا
فالدرّ يصفرّ لاستحسانه حسدا
والورد يحمر من ابداعه خجلا

غير ان ابن مقلة لم يسلم من حساد اخصهم ابن رايق وشوا به الى الخليفةالراضي بن المقتدر . فامر بقطع يده في منتصف شهر شوال عام ٣٢٦هـ ثم عاد ابن مقلة يسعى في الوزارة وكان يشد القلم على يده المقطوعه ويكتب ولما نمى الى ابن رائق ان ابن مقلة يدعو عليه وعلى الخليفة الراضي كررّ الوشاية به ، فأمر الخليفة بقطع لسانه فقطع (١٠٦) وضيق عليه في الحبس فاصابه ذرب اودى بحياته (١٠٧) .

وقال ابن مقلة ينوح على يده اليمنى : « خدمت بها الخلفاء وكتبت القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص (١٠٨)» .

بعد ابن مقلة ظهر صاحب الخط الجميل علي بن هلال المعروف بان البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ قال عنه ابن خلكان : « لم يقم بين المتقدمين والمتأخرين من كتب مثل ابن البواب ولا قاربه . وان كان ابن مقلة اول من نقل هذه الطريقة عن الكوفيين فان ابن البواب هذّب طريقته ونقحها وكساها حلاوة وطلاوة » .

ولسنا نرى ان تفوتنا قصيدة طريفة جزيلة الفائدة نظمها علي ابن البواب في صناعة الخط قال(١٠٩) :

يامن يريد اجادة التحرير
ويروم حسن الخط والتصوير
ان كان عزمك في الكتابة صادقا
فارغب الى مولاك في التيسير
اعدد من الاقلام كل مثقف
صلب يصوغ صياغة التحبير
واذا عمدت لبريه فتوخه
عند القياس باوسط التقدير
انظر الى طرفيه فاجعل بريه
من جانب التدقيق والتحضير

واجعل لجلفته قواما عادلا
يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقى بريه
من جانبيه مشاكل التقدير
حتى اذا اتقنت ذلك كله
اتقان طيب بالمراد خبير
فاصرف الرأي انقط عزمك كله
فالقط فيه جملة التدبير
لاتطمعن في ان ابوح بسره
اني اضن بسره المستور
لكن جملة ما اقول بأنه
مابين تحريف الى تدوير
وألق دواتك بالدخان مدبرا
بالخل او الحصرم المعصور
واضف اليه مغرة قد صولت
مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ماخمرت فاعمدالى السـ
ـورق النقي الناعم المخبور
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كي
ينأى عن التشعيث والتغيير
ثم اجعل التمثيل دابك صابرا
ما ادرك المأمول مثل صبور
ابدا به في اللوح منتضيا له
عزما تجرده عن التشمير
لاتخجلن من الردى تخطه
في اول التمثيل والتسطير
فالامر يصعب ثم يرجع هينا
ولرب سهل جاء بعد عسير
حتى اذا ادركت ما املته
اضحيت رب مسرة وحبور
فاشكر الهك واتبع رضوانه
ان الاله يحب كل شكور

وارغب لكفك ان تخط بنانه
خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدا
عند التقاء كتابه المنشور

---

(١) المداد وسمي بذلك لانه يمد القلم اي يعينه . واما الحبر فاصله اللون ، يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء . قال ابن احمد يذكر امرأة
تتيه بفاحم جعد وابيض ناصع الحبر
يريد سواد شعرها وبياض لونها .
(٢) العفص : شجرة من شجر البلوط ، الا ان ثمرتها لاتؤكل انما تطحن ويصنع منها مادة للدباغة او للصباغة ويقال اعفص الحبر اي جعل فيه عفص .
(٣) الزاج : الدخان المتراكم على الاناء .
(٤) محمد عبد الجواد الاصمعي تصوير وتجميل الكتب العربية في الاسلام — ص ٨٨ .
(٥) خمارويه : ولد سنة ٨٦٤ . ابن احمد بن طولون . اقامه ابوه نائبا ثم خلفه له على مصر . ثار عليه ولاة الاقاليم في الشام . زوج ابنته قطر الندى من الخليفة العباسي ادى مقتله الى سقوط الدولة الطولونية سنة ٩٠٥م .
(٦) محمد عبدالجواد الاصمعي — تصوير وتجميل الكتب العربية في الاسلام — ص ٨٩ .
(٧) المصدر السابق وذات الصفحة .
(٨) القلقشندي — صبح الاعشى — ج ٢ ص ٤٦٤ — ٤٧٢ .
(٩) أبو علي محمد بن مقله : وزير عباسي . استوزره المقتدر (٩٠٨—٩٣٢) ثم القاهر (٩٣٢ — ٩٣٤) فسيطر على الحكم . عزله القاهر فدبر مؤامرة لخلعه . امر الخليفة بقتله ففر ، استلم الوزارة في عهد الراضي (٩٣٤ — ٩٤٠) ابعد عن الوزارة سنة ٩٣٦.
(١٠) طنجير : وعاء يعمل فيه الخبيص ونحوه
(١١) محمد عبدالجواد الاصمعي — تصوير وتجميل الكتب — ص ٨٩ .
(١١) سخام النفط : دخان النفط . والسخام الفحم ، وسواد القدر .
(١٣) الكافور : نبات طيب ، يؤخذ منه الطيب .
(١٤) الصبر : عصارة شجر مر جمعها صبور والواحد صبرة .
(١٥) الكاغد : جمع الكلمة كواغد او كواغيد ، وهو لفظ فارسي . انتشرت بين العرب ايام الدولة العباسية اذ كان الفرس لهم رجالاتهم وخاصة ايام المامون . وفي ايامه اخذوا ايضا عن الروم علومهم ومعارفهم فنقلو ا لفظة Carta (كارتا) اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا « قرطاس » والغريب في هذا الموضوع ان ائمة اللغة نصوا على ان «القرطاس» يقال « بضم القاف او بكسرها » واجمعوا على ان الفتح لم يقل به احد . وهو امر غريب فان الفتح اقرب على اللسان واقرب الى الاصل .
(١٦) الآس : شجر يعرف بالريحان واحده (آسة) ويعرف حبه عند العامه ، بالحنبلاس (حب الآس) . ومنه الاس البري الذي تسميه العامة شرابه الراعي .
(١٧) مئزر : قطعة نسيج صوفي وحريري تلبسها النساء غطاء للرأس او كالعباءة . والمزر نبيذ الشعير او الحنطة .
(١٨) الحلاكة : شدة السواد .
(١٩) كلوة الكف : يقصد بها ملء الكف وما يسمى بالحفنة .
(٢٠) السكر نبات : بلورات سكرية تستخلص من مادة السكر .

(٢١) الزعفران : نبات اصفر الزهر له اصل كالبصل جمعه زعافر .
(٢٢) الزنجار : صدأ النحاس .
(٢٣) محمد عبدالجواد الاصمعي- تصوير وتجميل الكتب - ص ١٨
(٢٤) المصدر السابق ص٨ ١.
(٢٥) الطغراء والطغرى جمعهاالطغراوات وصوابها الطغريات ، علامة تكتب بالقلم الغليظ على المناشير والمسكوكات السلطانية وتقوم مقام السلطان ، وهي كلمة تترية استعملها الفرس والروم ايضـا .
(٢٦) محمد عبدالجواد الاصمعي - تصوير وتجميل الكتب - ص ١٩ .
(٢٧) اللازورد : معدن مشهور يتولد بجبال ارمنية وفارس واجوده الصافي الشفاف الازرق الضارب الى حمرة وخضرة يتخذ للحلي وله منافع في الطب ايضا .
(٢٨) الزنجفر : تلفظ بكسر الزاء وتسكين النون وكسر الجيم او تلفظ بضم الزاء وتسكين النون وضم الجيم . وهو معدن متفتت بصاص احمر يصبغ به ويدهن به الحديد ليسلم من الصدأ .
(٢٩) المغرة العراقية : الطين الاحمر وتعني هنا مالونه احمر ناصع .
(٣٠) القلقشندي (احمد بن علي) - ١٣٥٥ -١٤١٨ نسبه الى قلقشنده في القليوبية بمصر فقيه واديب له «صبح الاعشى في كتابه الانشا »وفيه كل ما كان الادباء يحتاجون اليه في عهد المؤلف من المعارف عامة ومن جغرافية وتاريخ سورية ومصر خاصة .
(٣١) سمرقند : مدينة في وسط اسيا (اوزبكستان) خربها جنكيزخان سنة ١٢٢٩ ثم استولى عليها تيمورلنك وجعلها عاصمته وفيها قبره .
(٣٢) القزويني (زكريا بن محمد) ولد في قزوين . كان عالما في التاريخ والجغرافية وكتابه عجائب المخلوقات اول كتاب في هذا الموضوع في اللغة العربية بحث فيه العلوم الطبيعية والسياسية والتاريخية والادبية استحق لقب هيرودوت القرون الوسطى يوثق به ويؤخذ به .
(٣٣) الثعالبي (ابو منصور) - ٩٦١-١٠٣٨ اديب ولغوي ومؤرخ عباسي له : يتيمة الدهر محاسن اهل العصر) في الاداب والتاريخ « ولطائف المعارف » و « فقه اللغة» وغير ذلك مما بلغ عدده «٣٦» كتابا .
(٣٤) ابن النديم (محمد بن اسحق) ولد ببغداد وعاش فيها . كان كتبيا كابيه فعرف بالوراق توفى سنة٩٩٥ . مؤلف كتاب «الفهرست» .
(٣٥) محمد عبدالجواد الاصمعي - تصوير وتجميل الكتب العربية - ص٨٩ .
(٣٦) قراطيس جمع قرطاس وقد نقول كراسة اي كتيب صغير او عدة اوراق مخاطة .
(٣٧) البردي المصري :كان العمال يقتلعونه من المستنقعات ويجعل على شكل شرائح جنبا الى جنب بحيث تغطي حوافي القطع بعضها بعضا ، ثم توضع طبقة ثانية فوق الاولى باتجاه متعامد عليها وتضغط الطبقات معا وتدق بمطارق خشبية فتلصق الطبقات متكونا منها ملفا يبلغ طوله احيانا ٤٥ مترا ،ثم يقتطع المشتري مايحتاجه لغرض الكتابة عليه لتدوين الخطابات والحسابات والوثائق الرسمية وغيرها من الكتب .
(٣٨) الطومار : الصحيفة جمعها طوامير يقال « كتب في الطومار » .
(٣٩) استندنا في بحثنا هذا في عدة مواضع على كتاب «صبح الاعشى» للقلقشندي آثرنا ان نذكر كل الصحائف التي اخذنا عنها - الجزء الثاني - ص ٤٢١ - ٤٦٣ .
(٤٠) القلقشندي - صبح الاعشى - ج٢ ص ٤٦٤ -٤٧٢ - طبع دار الكتب - .
(٤١) فيليب طرازي - خزائن الكتب - ج١ ص ٨٣١ .
(٤٢) المصدر السابق - ج ص ٨٣٢ .
(٤٣) نفح الطيب ج٤ ص ٢٤ .

(٤٤) الرق : نوع رقيق من الجلد . ويسمى البرشمان ويسود الاعتقاد بان الاسم الاوربي للرق وهو مشتق من اسم مدينة برجاموم وان كان هناك رأي اخر يقول بانه ماخوذ من كلمة برجامين .
(٤٥) القلقشندي ـ صبح الاعشى ـ ج٢ ص ٤٤٠ .
(٤٦) المصدر السابق ج٢ ص ٤٤١ .
(٤٧) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٤٧ـ٤٤٩
(٤٨) وردت لفظة السرمري في القلقشندي عوض السامرائي نسبة الى سرمن رأى .
(٤٩) سورة القلم الاية الاولى .
(٥٠) سورة العلق الاية ٣و٤ .
(٥١) فيليب طرازي ـ خزائن الكتب ـ ج١ ص ٨٢٨ .
(٥٢) المصدر السابق ج١ ص ٨٢٨
(٥٣) ذات المصدر السابق ج١ ص ٨٢٩ .
(٥٤) ياقوت الحموي ـ معجم الادباء ـ ج١ ص٨ .
(٥٥) جريدة منبر الشرق لعلي الغاياني في القاهرة مجلد ٢٠ سنة ١٩٤١ عدد ١٤٨ ص٧ .
(٥٦) لويس شيخو ـ مجاني الادب ـ ج٢ ص ١٤١ .
(٥٧) جلال الدين السيوطي ـ بغية الوعاة ـ ص ٢٢١ .
(٥٨) القلقشندي ـ صبح الاعشى ـ ج٢ ص٤٤٦ .
(٥٩) المصدر السابق ـ ج٢ ص ٤٤٦ .
(٦٠) ذات المصدر السابق ج٢ ص٤٤٧ .
(٦١) نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤٤٥ .
(٦٢) الملواق بكسر الميم وهو قضيب من خشب الابنوس يستعمل لاصلاح مداد الدواة لئلا يلتصق بصوفها فنقول لاقت الدواة اي لصق مدادها .
(٦٣) المرملة : اناء لوضع الرمل فيه كشبه القنينة .
(٦٤) حبة الرانج : الجوز الهندي .
(٦٥) ابن بنت الاعز : كان اماما فاضلا ، وولى المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة . ودرس بالشافعي . وكانت له مكانة عند الملك الظاهر ومولده سنة ٦١٤هـ ومات ليلة ٢٧ رجب سنة ٦٦٥ ودفن بسفح المقطم (راجع النجوم الزاهر ج٧ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) طبع دار الكتب .
(٦٦) محمد عبدالجواد الاصمعي ـ تصوير وتجميل الكتب العربية ـ ص ٢٠
(٦٧) الذبابة : الطرف نقول ذباب السيف ، طرفه الذي يضرب به .
(٦٨) هو سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبدالرحمن البازوري ، تاج الاصفياء ، قاضي القضاة وداعي الدعاة ، علم المجد ، خالصة امير المؤمنين ، ابو محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن البازوري نسبة الى بازور : قرية من اعمال الرملة . ولي الوزارة بعهد المستنصر بالله الفاطمي في القرن الخامس الهجري .
(٦٩) هو شافع بن علي بن عباس العسقلاني المصري (ناصر الدين) ، مؤرخ ، اديب ، شاعر ، شارك في بعض العلوم . ولد بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ومن اثاره الكثيرة القلائد والفرائد فيما للشعراء الاماجد ، الاحكام العادلة فيما جرى من المنظوم والمنثور من الفاضلة ، ديوان شعر ، الدر المنتظم في مفاخرة السيف والقلم ، ونظم الجواهر في سيرة الملك الناصر . توفي سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م .
(٧٠) الحلاف يراد به الحلفاء وهي نبات اطرافه محددة كانها سعف النخيل والخوص ينبت في مفايض المياه .
(٧١) كانوا احيانا يتخذون الخيط عوض المسطرة لاستعماله لرسم الخطوط ومن هنا اتت

الكلمة الزيج في علم الفلك من القياس والتخطيط بالخيط .

(٧٢) المهرق بضم الميم وفتح الراء وهو الصحيفة البيضاء المنشاة ثم تصقل ليكتب فيها.
(٧٣) القلقشندي ـ صبح الاعشى ـ ج٢ ص٤٥٥ .
(٧٤) المصـــدر الســـابق ج٢ ص ٤٥٧ .
(٧٥) ذات المصـــدر السابق ج٢ ص ٤٥٧ .
(٧٦) نفس المصـــدر السابق ج٢ ص ٤٥٨ .
(٧٧) نفس المصدر الســابق ج٢ ص ٤٥٨ .
(٧٨) نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤٥٩ .
(٧٩) نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤٣١ .
(٨٠) نفس المصدر السابق ج٢ ص٤٣٢ .
(٨١) نفس المصدر السابق ج٢ ص٤٣٣ .
(٨٢) نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤٣٣ .
(٨٣) نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤٣٣ .
(٨٤) المزبر (بكسر الميم) وهو القلم اخذا له من قولهم زبرت الكتاب اذا اتقنت كتابته ، ومنه سميت الكتب زبرا كما في قوله تعالى : « وانه لفي زبر الاولين » وفي حديث ابي بكر انه دعا في مرضه بدواة ومزبر اي قلم (القلقشندي ـ صبح الاعشى ج٢ ص ٤٣٤) .
(٨٥) سورة الانعـــام الاية ٦ .
(٨٦) سورة الانعام الاية ٩١ .
(٨٧) ابن شاكر ـ فوات الوفيات ـ ج١ ص٥٤ .
(٨٨) نكات الهيمان ص ٧٧ .
(٨٩) القلقشندي ـ صبح الاعشى ـ ج٢ ص ٤٦١
(٩٠) المصدر السابق ج٢ ص ٤٦١ .
(٩١) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦١ .
(٩٢) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦١ .
(٩٣) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦٢ .
(٩٤) ذات المصدر السابق ج٢ ص٤٦٢ .
(٩٥) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦٣ .
(٩٦) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦٣ .
(٩٧) ذات المصدر السابق ج٢ ص ٤٦٣ .
(٩٨) فليب طرازي ـ خزائن الكتب العربية ـ ج٣ ص ٨٢٧ .
(٩٩) المصدر السابق ج٣ ص ٨٢٧ .
(١٠٠) خلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان معظم اجزائه من الزعفران .
(١٠١) الحموي ـ معجم الادباء ـ ج١١ ص ١٧٥ ـ .
(١٠٢) مزمور ٤٤ عدد ٢ .
(١٠٣) الراغب الاصبهاني ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ـ ص ٤٥ .
(١٠٤) احمد زكي باشـا ـ الحضارة الاسلامية ـ ص ٦٨ .
(١٠٥) الفتح بن خاقان ـ قلائد العقيان ـ ص ١٩٩ .
(١٠٦) زبد الصحائف في اصول المعارف ص ١٢٢ .
(١٠٧) تاريخ ابي الفدا ج٢ ص٨٥ .
(١٠٨) تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٧٠ .
(١٠٩) لويس شيخو ـ مجاني الادب ـ ج ٤ ص ١٥٩ـ١٦٠

الأهزوجة العراقية

شاكر البرملي

الاهزوجة نشيد شعبي في لغة العامة من الناس ينشده القرويون في مناسبات كثيرة ومتنوعة ، مثل الحروب ، وعند الوفاة ، والاستعراض (العراضة) والاعراس ، والاستقبال والتوديع ، ففي الحروب تهزج قبيل المعارك من اجل تهيئة المحاربين نفسيا واثارة الحماس والشجاعة والنخوة فيهم ، كما ينشدونها بعد الانتصارات فخرا واعتزازا ، وعند الوفاة حين يتوفى زعيم قبيلة مرموق يقام له عرض حربي مكون من عدة كراديس تمر امام النعش او تجري خلفه ، او تسير امامه ، وعلى رأس كل كردوس علم يخفق يحمله رجل عرف بالشجاعة ، يحركه حركات تقليدية خاصة تنسجم وحركات الهازجين ، او تأتي تلك الكراديس الى مكان اقامة الفاتحة لتقديم التعازي . وتتضمن الاهازيج بهذه المناسبه مفاخر المتوفى من شجاعة وكرم وخلق رفيع ، اما بمناسبة الاعراس فتضمن الاهازيج المشاركة في الافراح ، وذكر مأثر العريس وعائلته والتهاني والتبريكات للعريسين واهلهما .

اما في مناسبات الاستقبال والتوديع ، وخاصة الذاهبين الى الحج والعائدين منه، فتتضمن التمنيات الطيبةفي الذهاب والتوفيق والقبول في الحج وسلامة العودة ، وهكذا تكون في بقية المناسبات وتلقى الاهزوجة بطريقة خاصة حيث يقف ملقيها على مكان مرتفع ان وجد او يحمل على الأكتاف، ثم يلوح بسلاحه ، وغالبا ما يكون سيفا او بندقية ، او بيده اذا كان لا يحمل سلاحا ، ثم يحضّر لها بصيحات والفاظ ذات نغم معين مثل (ها ، ها) ويلقي الاهزوجة بترنم وتمايل نحو اليمين والشمال والى الامام والخلف ، ثم يرددها الحاضرون ويرقصون على نغمها رقصة حربية تقليدية وهم يدورون في مكانهم على شكل حلقه او يتحركون في منطقة صغيرة ذهابا وايابا .

وقد اختص بعض ابناء العشائر في نظم الاهازيج والقائها ويسمى الواحد منهم (مهوال) ومن مشاهيرهم (الحاج مرزوك العواد) و (مشير المزهر الفرعون) و (غني هنين) و (مكيطيف الشبلي) و (عباس مكطوف الفتلي) و (عليوي آل بارود الزريجاوي) و (راضي آل ثامر الحاتمي)

اقسام الأهزوجة

تنظم الاهزوجة على وزن الخبب من عروض الشعر العربي (فعلن فعلن فعلن فعلن) كأهزوجة (الطوب احسن لو مكواري) وقد تزداد تفعيلة خامسة في بعض انواعها مثل (احنه المنطويه وسمه تجالع بي) واحيانا ترد بست تفعيلات مثل (اشلون اتسلم البيت المطره ومطره تصاوغ بي) .

وتنقسم الاهزوجة من حيث التركيب الى قسمين ، قسم يكون لها مقدمة تمهيدية مكونة من بيت من الشعر مكون من ثلاثة اشطر والرابع القفل او اللازمة ، وهو يتغنى بها الهازجون ويرددونها على ايقاع خاص بها ، ويراد بالمقدمة ايضاح الهدف منها وزيادة في اثارة المشاعر والعواطف مثل .

يوم الرستمية ويوم بالريلات
وتشهد للعرب دوية الطيارات
وسن الذيب ظل مطعم لعند الشاة
يتحسن ونزل مذكوره

والقسم الاخر يكون من الاهزوجة وحدها من غير مقدمة مثل
(يسلام المحشر بحسيجه)

واشهر الاهازيج (الحچيمية) نسبة الى بني حچيم ، وهذه تكون طويلة وموسيقاها اكثر ايقاعا وتنغما والرقص عليها اجمل ، وهي اكثر اثارة وتوهجا للمشاعر مثل ..

(شلون نهاب الموت وشفنه الموت ودسنه عليه)

اما الاهزوجة القصيرة فهي اكثر شيوعا لانها اسهل نظما واقل عناء عند التنفيذ مثل ...

(من كتل الصوجر ملينه)

خصائص الاهزوجة بصورة عامة

١ ــ التلقائية والوضوح
٢ ــ العفوية في التعبير

٣ ـ التعبيرات الصارخة في اظهار الغضب والتمرد والرفض والصمود والسرور والنقد والاطراء والهجاء

٤ ـ طرح مفاهيم الثورات والانتفاضات الشعبية

٥ ـ التعبير عن اهتمامات الشعب وطموحاته

اهازيج الرجال في ثورة العشرين

ثورة العشرين جذوة الصراع الحاد بين الشعب العراقي والاستعمار البريطاني ، وشحذت هذه الثورة قرائح الشعراء والكتاب والمؤلفين ، قبيل الثورة تعبيرا عما يحتلج في النفوس واعدادا لها ، وفي اوراها وصفا لساحاتها ومعاركها ، وشحذا للهمم في بذل العطاء في ميادينها ، وبعدها تخليدا لابطالها واعتزازا بمفاخرها وامجادها ، وكان نصيب التراث الشعبي وافرا وعلى الاخص الاهزوجة منه ، لقد اغنت ثورة العشرين الاهزوجة العراقية بابداعات فنية رائعة وبافكار عميقة في الوطنية ، كما ان الاهزوجة سجلت حوادث الثورة وصورت معاركها وعمقت مفاهيمها عند ابناء الشعب ، واول اهزوجة قيلت في بداية الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ م حين امر (هيات) حاكم الرميثة بتوقيف (شعلان ابي الجون) زعيم عشيرة الظوالم ، وحين اخرج شعلان عنوة ن السجن من قبل رجاله ، فاسرع في سيره مما اغاض احدهم فهزج يخاطب شعلان بقوله

(يا ابن الحر ممشاك براضه)

واراد بقوله تمهل ولا تسرع فنحن حماتك فلا تدع الروع يدخل قلبك .

وفي معركة الخفر التي دارت رحاها بين الثوار من عشائر بني حچيم والظوالم وآل زياد من جهة والجيش البريطاني من جهة اخرى والتي شب أوارها (٢٢) ساعة وتوجها الثوار بأكليل النصر ، فهزج احدهم وهو يخاطب زعيمهم شعلان ابي الچون بتصغير اسمه تحببا

(يشعيل يجري الشط هندو)

ويريد بقوله اننا جعلنا مياه النهر مياه تجري من دماء الهنود .

وفي معركة (جسر السوير) قرب مدينة السماوة حيث حشد الانكليز في صباح ٢٦ تشرين الثاني جيشا جبارا قوامه (٢٠) الف مقاتل معززا بالمدافع الثقيلة ، فاخذت الثوار الحمية والعزة الوطنية واخذوا يهزجون بحماس بالغ .

بي خير او يچثر عسكر اوريلات
اسواريه اوبياده اوفوك طيارات

ابعزم الله او عزم حيدر ابو الحملات
يتوزيع وطروح انشيله

ومعناها فليكثر الانكليز من جيوشهم المشاة والفرسان ويزيدوا من قاطراتهم وطائراتهم وليزجوا في المعركة بكل قواهم ، فاننا معتمدون على الله والحق وسنوزع هذه القوى حصصا بيننا ونقضي عليها

ومن الاهازيج الخالدة في هذه المعركة التاريخية قول احدهم

اگلنلچ يلجامعة الحسن عيناچ
فن كوكس وديلي بعسكره يدناچ
كون اهلچ جعوچ احنه بطرب جيناچ
خل يمن گلبچ يرعيعسه

يخاطب الهازج الارض التي نذروا انفسهم فـداء لهـا ولحمايتها ويمثلها بالغادة الحسناء وقد بدا عليهـا الروع والجزع فيطمئنهـا ، ان لا تخافي ولا تحزني ، فلا تستطيع قوات كوكس وديلي ان تدنو منـك ونحن حماتك ، وكان لهذه الاهزوجة فضل الصمود والاستبسال حيث طحنت رحى هـذه المعركة الفين ومائتين من جنود الانكليـز واكثر من خمسمائة شهيد .

وقال (الشيخ شعلان ابو الجون) وهو يدعو المقاتلين للهجوم على قوات الانكليز في الرميثة

(حل فرض الخامس گوموله)

واعاب احد قواد الانكليز رعشة الشيخ شعلان ال عطية فأجابه شعلان بهجوم موفق على قوات ذلك القائد وقال بعد الانتصار عليها

(ارعش ماارعش هذا انه)

وقال الحاج مرزوك العواد زعيم عشيرة العوابـد يخاطب الجيش البريطاني

(ودوه يبلعنا اوغص بينا)

وقال ايضا (گطان احميد صرت أنه)

وكان حميد يصيد السمك وعندما اخرج شبكه ظهر فيه ثعبـان كبير وقال احد الثائرين متحديا سربا من الطائرات

(يل ترعد بالجو هز غيري)

اهازيج النساء في ثورة العشرين

شاركت المراة الريفية الرجل وساعدته مساعدة فعالة اثناء القتال في ثورة العشرين ، فنقلت المؤن الحربية والغذائية الى المقاتلين في ساحات القتال بشجاعة ، كما انها اثارت فيهم الحماس في البذل والعطاء بزغاريدها واناشيدها واهازيجها الوطنية . ومن الامثلة على بطولتها ما حدث في٢٥ تموز عند عودة الجيش البريطاني من الرميثة الى الديوانية بقاطراته الثلاث حيث تصدى له الثوار على امتداد الطريق بمعارك ضارية استطاع شاب من بينهم ان يقتل ثلاثة جنود وعاجله علج بريطاني بحربته ولكن الثائر لم يتركه يهنأ بساعات اخر يستنشق هواء العراق ، بل جعل منه جثة هامدة تمتد الى جالبه خنقا بالايدي وذهب كل الى سبيله فالجندي الى الجحيم والشهيد الى رياض الخلد ، وعندما سكتت المدافع وتبدد دخانها وساد سكون رهيب ، واستقرت الأرض المتزلزلة واستحالت الاهازيج والزغاريد الى صراخ الثاكلات وعويل النادبات ، وركضت الامهات والاخوات الى ميدان القتال يجلن بين جثث القتلى ، وقفت ام ذلك الشاب بقامتها المديدة وسحنتها السمراء على ولدها فضربت الأرض بقدمها ولوحت بيدها وخاطبته باهزوجتها الشائعة

(حي ميت تكتل يجنيبي)

وجنيبي هو الثعبان

ووقفت عمارية (والعمارية هي المراة التي ترافق المحابين لتشجيعهم على القتال واثارة الحماس فيهم) وقفت هذه المراة وسط المعركة ورات كيف تدور طاحونة الحرب فتطحن الشباب والكهول ، فهزها ثبات الثوار وعنادهم واستماتتهم في القتال فخاطبت الموت من اعماقها وبشعور صادق عما يخالج نفسها في تلك الساعات الرهيبة وتطلب منه ان يلتهم في سبيل الوطن بقولها .

(يا موت اطحن وانه ازجيلك)

وهذه امراة اخرى شاركت في تدبيج سطور المجد وصنعت التاريخ مع الرجال في ساحات الشرف وهم يرون الأرض الطيبة بنجيع دمائهم ويبذلون الزاكيات من نفوسهم في تضييق الخناق على حامية من الجيوش المحتلة فتطلب منهم ان يأخذوا افراد الحامية اخذ عزيز مقتدر اسرى حرب اذلاء والا فهي تأبى ان تكون زوجة لاحدهم فتخاطبهم بقولها .

(لوما يسرتم طلكوني)

وهذه امراة اكل الدهر منها ستين عاما قضتها في بيت مجد تكرم الضيوف وترعى وحيدها وتتأمل فيه شمائل الرجولة الحقة ، فقذفت به في آتون الثورة وبقيت تتسقط اخباره فجاءتها تحمل صورا لبطولاته ، وعلى حين غرة جيء به شهيدا يحمل اوسمة من الدماء فشدت عباءتها على محزمها واخذت بندقيته واخذت تهزج بفخر

(لميته اوشال وصار افه)

اي جمعته من بقايا ضئيلة وقطرات ضعيفة هن اخر ماكان عند ابيه فصار بطلا وفارسا مغوارا .

وهذه (فطيمة آل علي) من عشيرة الظوالم خرج اخوها وابنها الى ساحة المعركة في جسر السوير . ومضت مدة عليهما ورجع اخوها لوحده ، فسألته عن ولدها ، اجابها باهزوجة

(چن لاهزيتي ولوليتي)

فاجابته باباء الثوار وعزتهم .

(هزيت اولوليت لهذا)

مشيرة انها احسنت تربيته لهذا اليوم ولهذه الميتة الشريفة

وهذه (عفته بنت صوليح) من عشيرة آل زريج اسر العدو ولدها ومروا به عليها ، وخشيت ان يناله الجبن ويلوذ بالانكار فاشارت اليه بالاهزوجة

(بس لا يتعذر موش انه)

فادرك ابنها ما تقصد فاجابها بصلابة وقوة

(خلوني ابحلكه اوكلت انه)

ويريد بأن الانكليز وضعوه في فم المدفع واصر بانه ثائر

اهازيج وطنية

شاركت الاهزوجة في الكفاح الوطني ضد العهد الملكي المباد جنبا الى جنب معبقية الفنون الاخرى، مثل الشعر القريض والشعر العامي والقصة وربما كانت اكثر تأثيرا من غيرها بسبب بساطة تركيبها وسهولة نظمها وحفظها والتغني بها وتنوع مناسباتها ، كما كان لها أثر بالغ في التعبير عن مشاعر الاغلبية من ابناء الشعب باظهار السخط على الحكم وبيان مساوئه ، والامثلة على ذلك كثيرة وهذا بعضها .

ففي اوائل كانون الثاني عام ١٩١٦ م خرجت قـوة انكليزيـة من الناصرية متجهة الى الغراف ، وحين وصلت القوة الى ارض اسـمها (باهيزة) وجدت جماعة من عشيرة خفاجة تسير في جنازة ناشرة اعلامها وتطلق النار في الهواء ، كما جرت العادة ، فطلب الانكليز من الخفاجيين ان يلقوا اسلحتهم ، فرفض الخفاجيون ذلك ونشب قتال عنيف بينهم وبين الانكليز فهزموهم شر هزيمة وهزج احدهم اعتزازا بالنصر

(شرناها وعيت باهيزه)

اي انهم استشاروا الارض (باهيزه) بمرور القوة الانكليزية فابت .

حضر (دكسن) احد كبار الضباط الانكليز بعد ثـورة العشـرين برفقة احد الشيوخ من الاقطاعيين حينذاك الى مدينة (سوق الشيوخ) فاحاط به بعض افراد العشائر وهم يهزجون مشيرين اليه

(من ذوله ادريع واوينه)

ويريدون بها انهم قتلوا الكثيرين من هؤلاء الانكليز حتى صار ابن أوى الذي يعيش في ديارهم يتجشا من شدة التخمة من لحوم الانكليز .

وعكست الأهزوجة ما كان يعانيه ابناء الشعب العراقي وخاصـة سكان الريف من تعسف الحكومات العميلة في العهد الملكي ومن اعمالهـا اللاانسانية باشعار نار الفتن بين القبائل وتحويل الانهار من اراضي الى اراضي البعض الآخر ، لتجويـع من لا يركـع تحت اقدامهـم ، وتعيين الاداريين المرتشين وتطبيق القانون العشائري واشاعة الفساد ونشر روح البداوة بينهم ، وقد عبر احدهم عما كان يسود الريف العراقي من اوضاع شاذة حينذاك بقوله

الصوچ لابشطنه ولا بالحميدات
الصـوچ بحكومتنه ادور العانات
ابو فلوس التونس والفقير المات
ضامي يريد الماي اسـمع يوحيد

وعند مرور فيصل الاول في منطقة العارضيات قرب مدينة الرميثة هزج (عليوي آل بارود الزريجاوي) امام فيصل .

(اهناطم العج كبوزه)

ويشير القائل الى الارض التي هم عليها والمنطقة التي هم فيها والى المعارك الضارية التي احتدمت بين الثوار العراقيين والجيش البريطاني والتي انتصر فيها الثوار على الجيش البريطاني وجعلوا من تلك الأرض مقبرة واسعة لجنود الاحتلال .

وهزج شاعر اخر في نفس الوقت والمكان والمناسبة والى نفس ما اشار اليه زميله السابق .

(اهنا سوينه الگناره)

وخاطب هازج اخر فيصل الاول بقوله

(السوالك مسند تركينا)

ومعناها ان بنادقنا التركية هي التي جعلت منك ملكا على العراق .

وفي احدى جولات فيصل الاول ومروره في ريف المشخاب عند قبيلة آل فتله هزج احدهم امام فيصل وعلى مسمع ومرأى منه وهو يشير اليه .

(صدج يوحيد يومجبعينه)

ويريد الهازج بقوله متسائلا بسخرية لاذعة هل ان فيصلا ملك حقيقة أم مجازا .

وبعد سن قانون الخدمة الالزامية في الجيش كان العراقيون حينذاك يشكون في صلاح القوانين التي يسنها مجلس نواب مزيف لا يمثل ارادة الشعب ويعتقدون ان تلك القوانين لا تشرع لمصلحة الشعب فكانوا يظهرون سخطهم وتبرمهم من تلك القوانين منتهزين المناسبات والفرص لاظهار عصيانهم حيث خاطب احد افراد قبيلة الظوالم فيصلا حينذاك .

شمالك يا ملكنه جويهل وهملان
ما شفنه الجباري يصير بالمعدان
اذا خلصت زلمنه نسوك النسوان
نطي لكازه الگال اجباري

وفي غام ١٩٣٥م تمردت قبائل سوق الشيوخ على الحكم الظالم حينذاك واحتدم القتال بينهم وبين الحامية فاقتحم (حيال الگاصد) موقع رشاش فاستشهد بعد ان اسكت الرشاش فاندفعت جموع الفلاحين تهزج

(چف غازي ام حيال تريده)

وعند مرور فيصل الثاني ووصيه عبدالاله في منطقة (ابو صخير) المناذرة حاليا قال المهوال (مگطوف الفتلي) يخاطبهما

يمنادي الشعب من ناديت لبيت
اذبحت اهل الفرات عليك ما بگيت
سويتك حكومه وسلميتك بيت
ليش تسلم البيت المطره ومطره تصاوغ بيه

وقتل ابن الشعب مگطوف بعد مدة قليلة من القائه هذه الاهزوجة وتحديه للطغات فيصل الثاني وعبدالاله ولم يعرف قاتله وربما دبر له امر بليل انتقاما منه على هذه الاهزوجة الخالدة التي بقي ابناء الشعب يتغنون بها معبرين عن مشاعر السخط على ذلك العهد الظالم

الأهازيج التي ذهبت مذهب الأمثال

قيل في الامثال ، انها حكمة الشارع وولائد الاختبار وزينة الكلام وكالملح في الطعام ، ولاينبئنا عن روح الشعب اكثر من امثاله ، والامثال حكم الاجيال ، وحكم الأمم تجري في امثالها ، والمثل قطعة ادب شعبي ينطوي على انتقاد لاذع للحياة .

وذهب الكثير من الاهازيج مذهب الامثال لدعم رأي او انكاره او لغرس حكمة . واورد هنا بعضا من هذه الاهازيج ...

(مثل اخوة زينب ظلينا)

في اذار عام ١٩١٨ م هاجم النجفيون مركز الحامية الانكليزية وقتلوا الكابتن (مارشال) وحاصر الجيش البريطاني مدينة النجف اربعين يوما وقطع عنها الماء والطعام ومات الكثير منهم جوعا وعطشا واستمر القتال بين ابناء المدينة وبين الجيش البريطاني طيلة هذه المدة وبعدها فشلت الثورة وتفرق الناس عنها لما اصابهم من ويلات الحصار ولم يبق من الثوار الا قلة قليلة تجمعت في الصحن الحيدري بزعامة المرحوم (كاظم صبي) فقالها مشيرا بها الى واقعة عاشوراء وبقاء الحسين وقلة قليلة من اقاربه واصحابه وحيدين في مواجهة الجيوش الجرارة ، وذهبت هذه الاهزوجة مذهب المثل الشائع تضرب في المناسبات المشابهة .

(يا مسرع دورة گنداغچ)

وتشير هذه الاهزوجة الى الذين ينقلبون على اصحابهم فيكونون مع الاعداء عليهم

(لاما گدرها يغص بيها)

وتقال للذي يحاول أن يتحمل اكثر من طاقته

(مزلاك الدنيا امش براضه)

وتقال للمتجبرين والمختالين ان لا يأخذهم الغرور فيسقطون كما سقط الكثيرون من قبلهم

(يدرد علمتك عاللوچه)

وتقال للذين لم تكـن لهم القـدرة على العمـل ولم يتدربوا عليـه فيزاحمون من كان لهم الفضل بذلك

(يردس حيل الماشايفها)

تقال للذين يدعون الشجاعة وخوض المعارك ويتصورونها امرا هينا

(هزوله الجنطه وهز ذيله)

تقال بحق الخونه الذين يبيعون ضمائرهم للطغاة الظالمين ، قيلت بحق احد شيوخ العشائر حين تخلى عن الحقوق التي ثارت من اجلهـا الجماهير الفلاحية سنة ١٩٣٦م

(الكفت بالعش مامونـه)

تقال للذين يؤثرون العزلة والابتعاد عن دخول المعامع

اللغة ووسائل التعبير عند الغجر ا

ترجمة : لطفي الخوري

لغة الغجر :

ان اللغة الغجرية ، هكذا تسمى بالضبط ، او « الغجرية الاساس »، هي (الروماني ــ romani) او (رومينز romanes) ، من (روم ــ rom) اي « انسان » .

لقد اثبتت الدراسات الغجرية التي امتدت لقرن من الزمن ، ان هذه اللغة ذات اصل هنــدي ، اذ ان اكثر من نصف مفرداتهــا مرتبط بمجموعة من اللغات او اللهجات التي ما زالت مستعملة حتى يومنا هذا في شمالي الهند وفي حوض نهر الكنج وفي شمال غربي دكا . ومن المعروف ان هذه اللهجات مشتقة جميعا من لغة أم واحدة غير موجودة الان ، الا عن طريق اعادة تركيبها ، ومن ضمنها السنسكريتية التي تعتبر من اهم تفرعاتها ومن بينها نجد الهندي والكجراتي والماراثي والكشميري ، كما ان (الرومينز) من احداها ، واستنادا الى ما ذكره (بيير ميل ــ Pierre Meile) استاذ اللغات الشرقية الحديثة في مدرسة اللغات الشــرقية الوطنية ، ان للغة الغجرية قواعد ومفــردات لا يمكــن توضيحها الا عن طريق السنسكريتية « ان مفرداتها الاساسية قريبة جدا من الهندية وان هذه القرابة واضحة وملموسة » .

وفيما يلي جدول ، كالمعتاد ، بالاعداد الأصلية على سبيل المثال :

العدد	هندي	غجري روماني	غجري يوناني	غجري ارمني	غجري سوري
١	ek	ék	yek	yaku	yoka
٢	do	dui	dui	dui	di
٣	tin	trin	trin	t'rin	taran
٤	car	chtar	(i) star	ch'tar	star
٥	pansh	pansh	pansh'	bensh'	punj

وفيما يلي ايضا بعض الامثال لكلمات (روماني) التقطت عفوا من بين تلك التي سجلها (جول بلوش) ، مع ما يقابلها في الهندي وترجمتها العربية :

غجـــري	هنـــدي	عربـي
yakh	akh	عين
yag	ag	نـار
kalo	kala	أسود
ker	kar	يفعل ، يصنع
khil	ghi	زبـد
kin	kin	يشتري
amaro	amara	ملكنا

وفيما يلي جملة تم تكوينها بنفس الاسلوب بالغجري والهندي ، قام بها (فرانز دى فيل)[١] :

غجري : dja, dik kon tchalavelo o vurdo.

هندي : dja, dekh kon tchalaya dvar ko.

عربي : اذهب وانظر من يدق على الباب .

ان تصريف الافعال والاسماء قريب جدا من الاسلوب الهندي ، كما ان علامة المؤنث حرف (i) مثلا موجودة في كل منهما ، فمثلا (kali) في الغجري هي (kali) في الهندي وكلتاهما تعني (سوداء) .

فان كانت لغة (الروماني) تصنف ، بدون ادنى شك ، ضمن عائلة اللغات الهندية المذكورة ، فمما لاشك فيه ايضا انها تضمنت مفردات غير هندية وعلى نطاق واسع ، ولكونها بالاساس لغة شـعب مترحل فقـد اقتبس اعدادا كبيرة من الكلمات الاساسية المتواجدة في الاقطار التي مر بها او استقر فيها . وعلى هذا فمن الممكن ان نلاحظ اعدادا كبيرة من الكلمات ذات جذور فارسية ، كما ان « هناك من الاسباب ما يفترض معهـا ان الشعب الغجري قد عاش لفترة ما في افغانستان خلال الحقبة التي كانت فيها اللغة الهندية سائدة في ذلك القطر ، والتي تقلصت منسحبة الى الهند تحت التأثير الفارسي »[٢] .

اما اللغة الثانية التي عملت على اغناء (الروماني) بكثرة فهي اللغة اليونانية الوسيطة ، ولم تتبدل الكلمات بصورة ملحوظة ، حتى أن بعضها لم يتبدل قط ، فنجد كلمة (drom) طريق ، و(kakalo) ســاق ، و (forco) مدينة ، و (octo) ثمانية ... ومن المحتمل ايضا ان الغجر اقتبسوا هذه المفردات اليونانيــة من اليونانيين الذين سـكنوا آسـية الصغرى وليس من شبه الجزيرة نفسها . ومن الملاحظ ان تأثير هــذه المفردات اليونانية مازال واضحا في جميع اللهجات الغجرية في اوروبــة وحتى في مقاطعة ويلز في بريطانية .

كما تضمنت (الروماني) العديــد من التعابــير الارمنية ومنها : (grast) حصــان ، و (bov) موقــد ، و (kator) قطعـــة ، و (ossetic) عربة ذات عجلات او دار متنقلة (وهي بالذات vurdon الشهيرة) ، كما اقتبست العديد من المفردات الكردية وحتى الاوكرانية ومنها (kurve) مومس . بالاضافة الى عدد لا يحصى من مفردات لغات الشرق الاخرى . اقتبس الغجر لدى وصولهم اوروبة العديد من التعابير الرومانية والهنغارية والبولونية والسلافية والالمانية والصربية .

ان التحري الدقيق عن هذه الاقتباسات ، قد يساعدنا على تكوين فكرة اكثر دقة عن الطرق التي سلكها الغجر في هجراتهم ، ومن ذلك فان لغة غجر فنلندة تحتوي على كلمات سويدية وليس على كلمات روسية ، وعلى هذا فالمرجح انهم جاؤوا الى فنلندة عن طريق الغرب ، هذا ومن جهة اخرى نجد ان هذه « الترقيعات » اللغوية تسبب بعضا من الفوضى في البحث ، وخاصة عندما يكون المرء متأكدا ، مثلا ، من ان لهجة غجر شمالي روسية تحتوي على اصول يونانية وصربية وهنغارية والمانيــة وبولونية ، وبعبارة ادق ان رسم خارطة تبين فيها طرق هجراتهم على اساس هذا الخليط اللغوي تكون اشبه بشلة مبعثرة من خيوط الغزل من المستحيل حلها ، او كما يقول المثل الشعبي « شليلة وضايع راسها » .

على ان الاعجب من هذا كله ، استقرار هذه الاقتباسات في اللغة الغجرية ، فنجد في لهجة بعيدة جدا عن « موطنهم الاصلي » في ويلز مثلا ، ان نفس الكلمات اليونانية والفارسية والارمنية وغيرها ما زالت مستعملة حتى اليوم .

هناك العديد من العبارات ادخلت على هذه اللغـة (الروماني) الاساس وان محاولة ايجاد حد فاصل بينها يبدو دون اية فائدة ، اذ ان التحريف الذي اصابها متعدد جدا ، كما انه يعتمد ايضا على تنـوع الجماعات الغجرية نفسها ، وحتى في القطر الواحد نجد اختلافا فيما بينها ، اذ يكفي المرء ان يحضر الحج السنوي الذي يقوم به الغجر الى (سنت ميرى دى لامير) ويصغي الى الغجر من حوله ، فسيلاحظ هذا الاختلاف والتنوع في اللفظ بين جماعة واخرى ، وهو امر فيه الكفايـة لتثبيط الهمة في هذا المجال . ومن تجربتي الشخصية وبعد جهد جهيد في تعلم بعض التعابير منذ سنوات ، مثال (latchi rat) اي « مساء الخير او تصبحون على خير » ، لاحظت ان تسع مرات من اصل عشر عند استعمالي هذا التعبير الذي تعلمته من غجر قيل لي انهم « هنغاريون » لا يلفت اسماع جيرانهم في العربة المجاورة ، ولم استطع التفريق البتة ان كان يجب ان اقول (latcho ghes) او (latcho dives) لاتمنى لهم « يوما سعيدا » !

من الصعوبة بمكان تقدير عدد اللهجات الغجرية بصورة دقيقة ، فمن اللهجات الرئيسـة : الغجرية الارمنية (في مناطق ما وراء القفقاس) ، والغجرية الفنلندية والغجرية القاطالونية ، والغجرية الاندلسـية ، واخيرا هناك لهجة الينيش (yénisch) التي تستحق اهتماما خاصا ، وهي الهجة لاتعود لمجموعة لغات الروماني ، اذ لايعتبر شعب الينيش غجريا،كما ان اللهجـة نفسها تعبير مشـتق من الروتويلتش(Rotwelsch) (٢) الالماني ، الا انها متأثرة بلغة الياديش (yadish) بصورة ملحوظة بالرغم من ان الينيش ليسوا يهودا ، مع تأكيدنا على هذه الناحية ، ان وجود كلمات من الياديش في الينيش له نتائج غريبة في ادخال بعض التعابير العبرية على اللهجات الغجرية في المانية .

نجد ان خيتانو اسبانية ، بالرغـم من تذكرهـم القليل من لغـة الروماني ، فقد حافظوا على نوع من اللهجة الاصلية ، فمثلا نجد كلمة (caló) ـــ وهي كلمة جذرها (kala) اي اسود والتي شـرحنا خاصيتها سابقا، هذا بالاضافة الى وجود اكثر من الفي كلمة مشتقة من

اللغة العربية ، وهذا ما يؤكد لنا من ان هجرة الخيتانو الى اسبانية كانت عبر الشمال الافريقي العربي ، ومهما كان اصل كلمة (caló) فانها قد تركت الكثير من آثارها على الحياة اليومية الاسبانية [٤] . وقد التقط (لافوانت) من بين العديد من التعابير الاخرى ما يلي : (gacho ــ حبيب) ومؤنثها (gachi ــ حبيبة ، محظية) ، (gili ــ مغفل) و (sandunga ــ اناقة ، رشاقة) و (chunga ــ دعابة ، مزاح ، مرح) و (La Chunga ــ الفتاة المرحة) وهو اسم الراقصة الخيتانية الفاتنة التي تطوف العالم الان . و (najarse ــ يخرج ، بعيدا) وهي مشتقة من الكلمة الغجرية (natchav) و (cate ــ يضرب ، يصفع) و (mangante ــ شحاذ ، متشرد) و (camelar ــ يغري ، يغازل) و (canguelo ــ خوف ، ذعر) و (ful ــ زائف) و (fulero ــ محتال) و (acharar ــ يغيظ ، يجعله غيورا) و (terne ــ حسن ، مرحى) والخ ....

وفي البرتغال اصبحت (caló) (calao) ، وهي لهجة بنفس التركيب الخيتاني الاسباني ، الا انها تضمنت العديد من التعابير البرتغالية .

فان كانت اللهجات الغجرية قد تبنت العديد من التعابير والكلمات من الاقطار التي مر بها الغجر ، فانها ساهمت والى حد بعيد في اغناء اللغات الاوروبية ، وقد ظهر هذا واضحا في اللهجات المحلية لتلك الاقطار وخاصة العامية منها التي اشتقت العديد من كلماتها وتعابيرها من اللهجات الغجرية ، الا انه يلاحظ ان بعضا من هذه التعابير قد دخل ايضا الى اللغة الشعبية نفسها واصبح جزء من الكلام المردد اليومي ، ويبدو هذا واضحا جدا في اللغات الاسبانية والانكليزية ، اما في الفرنسية فكان تأثيرها اوسع ، وقد بدا هذا واضحا منذ القرن التاسع عشر ، على ان ايراد نماذج من هذه التعابير والكلمات الغجرية يتطلب جدولا طويلا لا مكان له الان .

الكتابة

لاحظنا سابقا ان الغجر لم يتعودوا على استعمال الكتابة ، وقد شرحنا اسباب ذلك على قدر الامكان ، ومع هذا فقد قام عالم الغجريات (جه ى . اى . ديكورديمانش) بنشر كتاب « علم نحو وصرف اللغة

الفجرية او لغة البوهيميون الرحل »[٥] ، ووضع في اخره جدولا بالف باء الفجرية ، وعلى كل حال لا يعقل ان لفويا كانت مؤلفاته تعتبر مصـــدر ثقة في زمانه ، يمكن ان يخترع كل ما جاء به ، ان جداول الالف باء برمتها مع مجاميع العلامات التي كانت مستعملة في اللغة الهنغارية واللغة التركية القديمتين مع نماذج محددة منها ، يمكن العثور عليها في كتاب (ارنست دوبلهوفر) الاخير[٦] .

استنادا الى ما جاء به (ديكورديمانش) ، تتكون الالف باء الفجرية من ثلاثة وعشرين رمزا ، خمسة منها صوتية ، وثمانية عشر ساكنة ، كما ان لها ثلاثة اشكال ، يعتمد كل شكل على من يستعمله :(١) الفباء الاطفال (c'avorengera kripta) و (٢) الفباء الكبـــار (الرؤساء) والموتى (purengera kr.) و (٣) الفباء الرجال (rumengera kr.) ، وبامكان المرء ان يتخيل من هذا التمييز الافتراضي من ان « الكبار » او الرؤساء اي رؤساء العشائر ، يستعملون كتابة (يدوية) سرية لا يفهمها افراد العامة من العشيرة ، وان هؤلاء الاخيرين ، بدورهم ، لا يرغبون ان تفهم النساء والاطفال معاني رسائلهم ، ولكن مهما بدا هذا الامر غريبا ، فان الفباء الاطفال مشتقة من الفباء الاخرين .

ان الكتابة الفجرية اشبه ما تكون بالهيروغليفية ، فالحروف الصوتية التي تمثل خمسة اجناس مختلفة : (A ــ المحايد البسيط ، O ــ مذكر ، I ــ مؤنث ، E ــ المحايد المركب ، U ــ المحايد المطلق) تمثل عناصر جنسية : الشكل رقم (١) .

A	(المحايد البسيط) يمثله	I	عصا منفردة ، علامة الخصي
O	(المذكر) يمثله	b	قضيب
I	(المؤنث) يمثله	B	فرج
E	(المحايد المركب) يمثله	B	قضيب وفرج معاً
U	(المحايد المطلق) يمثله	▶	غياب الجنس

شكل رقم (١)

ان هذه الوضعية العمودية للحروف الصوتية هي اصوات لفظية « اى حروف لفظيــة صوتية) ، الا انها ان كتبت افقية تعني الصــنف وتوضع امام كلمة ما ، وهي التي تقرر معناها العام :

(A) أرض ، مكان ، مأوى

(O) قوة (عنف) ، حرارة ، ضوء

(I) مخاط ، سائل

(E) وجود ، شيء

(U) صراخ ، كلمة ، ضوضاء

شكل ، قمر «>»

هذه بالنسبة الى الفباء الاساسية للاطفال ، اما على مستوى الكبار « الرؤساء) والرجال فتستعمل الرموز الكتابية التالية :

للرجال	للرؤساء	
Ր	I	(A)
P	Ъ	(O)
B	B	(I)
Ƅ	Ɓ	(E)
Ϸ	D	(U)

شكل رقم "٣"

كما ان هذه ، ان وضعت افقيا فانها تفيد المعاني المشتقة الموجودة في الفباء الاطفال .

اما بالنسبة الى الحروف الساكنة فانها ترمز بشكل تخطيطي الى النموذج الاصلي للشيء المقصود ، يتم اختياره ليمثل كلمة تبتدىء بالحرف ذاته ، كما هو الحال في حروف A-B-C بالنسبة لاطفالنا : فحرف (A) يرمز الى (apple) اي تفاح والى اخره .

تكتب الكلمات مربوطة بكل علامة بخط عام افقي فوقها ، ولا يشك المرء ابدا بمدى مشابهتها للكتابة الهندية ، فالكتابة (اليدوية) للاطفال وتلك للرؤساء تبدأ من اليسار الى اليمين ، اما تلك الخاصة بالرجال فهي عمودية تبدأ من الاسفل الى الاعلى وعلى محور ، اما الحروف الصوتية (فتحشر) او (تعلق) على المحور من جهة اليمين والحروف الساكنة على يسار المحور وتبدأ من الاسفل الى الاعلى .

فيما يلي جدول بالالفباء الغجرية كما دونها ديكورديمانش :

للرجال		للرؤساء		للأطفال		
┼	Ր	⊢	I	—	I	A
┬	Þ	ʊ	b	σ	b	O
┼	B	ω	B	ω	β	I
╬	ɮ	ɷ	Ƃ	ώ	B	E
┼	Þ	ᑌ	D	▽	▷	U

الحروف الصوتية

شكل رقم ٤٠

وسائل التعبير

ان لم يكن للغجر نظام كتابي بالمعنى المفهوم لهذا التعبير ، فانهم مع هذا يستعملون قائمة كاملة من العلامات الاصطلاحية المتفق عليها تمكنهم من التفاهم بصورة مرئية في الوقت المناسب ، ان النظام السري هـذا يسمى (patrin) ـ مشتق من كلمة patran وتعني ورقة شجرة ـ، وتتكون هذه العلامات الاصطلاحية من مـواد معينة تلتقط من الطبيعة (ريش الطيور ، قطع صغيرة من الخشب ، بقايا طعام والى غير ذلك) هذا من جهة ومن جهة اخرى فانها تتكون ايضا من علامات تحفر او ترسم .

وعندما تريد عشيرة ما ان تترك علامات عند مرورها بمخيم ما او ان تترك رسالة لمن قد يأتي بعدها الى نفس المكان ، فتعمد على الاغلب الى وضع هذه المواد بشكل معين للدلالة على ما يريدون قوله . فعلى سبيل المثال فان الاعلان عن ولادة طفل يتم بربط غصن نبات البيلسان على شجرة بخيط احمر ان كان المولود صبيا ، وبخيط ابيض ان كان المولود صبية ، وترافق هذا الاعلان علامة العشيرة او علامة العشيرة التي يوجه اليها بالذات هذا الاعلان .

الحروف الساكنة

مساوي	الاسم		للأطفال	للرؤساء	للرجال	اللفظ
M	فم	muï	⊖	⊖	ᒉ	م
P	قدم	paï	⊿	⊿	◁	پ
B	عصا	baï	˥	Ƭ	ᑫ	ب
V	مسافر	vaï	Λ	△	ᕁ	ڤ
F	بئر / عين ماء	faï	T	Ƭ	ᕼ	ف
K	خيمة	Ker	Δ	Δ	ᓇ	ك
G	جزدان / حقيبة	gon	8	⊖	ᓄ	گ
H	قوس / سهم	herKo	ᗺ	ᗺ	ᗺ	هـ
T	تراب	tem	M	M	◻	ت
D	دار	dom	Ω	Ω	ᑓ	د
N	أنف	nak	Λ	Λ	ᒣ	ن
R	شجرة	ruK	⇑	♀	ᓂ	ر
L	پاون (عملة)	lir	▯	Ⅱ	ᑕ	ل
S	نجمة	sin	⊙	⊙	ᑫ	س
S'	قمر	s'on	○	○	ᓀ	ش
C'	منقار	c'oK	>	V	ᕗ	چ (تش)
J	شخص	jine	Ψ	Ψ	ᕼ	ي
K'	سيف	K'ando	↓	✝	ᓂ	خ

لكل عشيرة غجرية بالواقع علامتها المميزة لهـا ، كمـا ان بعض التقاليد تجعل من رئيس العشيرة حاملا لهذه العلامة التي تعتبر سرية ، وتحفر العلامة المميزة بدقة تامة داخل عصا صولجان الرئيس المكون من قطعتين ، ويبدو لاول وهلة ان هذه العلامة تعكس الطوطمية القديمـة للغجر ، ومن ذلك ان علامة بعض الجماعات الغجرية الالمانية هي شجرة البتولا[٧] او شجرة القيقب[٨] او شـجرة البيلسان ... ومن الملاحظ كذلك ان هذه الطوطمية تبدو ايضا نباتية الصنعة ، ولعل مرجعها يعود الى العبادة القديمة للشجرة التي سبق ان تكلمنا عنها ، ومع ذلك نجد ان علامات بعض العشائر مشتقة من عالم الحيوان (القنفذ مثلا) او من عالم الافلاك (نجمة او مذنب) .

يضع رئيس العشيرة علامته الشخصية تحت علامـة العشـيرة ، وتتكون من مواد متعددة ومعقدة ، فنجد فيها عناصـر او ما يمثل تلك العناصر وباشكال متنوعة جدا فمنها : عصا من خشب شجرة البندق ، شعر الخيل (شعر الرقبة او شعر الذيل) ، اشواك القنفـذ ، حبوب القرع (اليقطين) ، حبوب الفاصولياء ، حبوب نبات الداتورا[٩] ، قطعة من قماش ، واحيانا خطوط بسيطة محفورة لونت بالسواد بواسطة الفحم رسمت على شكل ثلم افقية وعمودية . وتستخدم هذه العلامات لكتابة الوصية ، وهكذا ان رغب رئيس العشيرة بترك ممتلكاته ولنقل انها مكونة من ثمانية خنازير وحصان وعربة وخيمة فانه يحفر هذه الرسالة :

الا ان (للباترين) هذا استعماله اليومي الخاص ، ويستخدم خاصة للتأشير على الجدران الخارجية للمزارع والمساكن لغرض تقديم معلومات معينة يحتاجها هذا الشعب المترحل ، وبالواقع فان المساعدة المتبادلة بين الغجر تتطلب مثل هذه المعلومات ، فعند بقاء عشيرة ما قرب قريـة ما ، عليها ان تترك رسالة موجهة الى العشائر الاخرى التي قـد تمـر بالمكان ، وعلى أن تحتوي هذه الرسالة على اكبر قدر ممكن من المعلومات التي تمكن الاستفادة منها للاغراض التجارية او الاحتياطية . وهكذا تتجه اولا امراة غجرية الى المزرعة متظاهرة بانها تبيع بعض الافرشة او لتقرأ الطالع ، وتعمل جهدها لكي تحمل زوجة المزارع على الكلام كثيرا ، فتعرف منها اهم القضايا التي تتعلق بالعائلة ، كعدد واعمار الاطفال ومن كان مريضا منهم والى غير ذلك ، وعند انصرافها تؤشر على الحائط او ترسم

بالطباشير او الفحم علامات لا يفهمها الا جماعتهـا من الغجـر وكيفية الاستفادة منها ، وبعد مضي فترة زمنية وعندما تأتي امراة غجرية اخرى الى المزرعة وتلاحظ هذه العلامات يكون باستطاعتها ان تقرأ وتكشـف للزوجة المشدوهة كل ما يتعلق بعائلتها من امور وتفاصيل .

وبالواقع ان هذه العلامات هي رموز بسيطة للغاية الا انها متعددة جدا ، وكنت قد آليت على نفسي ان ابقى صامتا حيالها ، الا انه وعلى سبيل المثال اعيد هنا نشر علامات (الباترين) هذه التي سبق نشرها على صفحات الجرائد والمجلات ولا يخفى انها ليست دقيقة تماما ، الا انهـا تعطي فكرة واضحة عن الرمـوز التي يستعملها الغجـر (١٠) . (لاحظ الشكل رقم ٧ على الصفحة التالية)

يمكن مقارنة العلامات في (الباترين) الغجري مع تلك العلامات التي يستعملها المتشردون في جميع الاقطار ، الا ان بعضها يختلف بين قطـر وآخر . وعلى كل حال يشير المثلث الى صعوبة ما او الى رفض ، وتعني الدائرة الشيء الحسن (تجارة رابحة مثلا) .

في النهاية أود ان اذكر ، ان مشكلة اسكان الغجر وتوطينهم قد تم حلها في العديد من اقطار العالم ، الا انها في اقطار اخرى ما زالت مشكلة معقدة لم يتم حلها الى الان .

- لا يعطون هنا شيئاً
- لا يرحبون بالمتسولين
- أناس خيرون
- أناس خيرون جداً وأصدقاء للغجر
- يعتبر الغجر هنا لصوصاً
- لقد سرقنا هذا (المكان)
- يمكنك قراءة الطالع بالورق
- تريد سيدة الدار طفلاً
- لا تريد سيدة الدار أطفالاً بعد
- ماتت امرأة عجوز قبل فترة ما
- مات رجل عجوز قبل فترة ما
- في حالة خصام حول إرث
- مات سيد الدار منذ مدة قريبة جداً
- ماتت سيدة " " " " " "
- سيدة الدار فاجرة
- سيد الدار يحب النساء
- زواج عن قرب

شكل رقم ٧٠

(١) في هذا المثال نجد ان الكلمة الفجرية (عربة vurdon) حلت محل كلمة (باب) .

(٢) Meile, op. cit.

(٣) الروتويلتش ليست لغة يتكلم بها بصورة اساسية ، بل هي نوع من التعابير العامية الخاصة ، اشبه بالتعابير السرية التي يستعملها اللصوص والخارجون على القانون في العديد من الاقطار .

(٤) Carlos Claveria: Estudios Sobre los gitanismos del Español, Madrid, 1951.

(٥) Grammaire du Tchingané ou Langue des Bohémiens errants, 1908.

(٦) Le Déchiffrement des écritures, Arthaud, 1960.

(٧) البتولا : اشجار حرجية من فصيلة البقوليات ، جميلة الشكل جيدة الخشب ، يزرع منها بكثرة في روسية حيث يستخرج منها العفص ـ المنجد .

(٨) القيقب : جنس شجر من فصيلة القيقبيات ، انواعه كثيرة أوراقه راحية الشكل ، يزرع بعض انواعه للتزيين في الحدائق وعلى الاخص في الاماكن العامة ـ المنجد .

(٩) الداتورا : نبات ذو خاصية تخديرية ـ المنجد .

(١٠) نشر هذه الرموز Jean-Luis Fèvre في كتابه :
Les Fils du Vent, 1954.

وعلى الرغم من التعاطف الكبير مع الغجر الذي تضمنه الكتاب الا انه لا يمكن عدم الشك فيما اثبته .

منهج ابن خلدون في تفسير التراث الشعبي

نجاح هادي كبة

لم يكن ابن خلدون جمّاعا للمادة الفلكلورية كالمقري وابن عبد ربه وابي علي القالي ممن جمعهم مع الرابط المكاني وهو ارض الاندلس ظروف الثقافة العربية والاسلامية بل قد تعداهم الى عرض الكم على الكيف واستقراء النتائج بشكل تصوري وتمييزي وتفسيري مما سجل له قصب السبق على الباحثين الفلكلوريين المعاصرين ، لقد رصد ابن خلدون مجموعة الظواهر الشعبية لشتى الفئات الاجتماعية في امكنة وازمنة متباعدة بالمشاهدة المجردة والاختلاط والسماع (لان اكثر ما ينتحل من السحر بصبح الانعام يرهب بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم مستترون بذلك في الغاية خوفاً على انفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه بذلك واخبروني ان لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وأشراك الروحانيات الجن والكواكب)(١) فالمشاهدة المجردة والاختلاط منهج ابن خلدون في المسح الكمي للظواهر الشعبية وغيرها النقل من بطون الكتب القديمة فكثيراً ما يقول رأيه ليضيف معرفة جديدة الى ما سبقه من اجل جمع التراث الشعبي وتمحيصه : (وقد نقل المؤرخون ان زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المئيني العددي منسوجاً بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل فارس وشتاتهم وهو فيما تزعم اهل الطلسمات والاوفاق مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي يكون فيها او معها لا تنهزم اصلا الا ان هذه عارضها المدد الألهي من ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل)(٢) وبالرغم من وقوع ابن خلدون في التأثر بالعامل الديني في تحليلاته الشعبية دون المنهج التجريبي الا انه كان مهتماً في الاعتماد عليه في المسح الكمي فنرى القران والحديث واخبار الصحابه وما قالوه في التفسير او القصور في الحدس والاستدلال والنقل خيرذخيرة له في شعبياته : (واعلم ان وجود السحر

لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشيطان كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها مايفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان فأنزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد . قالت عائشة رضى الله عنها كان لايقرأ علـى عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت)(٣) وغير التأريخ والتراث الديني كان الرجال ومؤلفاتهم في عصره وقبله خير زاد له للجمع الفلكلوري : (واما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وان مال بعض العلمـاء الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني من ائمة الاشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة)(٤) وقال عن الاحلام : (يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع اخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع اخر يقولون تدل على الحياة وامثـال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكليـة ويعبر في كل موضع بما تقضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو اليق بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ماينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه .... وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والف الكرماني فيه من بعـده ثم الف المتكلمـون المتأخرون واكثروا والمتداول بين اهل المغرب لهذه الكتب كتب ابن ابي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغـيره وكتاب الاشـارة للسالمي وهو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة التي بينهما)(٥) ويتعدى ابن خلدون البيئة العربية والاسلامية في المسح الفلكلوري الى اليونان : (وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيراً ويتخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهـم ذات الحلق ... وليست على ما يفهم في المشهور انها تعطي صورة السماوات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة)(٦) ويقول (ومن أحسن التآليف فيه كتاب المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين اسماؤهم بطليموس على ما حققه الشراح)(٧) وحين نخرج من دائرة العقل والنثر نراه يعتمد الشعر في تجميع مادته الفلكلورية خاصة في موضوع كتبه في المقدمة في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفسـاد غايتها وفيه يقول (هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم . العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات

العنصرية مفردة ومجتمعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث)(٨) وينقل شعراً لابي القاسم الرومي من شعراء اهل الاندلس يستنكر فيه هذه الصناعة والخرافة :

يا راصد الخنس الجواري	ما فعلت هذه السماء
مطلتموها وقد زعمتم	انكم اليوم املياء
مر خميس على خميس	وجاء سبت واربعاء
ونصف شهر وعشر ثان	وثالث ضمه القضاء
ولا نرى غير زور قول	اذاك جهل ام ازدراء
انا الى الله قد علمنا	ان ليس يستدفع القضاء
ما هذه الانجم السواري	الا عبادير أو إماء

وابن خلدون لايكتفي بالمسح الفلكلوري اعتماداً على مصادره التقليدية السالفة فهو وان وقع في التفسير تحت تأثير العامل الديني كما في تفسير شطحات الصوفية والرؤيا والسحر كما سبق وبما لايرضي الله ورسوله احياناً كثيرة خاصة فيما يتعلق بالغيب فقد قال الرسول (ص) معبراً عن نكران المعاجز غير القرآن في عصره : (لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني الشر) واقواله في غمائم السماء وادعاء بعض المسلمين انها كانت حزنا على وفاة ابنه القاسم فقد حدث ذلك في يوم وفاته ، لقد انكر ذلك رسول الله ونفى وجود السبب والمسبب لهذا الاقتران ومع جملة الاحاديث كهذه نرى ابن خلدون في غير التفسير الديني ماديا مثاليا سبق هيگل ، ونفسانيا من خيرة العلماء الاقدمين في شروح النفس وتفسير الظواهر الفلكلورية على ضوئها، واجتماعياً يعلل طبائع المجتمع الشعبي خاصة قبل كانت ودور كايم فقد سبق كانت في الفصل بين الروحاني والجسماني ودور كايم في امتناع الفصل بين التأريخ والاجتماع فحشد معلومات شعبية لدراستها على ضوء علم الاجتماع استقاها تأريخياً وفسر بالروح اموراً فلكلورية كثيرة مشيراً أن لا علاقة للجسم فيها كقوله : (وسمعنا ان بأرض الهند لهذا العهد من يشير الى انسان فيتحتت قلبه ويقع ميتاً وينقلب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا رأينا من عمل الطلسمات عجائب في السحاب فيمطر الارض المخصوصة)(٩) ويفسر ابن خلدون ذلك : (... من جهة التصورات النفسانية اخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط او جعل منتصب اذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا اشك ولهذا تجد كثيراً من الناس يعودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب

ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك اثراً للنفس في بدنها من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية)(١٠) وبالرغم من تفسير ابن خلدون الكيفي دون المبرمج والمعمم للتجربة فان (استخدام المعطيات الكمية عن الظواهر الاجتماعية « لم تقتصر » في تلك الحضارات القديمة على خدمة الاغراض النظرية فحسب بل شمل ذلك الاستخدام تحقيق اهداف عملية . ومنذ ذلك الوقت تقدمت العلوم الرياضية ، وبتقدمها ارتقى كذلك الاتجاه الكمي في دراسة الظواهر الاجتماعية وظهرت معالم ذلك واضحه في الفترات التأريخية اللاحقة)(١١) فنرى ابن خلدون في تحليلاته الشعبية للظواهر الفلكلورية مستنداً على المنهج القياسي العملي الذي يعطي تفسيرا تحليليا ناجعا مثل قوله في (ذكر اسماء تذكر عند النوم فتتكون عنها الرؤيا فيما يتشوف اليه ويسمونها الحالومه وذكر منها مسلمة في كتاب الغاية حالومه سماها حالومه (الطباع العام) وهو ان يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الا عجمية وهي تماغس بعد انيسواد وغداس نوفنا غادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم)(١٢) ويضيف (وقد وقع لي انا بهذه الاسماء مراء عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف عليها من احوالي)(١٣) لكنه يضيف (وليس ذلك بدليل على ان القصد للرؤيا يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوي الاستعداد كان اقرب الى وصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء)(١٤) واذا كان مصطلح الشعور واللاشعور والانا الاعلى والذات والانا الاسفل وكبت اليقظة ورؤية الحلم كمعادل موضوعي للواقع المعاش وانعكاس له فان ابن خلدون كان اقرب لهذا الفهم المادي من غيره الذين فسروا الاحلام كالدميري في حياة الحيوان الكبرى بناء على امور مثيولوجية لاتستند للواقع ولا تعبر عنه بقدر ما تلتحم بمشاكل خلقتها وهي الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، يقول محمد عارف :
(وقد ظهرت الاسس والمبررات المنهجية للمسح الكمي للظواهر الاجتماعية اوضح ما تكون في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ذلك انه قد ظهرت خلال هذين القرنين حركة فكرية تحاول وضع علم كمي عام من له الفروع ما يتناول الظواهر النفسية والاخلاقية والاجتماعية وكان المبرر لهذه الحركة الاعتقاد بان القياس هو وحده الذي يكشف عن القضايا الصادقة وانه بدون الرياضة يعيش الانسان كما تعيش الحيوانات والوحوش وقد ظهرت في اطار هذه الحركة الفكرية الملامح

الاساسية للفزياء الاجتماعية التي تضع تصميماً لدراسة الظواهر الاجتماعية على هدى من منطق ومنهج الميكانيكا الفزيائية والهندسة)[١٥] وبالرغم من بداءة ابن خلدون في الدراسات الرياضية والهندسية والاحصائية وانعدامها احياناً عنده فانه توصل في المسح الكمي – التفسيري الى ظاهرتين نادى بهما اصحاب المنهجية العملية في مختلف البحوث فقد اهتدى الى ما يسمى بالمسح الوصفي الذي يستهدف فقط وصف الظواهر الاجتماعية للكشف عن وجود الظواهر في قطاع من قطاعات البناء الاجتماعي وقد سبق ذلك في مخالطته السحرة والمنجمين واهل الطشاش والمرايا والفال والكشف عن الغيب في اقليم مصر بالصعيد خاصه : (ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البراري بصعيد مصر شواهد دالّه على ذلك ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص اشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور وامثال تلك المعاني من اسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عيناً او معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب اعده لذلك تفاؤلا بالعقد والزام واخذ العهد على من اشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والاسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفس فتنزل عنها ارواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر)[١٦] اما الظاهره الثانية فهي (المسح التفسيري الذي يستهدف تفسير الظاهره الاجتماعية موضع الدراسة من طريق اختبار مجموعة من الغروض التي تشير الى مجموعة من المتغيرات التفسيرية التي تحدد الظاهره موضع الدراسة)[١٧] وبالرغم من التفسير المثالي عنده فان الجانب المادي له حصة الاسد مما يجعله مادياً مثالياً : (بعد ان اثبتوا انهما جميعاً أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بأن لها آثاراً في بدنها على غير المجرى الطبيعي واسبابه الجسمانية بل آثار عارضه من كيفيات الارواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية)[١٨] وحين يصل الى تفسير السحر مادياً عن طريق التصورات النفسية نراه في منهجه الكمي – القياسي يدون عدة ملاحظات انشأت السحر وغيره ....

١ – الملكة : (صفة راسخة في النفس تحصل عن استعمال الفكر وتكرره مرة بعد اخرى ...)[١٩]

٢ ــ (ان نظرية ابن خلدون في الملكات تستند الى ملاحظة مبدأ نفسي عام : ان كل فعل مادياً كان او معنوياً فكرياً كان او بدنيا لابد من ان يترك أثراً في النفس فاذا تكرر الفعل وتكرر اثره في النفس تولد عن ذلك صفة ثم رسخت تلك الصفة فكونت ملكة والملكة التي تحدث على هذا المنوال من جراء تكرر الفعل تنمو شيئاً فشيئاً تبعاً لهذا التكرار كأنها تتغذى به)(٢٠) يقول ابن خلدون :

(ان الملكات اذا استقرت ورسخت في مجالها ظهرت وكأنها طبيعية وجبله لذلك المحل)(٢١) .

٣ ــ (ان النفس الانسانية وقواها المختلفة لاتظهر دفعة ولا كاملة بل أنها تخرج من القوة الى الفعل شيئاً فشيئاً على التدريج حتى تكمل)(٢٢) ولا يحصل ذلك دفعه وانما يحصل في ازمان واجيال ان خروج الاشياء من القوة الىالفعل لايكون دفعه ولا سيما في الامور الصناعية)(٢٣) ويضيف ابن خلدون مقدماً : (الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط)(٢٤) وعلى هذا الاساس فسر ابن خلدون الاعمال السحرية وأصنافها

١ ــ الناظرون في الاجسام الشفافه من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان ، يقول عنهم : (وربما يظن ان مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لايزالون ينظرون في سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشيرون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفي واثبات فيخبرون على نحو ما ادركوه واما المرآة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركون في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات واكبادها وللناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك)(٢٥) .

٢ ــ من يشغل الحس بالبخور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك ويزعمون انهم يرون الصور متشخصه في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة)(٢٦) .

٣ ــ اهل الزجر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه(٢٧) .

٤ ـ الهجانين فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امزجتهم غالباً وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة في الحواس ولا منغمسة فيها بما شغلها في نفسها من الم النقص ومرضه وربما راحمها على التعلق به روحانية اخرى شيطانية .. فيكون عنه التخبط ... فاذا اصابه ذلك التخبط ... غاب عن حسه جملة وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق(٢٨) .

٥ ـ اما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمون من مبادىء ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة(٢٩) ..

لقد كانت دراسة الملكة الانسانية واثرها عن طريق التكرار ونموها شيئا فشيئا ورسوخها خير من فسر الاعمال السحرية رغم ميتافزيقته في منهجه القياسي ـ الكمي . يقول ساطع الحصري : (ان ابن خلدون كان من الروحيين الذين يعتقدون بوجود روح منفصل عن البدن)(٣٠) ويستشهد بقوله : (ان الانسان مركب من جزئين : احدهما جسماني والآخر روحاني)(٣١) وقوله : (هذا الجزء الروحاني يدرك تاره مدارك روحانية وتاره مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته وبغير واسطة والمدارك الجسمانية يدركها بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس)(٣٢) .

هذه الروح ـ النفس التي شخصها ابن خلدون بدقة عرف كيف يستخدمها بمنهجه القياسي الكمي في تحليل التراث الشعبي في عصره بعد ما اعار للتوهم النفسي والخداع في كشف الاعمال السحرية وغيرها من الموروثات الشعبية .

وعدا المنهج القياسي والكمي والمنهج الكيفي والمثالي لانرى ابن خلدون متبعاً المنهج التجريبي الذي ينجح في مجالات اخرى غير فلكلورية فالتجربة غير القياس تحتاج الى جملة عناصر بعضها علمية مقننة لم يتح عصره في الحصول عليها كالدراسات الرياضية والاحصائية في كشف ضروب الموروثات الشعبية وعلى اكبر قدر ممكن من البشر فكانت نفسه خير من يعينه ، اضافة لذلك في منهجه الاعتماد على الغير دون التمحيص كقوله : (ولقد سألت اكمل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية

وهو الباجر بقي وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ويومي الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف بعينها في ضمنها لمن يراه منهم يظهر نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد مخصوصه)(٣٣) فقوله ولقد سألت ... يظهر تجرد ابن خلدون من استخدام المنهج في الدراسات الفلكلورية اعتماداً على غيره ممن لهم باع في استخلاص النتائج وهو اضعف طريقة في دراسة ابن خلدون المنهجية التي يطغى عليها المنهج الكيفي والمثالي احيانا .

---

١ ، ٢ ، ٣ (ابن خلدون / المقدمة / مطبعة الكشاف ، بيروت) ص٤٩٨ ، ص٥٠١ ، ص٥٠٢

٤ – ن ، م / ص ٤٧٤ .

٥ – ن ، م ، ص ٤٧٧ – ٤٧٨ .

٦ ، ٧ – ن ، م / ص ٤٨٨ .

٨ – ن ، م ص ٥٢٣ ، ص ٥١٩ .

٩ ، ١٠ ، ن ، م ص ٤٩٦ ، ص ٤٩٧ ، ص ٤٩٨ ، ص٤٩٩ ، ص ٥٠٠ ، ص٥٠١

١١ – المنهج في علم الاجتماع / د محمد عارف / ص ١٤٢ / مكتبة الانجلو المصرية/ط ٢ ، ١٩٧٥ .

١٢ – ١٣ ، ١٤ ، المقدمة ، ص ١٠٤ – ١٠٥ – ١٠٦ .

١٥ – المنهج في علم الاجتماع / ، م / ص١٤٢ .

١٦ – المقدمة /ن ، م / ص ٤٩٩

١٧ – المنهج في علم الاجتماع / ن ، م / ص ١٤٣ .

١٨ – المقدمة / ن ، م / ص ٥٠١ .

١٩ – ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ / دراسات عن مقدمة ابن خلدون / حـ٢ ، مطبعة الكشاف ، بيروت ،١٩٤٤ ص ٦٨ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، ص ٨٩

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ / المقدمة / ن ، م / ص ١٠٧ – ١٠٨

٣٠ – ٣١ ، ٣٢ / دراسات عن مقدمة ابن خلدون / ن ، م /ص ٦٨

٣٣ – المقدمة / ن ، م / ص ٣٤٢ .

"حديثة" الفرات

فرحان احمد البياتي

مقدمـة

الحديثة « بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مثناة من تحت وثاء مثلثة وهاء في الآخر »(١) قضاء من أقضية محافظة الأنبار ، تبعد عـن مركز المحافظة بنحو (١٤٠) كيلو مترا ، وعن العاصمة بغداد بنحو (٢٤٠) كيلو مترا .

كانت قبل ان تصبح قضاء سنة ١٩٦٤ ناحية تابعة لقضاء (عانـه) يديرها (مدير ناحية) منذ ان وضع الوالي مدحت باشا التقسيمات الادارية للعراق ، وقبل الاحتلال العثماني كان يديرها (نائب الحديثة)(٢) الذي يعين لها من عاصمة الخلافة بغداد .

وكان لها شأن عظيم في القرن الرابع الهجري اذ كان (حاكم الحديثة) يعين لها من القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية ، فقد ذكر القلقشندي ان حاكمها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية(٣) .

وفي القرن الخامس الهجري قضى فيها الخليفة القائم بأمر الله سنة كاملة منفيا عن عاصمة الخلافة بأمر القائد البساسيري الذي استولى على بغداد آنذاك ، وكان يحكم الحديثة في تلك الفترة الأمير مهارش المجلـي العقيلي . وفي نهاية القرن السادس الهجري أقطعها الامام الناصر لدين الله الى ولده ابي الحسن علي .

وكانت الحديثة في العهد العباسي تابعة لـ (كورة سامراء) التابعة لاقليم العراق ثم لـ (كورة الجزيرة وأعمال الفرات) اي لطسوج الأنبـار أما قبل العهد العباسي فقد كانت تابعة لـ (اقليم بابل)(٤) .

لم اقف على تاريخ بناء الحديثة وقلعتها فيما قرأت من مصـادر تاريخية ، غير ان المتوارث لدى أهاليها من اخبار تشير الى ان أول من اختطها الملك الساساني أردشير بن بابك الذي فتح العراق سنة ٢٢٧ م ، أو شابور ذو الأكتاف ـ اي الملك الساساني شابور الثاني ٣٠٩ ـ ٣٧٩ م

لصد اعدائه الرومان وهجمات البدو الرحل ولتكون مصطافا له ولأعقابه من بعده ،لما تمتاز به من موقع حصين وهواء نقي وظلال وارفة وماء عذب وجو معتدل . ولكن الحقيقة أن تأسيس هذه المدينة أقدم من هذا بكثير ، فان التاريخ يحدثنا بان اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب هي هجرة الاكديين الذين نزحوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات ، فاستقروا في بداية الأمر على ضفة نهر الفرات اليمنى في البقعة الممتدة بين عانة وهيت ــ الحديثة بين هاتين المدينتين ــ وهي أقرب موئل خصيب من موطنهم الصحراوي في بادية الشام . وقد مارس هؤلاء النازحون الى هذه المنطقة حرفة الزراعة التي تعتمد على الري ، وذلك بشق قنوات من نهر الفرات من مسافات بعيدة في مقدم النهر وجر المياه اليها سيحا الى مستعمراتهم الجديدة لان كمية الامطار التي تسقط في هذه المنطقة شتاء لا تكفي لانضاج زروعهم الشتوية ، وانقطاعها صيفا يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية بدون ارواء اصطناعي ، وهكذا دفعت الحاجة هؤلاء المهاجرين الى ان يتقنوا اساليب الري وانشاء جداول تأخذ من نهر الفرات وتمتد الى مسافات بعيدة حتى يصلوا بها سيحا الى الاراضي الزراعية ، كما حملتهم على ان يتعلموا كيف يخزنون مياه الفيضان ضمن سدود ويوزعونها في قنوات لارواء اراضيهم ، وقد مارسوا الزراعة بخبرة ومهارة ، وكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير وكان لديهم الكثير من البقر والضأن والمعزى والحمير والخنازير . الا ان هبوط مستوى النهر في تلك المنطقة في وقت لاحق حرمهم من المياه السيحية التي كانت تروي بساتينهم ومزارعهم فأضطر قسم منهم الى مغادرة ديارهم والتوجه جنوبا ، في حين ان القسم الآخر من السكان اخذوا يستعينون بالنواعير(٥) في رفع المياه الى حقولهم الزراعية(٦) . وان هؤلاء الأكديين قد سكنوا في منطقة الحديثة قرب (عين السوسه) التي سميت هكذا نسبة الى احدى القبائل الاكدية(٧)

ثم تعرضت هذه المنطقة الى غزوات الآشوريين والبابليين والفرس الاخمينيين والساسانيين ولا زالت آثارهم باقية في قصبة الحديثة وقراهـا(٨) .

كما تذكر الكتب السريانية ان الحديثة اصبحت مقرا للسريان الذين هاجروا اليها من سورية وذلك بعد الخلاف الشديد الذي حدث بين امير العرب في سورية المنذر ومن بعده ولده النعمان مع قيصر الروم وذلك سنة ٥٨٤ م حيث قبض عليهما وسجنهما في القسطنطينية مما اضطر العرب ان يلقوا السلاح ويتفرقوا في المدن والقرى في ارض شنعار وآثور وسورية والحديثة وهيت وباعربايي والقريتين من اعمال حمص والنبك وغيرها(٩).

ثم فتحها العرب المسلمون بقيادة (ابو مدلاج التميمي) الذي ارسله عمار بن ياسر والي الكوفة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١٠) .

فتح الحديثة

قال ياقوت الحموي(١١) : « حديثة الفرات وتعرف بحديثة النورة وهي على فراسخ(١٢) من الأنبار(١٣) ، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها . وقال : وجه عمار بن ياسر ايام ولايته الكوفة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا يستغزي ما فوق الفرات عليهم ابو مدلاج التميمي فتولى فتحها ، وهو الذي تولى بناء الحديثة التي على الفرات » .

وقال البلاذري(١٤) : حدثني ابو ايوب المؤدب الرقي عن ابي عبدالله القرقساني عن اشياخه ان عمر بن سعد لما فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى اتى قرقيسيا(١٥) وقد نقض اهلها فصالحهم على صلحهم الأول ثم اتى حصون الفرات حصنا فحصنا ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال ، وكان بعض أهلها ربما رموا بالحجارة ، فلما فرغ من تلبس(١٦) وعانات(١٧)اتى النأوسة(١٨) وآلوسة(١٩) وهيت(٢٠) فوجد عمار بن ياسر وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة وقد بعث جيشا يستغزي ما فوق الأنبار عليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري ، وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان فأمنهم واستثنى على اهل هيت نصف كنيستهم فانصرف عمير الى الرقة . وقال: « حدثني بعض اهل العلم ، قال كان الذي توجه الى هيت والحصون التي بعدها من الكوفة (مدرج بن عمرو السلمي) فتولى فتحها وهو بنى الحديثة التي على الفرات ، ويقال ان مدلاجا كان من قبل سعد بن عمرو بن حرام والله اعلم » .

وقال الاستاذ الأثري(٢١) : « الحديثة عدة مواضع ينسب الى كل واحدة منها (حديثي) و (حدثاني) وحديثة الفرات تعرف بحديثة النوره تمييزا لها عن (حديثة دجلة) التي تعرف ايضا حديثة الموصل ، وعن (حديثة الغوطة (التي يقال لها حديثة جرش(٢٢) ، وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة . وذكروا ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها . وقد تولى بناء الحديثة هذه أبو مدلاج التميمي من قادة الفتح الاسلامي في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

حديثة في المصادر العربية

ورد ذكر الحديثة في كثير من كتب التاريخ والجغرافية والرحلات وسنورد فيما يلي مقتطفات مما جاء في بعضها .

- قال ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م « حديثة الفرات وتعرف بحديثة النورة وهي على فراسخ من الانبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها »(٢٣) وعدد جملة من علمائها واخبارها سنذكر ذلك في بحثنا عن علماء الحديثة . كما ذكرها ياقوت ايضا في كتابه المشترك وضعا والمفترق صقعا بما لا يخرج عما ذكره في معجم البلدان(٢٤) .

- ووصفها صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م بقوله « حديثة الفرات ، وهي حديثة النورة ، فوق هيت ، ولها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها . اقام بها القائم الخليفة العباسي عند ابن مهارش ، وكان صاحبها ، سنة ، واهلها صالحون سنية(٢٥) .... » .

- وذكرها ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م بقوله « الحديثة على الفرات ، تحت عانة وفوق الأنبار ... على فراسخ من الأنبار ، في وسط الفرات ، والماء محيط بها .... ويقال لها حديثة النورة »(٢٦) .

- وذكرها ابن بطوطة في رحلته حيث قال : « .... ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الأنبار ، ثم الى هيت ، ثم الى الحديثة ، ثم الى عانة ، وهذه البلاد من أحسن البلاد واخصبها ، والطريق فيما بينها كثير العمارة ، كأن الماشي في سوق من الأسواق »(٢٧) .

وقال ابن خلدون(٢٨) : « ... وكان يراس مدينة الحديثة جماعة من بني عقيل في القرن الخامس الهجري » .

- وذكرها الغياثي في تاريخه(٢٩) : « ... ثم أن اسپان(٣٠) بعد ان استولى على جميع ولاية بغداد توجه الى الحلة واخذها من السلطان حسين(٣١) وانحدر الى واسط موهما انه متجه الى الجزاير(٣٢) ، وتوجه بالخفية من واسط الى النعمانية والى سلمان الفارسي ثم كمن في دجلة(٣٣) السهروردي وعمل سلالم وجاء نصف الليل الى سور بغداد وذلك ليلة الخميس ثامن عشر شعبان سنة ست وثلاثين وثمان مائة ، فوضعوا السلالم على سور باب الحلبة واخذوا البلد ..... وجاؤا الى بيت شاه محمد(٣٤) وهو مغلق فضربوا الباب بالدبابيس وكسروه ، فهرب شاه محمد ونزل في سفينة وخرج الى الجانب الغربي وتوجه راجلا الى مشهد موسى الكاظم عليه السلام ، وصحبته شاه بوداق ولده ومحمود الحمال ، وكان السيد الجوسقي في المشهد فأعطاهم جمالا ركبوه الى الدجيل وتوجهوا من الدجيل الى الحديثة

فنفق الحمار فحمله محمود الحمال على ظهره الى الحديثة . ولما سمع حاكم الحديثة وكان يقال له (حادث)(٣٥) فتلقاه بالاعزاز والاكرام ومد له الخيل الكثير واجتمع عليه جماعة وتوجهوا جميعا الى الموصل .

وقال الغياثي ايضا في (ص ٢٧٠) : « ثم في سنة ٨٤١ هـ وقع بلاء في بغداد ، وجميع البلاد وأخلاها من الناس ، فخرج اسپان بعساكره من بغداد الى بندقريش وهو ملتقى المائين ديالى والدجلة ، وتم يرحل وينزل ويدور ولاية بغداد حتى فرغ الموت ، ثم رجع الى بندقريش ، وترك (مزيد چوره) ببغداد فلم يمت من عسكره أحد ، ولم يبق من أهل بغداد واحد من الجملة ، ولم يبق في الحديثة غير سبعة أنفس ، فارتاع من ذلك حاكمها وكان يقال له (حادث) فتوجه في سفينة بالفرات الى اسپان فمات بالسفينة فقطع راسه وجيء به الى اسبان فاغتاظ من ذلك وأنكر على من فعل ذلك .

- وقال الزبيدي(٣٦) : « حديثة الفرات ، قلعة حصينة قرب الأنبار ذكرها الشهاب الفيومي والشمسي محمد بن محمد الحميدي في الروض المعطار في خبر الأمصار » .

- وجاء في لغة العرب(٣٧) : « في هذه السنة ــ ٦٥٣ هـ ــ حدث غرق عام خرب اكثر ديار الخلافة وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات وغرقت نواحي دجيل ونهر عيسى ونهر ملك والأعمال الفراتية ، عانة والحديثة وهيت والانبار والحلة والكوفة وقوسان ، وذهبت الزروع وتلفت الأشجار وتهدمت الجوامع والمساجد » .

- وقال العمري(٣٨) :«وفيها سنة ١١٨٧ هـ كان مبدأ الطاعون فيمدينة اربيل وكركوك وبغداد وتكريت وعانة والحديثة والحلة والبصرة والحسكة وجميع ذلك الاقليم » .

- وقال ابن الكازروني(٣٩) : « ان الخليفة الامام الناصر جرد عزيمته في قطع سلاطين العجم السلجوقية وغيرهم عن بغداد ، ومحا آثارهم وملك بلاد خوزستان بجيوشه التي أنفذها اليها وملك بلد دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة ... ثم اقطع المدينة لولده ابي الحسن علي الملقب بـ (الملك المعظم) » .

وقال ايضا في ص ٢٠٥ : « ... وكان السلطان طغرلبك قد عصى عليه اخوه ابراهيم ينال وأراد التحيز بهمذان وغيرها من البلاد الجبلية ، فقصده وحاصره فخلت بغداد من العساكر فعند ذلك

قصدها البساسيري من ناحية الأنبار واستولى على الجانب الغربي ونزل على دجلة مقابل باب الطاق وعقد جسرا وعبر به الى الجانب الشرقي واقام بالزاهر ـ بستان واسع ـ أياما ثم زحف ودخل البلد فخاصمه من كان به حتى ضعفوا عنه فاضرم النيران في الأسواق ونهب أموال الناس وانتهى الى دار الخلافة فنهب منها ما أمكنه وخرج الامام القائم في نفر من خدمة راكبا والبردة على كتفه واللواء خلفه ، فحماه قريش بن بدران وعبر في خدمته الى الجانب الغربي وسيره الى (الحديثة) وانزله على ابن عم له يقال له مهارش بن مجلي فقام بخدمته مدة مقامة سنة كاملة ... » .

وقال ايضا في (ص ٢٤٨) : « كان له ولدان ـ الامام الناصر ـ احدهما أبو نصر محمد وقد أفضت الخلافة اليه ... والآخر ابو الحسن علي ولقب بالملك المعظم وهو الأصغر وكان شابا مليحا ، سمحا جوادا كثير البر والصدقات مائلا الى الدين ، وكان مقربا عند والده محبوبا اليه ، وأذن له بالركوب واقطعه الحديثة وغيرها ورشحه للخلافة ... » .

□ وقال ابن الساعي(٤٠) : « وفي يوم الخميس ثاني عشرة توجه نائب الوزارة ابو البدر محمد بن امسينا الى الحديثة جريدة ـ حملة ـ في نفر يسير ومعه وكلاء الأمر ابي الحسن على ابن الامام الناصر لدين الله وسلمها اليهم وصرف عنها من كان هناك من جانب الديوان العزيز وعاد » .

وقال ابن الساعي ايضا (المصدر اعلاه ج ٩ ص ٩٦) بأن الأمير سوسيان بن شملة توفى بقلعة الحديثة يوم السبت عزة شهر رمضان من سنة ٥٩٨ هـ . وسوسيان هذا هو مظفر الدين ابو الفتح سوسيان كان قد استولى على بلاد خوزستان وتستر وانتقلت هذه البلاد الى حكم الخلافة العباسية ، ثم جاء الى بغداد وسكن على نهر عيسى ـ التفصيل في تاريخ ابن الكازروني ص ٢٧٥ ـ .

□ وقال ابن الأثير(٤١) عن حديثة مايلي :

ـ في هذه السنة ـ ٤٩٧ هـ ـ في المحرم ، استولى بلك بن بهرام بن ارتق ، وهو ابن اخي ايلغازي بن أرتق ، على مدينة عانة والحديثة ، وكانت له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه ، فسار عنها الى حديثة عانة واخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط ، فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ، ومعهم مشايخهم ، فسألوه الاصعاد اليها ، وان يتسلمها منهم ، ففعل وأصعد معهم ، فرحل التركمان

وبهرام عنها ، واخذ صدقة رهائنهم ، وعاد الى حلته ، فرجع بلك اليها ومعه الفا رجل من التركمان ، فمانعه اصحابه قليلا ، واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر وملكهم ونهبهم وسبا جميع حرمهم ، وانحدر طالبا هيت من الجانب الشامي فبلغ الى قريب منها ، ثم رجع من يومه ، ولما سمع صدقة جهز العساكر ، ثم اعادهم عند عود بلك .

ـ في جمادي الاولى قبض الخليفة ـ المسترشد بالله . تولى الخلافة سنة ٥١٢ هـ وقتل سنة ٥٢٩ هـ ـ على وزيره جلال الدين بن صدقة ، واقيم نقيب النقباء شرف الدين بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة ، فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك ، وكان اخو شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود ، فاجيب الى ذلك ، واستوزر في شعبان ، وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ، ثم عزل ، ولزم دارا استجدها ببغداد ... فلما خلع الى نظام الملك وجلس في الديوان ، طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد ، فلما علم ان صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مهارش ، فاجيب الى طلبه ، وسار الى الحديثة ، فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي ، فأسره ونهب اصحابه ، فخاف الوزير ان يعلم دبيس فأرسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما ، فقرر أمره مع يونس على الف دينار يعجل منها ثلاثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة . وارسل عامل بلد الفرات في تخليصه ، وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه ، فأعمل العامل الحيلة في ذلك ، فاحضر انسانا فلاحا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا ، واركبه وسير معه غلمانا ، وامره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ، ويضمن الوزير منه بما بقي من المال ، فسار السوادي الى يونس ، فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه ، وضمن السوداي الوزير منه ، وقال له : أقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير ، فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من اصحابه ، فلما وصل الى الحديثة قبض على من معه منهم فأطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي اخذه حتى اطلق الوزير اصحابه ، وعلم الحيلة التي تمت . ولما سار الوزير من عند يونس لقي انسانا انكره ، فأخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه ، وكان خلاصة من اعجب الاشياء (هذه الحادثة سنة ٥١٦ هـ ـ ص ٦٠٢ ج ١٠) .

ــ دخلت هذه السنة ــ٥١٧ هـ ــ فنزل الخليفة ــ المسترشد بالله ــ مستهل المحرم ،بالحديثة ، بنهر الملك ،واستدعى البرسقي والامراء واستحلفهم على المناصحة في الحرب ، وثم سار الى النيــل ونزلوا بالمباركة ، لمحاربة دبيس بن صدقة الذي افسد في سقي الفــرات (ابن الأثير ص ٦٠٨ ج ١) .

ــ في هذه السنة ــ ٥٨٦ هـ ــ في ربيع الأول تسلم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير جيشا حصروها سنة ٥٨٥ هـ فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير ، فلما ضاقت عليهم الأقوات سلموها الى اقطاع عينوها ، ووصل صاحبها واهلــها الى بغداد واعطوا اقطاعا ثم تفرقوا في البلاد ، واشتدت بهم الحاجة حتى رايت بعضهم وانه ليتعرض السؤال ، وبعض خدم الناس ، نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته (ابن الأثير ج ١٢ ص ٥٨)
ــ في هذه السنة ــ ٦١٦ هـ ــ في ذي العقدة أمر الخليفة الناصر لدين الله الشريفمعد متولي بلاد واسطان يسير الى قتال بني معروف(٤٢) فجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت وهيت والحديثة والأنبــار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم لان بني معروف كثر فسادهم واذاهم وقطعوا الطرق وافسدوا فيالبطائح (ابن الأثير ج ١٢ ص ٣٥٦) .

ــ في هذه السنة ــ ٥٣٧ هـ ــ ملك الشهيد ــ نور الدين زنكي ــ مدينة حديثة عانة (التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية لابن الأثير)

□ وقال البلاذري(٤٣) المتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م : « حدثني بعض أهل العلم قال : كان الذي توجه الى هيت والحصون التي بعدها من الكوفة مدلاج بن عمرو السلمي ، حليف بني عبدشمس ، فتولــى فتحها ، وهو بنى الحديثة التي على الفرات » .

□ وقال الدكتور احمــد سوســه(٤٤) : « ان الرحالــة بنيامــين التطيلي(٤٥) ــ القرن الثاني عشر للميلاد ــ عند وصفه للأنبار (فيروز شابور القديمة) وفومبديثة(٤٦) يعتبرها واقعتين في منطقة نهــر دعة ، مما يدل على ان تسمية نهر دعة كانت تشمل منطقة واسعة في الفرات الأوسط . وان مدينة نهر دعة لابد أنها كانت داخل هــذه المنطقة ذاتها . فقد كان (دانفيل) الجغرافي المشهور أول من قال بان نهر دعة هي بلدة (الحديثة) الحالية على الفرات . وقد استند في رأيه هذ الى تسمية الجغرافيين العرب لهذه البلــدة بـ (حديثــة النور) وفي ذلك اشارة الى ازدهار العلوم فيها ، ولكن الذي استند

اليه دانفيل لا يتفق مع تسمية الجغرافيين العرب لبلدة الحديثة اذ انهم سموها « حديثة النورة » وليس « النور » ورواية التلمود تفيد بانه شيد في بلدة نهر دعه كنيس يدعى شفياثيب يقع على مسيرة يومين من سورا شمالا .

□ وجاء في المرشد(٤٧) ما يلي : « الحديثة مركز ناحية تابعة الى قضاء عانة وهي قسمان قسم في جزيرة في الفرات والقسم الثاني ضاحية على الضفة اليمنى من النهر يحتمل ان تكون أحدث عهدا ، ويؤيد ذلك وجود بقايا قلعة قديمة في الجزيرة ولعلها اقدم عهدا .

ويعتقد ان هذا الموضوع كان المرحلة الفرثية التي وردت بصيغة الابس OLABUS . اما مدينة حديثة العربية فان أول من ذكرها ابن خرداذبة . ولكن كان في الحديثة مستوطن قبل الفتح الاسلامي، وان العرب لما نزلوا فيها في عهد الخليفة عمر كما يذكر ياقوت عربوا اسمها القديم الآرامي « حدثتا »(٤٩) . ويذكر ياقوت ايضا انه كان فيها كنيستان للنصارى قبل الاسلام(٥٠) . كما يحتمل ان الاسم ترجمة للاسم الساساني للمدينة « نوكرد »(٥١) اي المدينة الحديثة ، كما سماها اليونان « كي ني »(٥٢) وهي بالمعنى نفسه . والحديثة كثيرة الاشجار والنواعير . وفيها محطة لضخ النفط تعرف ب (كي ثري)(٥٣) وهناك بقايا جسر ساقط كان يربط الجزيرة بضفة الفرات . كما توجد خارج الحديثة في جهة الشامية بقايا تلول اثرية شاهدت فيها (المس بل) ورحالة آخرون بقايا اساطين وعمد ساقطة وعلى بعضها كتابة عربية مشوهة يرجح أنها أحدث عهدا من هذه البقايا الأثرية التي يرقى زمنها الى ما قبل العهد الاسلامي .

وترى في منطقة الحديثة ايضا بالقرب من النهر مجموعة من مزارات ذات قباب وزخارف من طراز القرن السادس للهجرة (القرن الثاني عشر للميلاد) منها قبر اولاد السيد احمد الرفاعي وقبر نجم الدين ومما يجدر ذكره ان هذه البلدة كانت تعرف بحديثة الفرات او حديثة النورة تمييزا لها عن حديثة دجلة الواقعة جنوب التقاء الزاب الأعلى بدجلة على الضفة الشرقية . ولعل كلمة النورة محرفة من اسمها الفارسي نوكرد » .

□ وقال القس سليمان الصائغ ما يلي(٥٤) : « حديثة الفرات — ودعيت ايضا حديثة النورة لانها كما قيل بنيت حديثا بالنورة ، وهي على الفرات ناحية من قضاء عانة في جنوبيه ، وترتكز هذه المدينة في جزيرة ، وليس قريبا منها على الجانب الغربي الا محط رحال القوافل

ومنذ سنة ١٩١٠ توطأت الصخور والسدود وفتح الطريق لسير المراكب الثقيلة التي لم تكن قبل هذا العهد . اما المدينة فقد انحطت عما كانت عليه قبل هذا العمران ، كان فيها قبلا نحو (٤٠٠) دار وجامعان وثلاثة مساجد وطاحونتان وبساتين تنمي وتثمر نحو(٦٠٠٠) من النخيل . وكان ري الاراضي يتم بواسطة النواعير المنصوبة على النهر في أعمق مواقعه . وفي نهاية وادي الفرات الغربية مقالع الحجر الصدفي الذي سيكون له مستقبل في الصناعة العراقية شأن خطير . وهناك ايضا ثلاثة مقامات (مدافن) دينية اقيمت فيما بين القرن الحادي عشر والثالث عشر : الاول للشيخ الحديد احمد بن موسى الكاظم والثاني لاولاد السيد احمد الرفاعي والثالث لنجم الدين ، ويعتقد انه من سفينة نوح اما عن تاريخ هذه المدينة ، يقول ياقوت في معجمه نقلا عن احمد بن يحيى بن جابر ، انها فتحت في عهد عمار بن ياسر من قبل عمر بن الخطاب الفاتح الكبير ، وكان فيها قلعة حصينة لعبت دورا مهما في زمن الخليفة القائم ، ويقول المؤرخ ابو سعد السمعاني ان سكانها كانوا مسيحيين آراميين ، ومن هذا نفهم أنهم شادوها وعمروها ودعوها (حذتا) الحديثة باسم حديثة الموصل . وموقعها اليوم محط رجال القوافل بين بغداد وحلب عن طريق الفرات وقد لا يبعد ان تكون في المستقبل من اشهر محطات القطار العراقي الى سوريا .

وهذا هو الدليل الجغرافي مقتبسا من ابن خرداذبة وقدامة :

بغداد ــ نقطة	ساعة	٦
نقطة ــ فلوجة	ساعة	٦
فلوجة ــ قلعة الرمادي	ساعة	١٠
قلعة الرمادي ــ هيت	ساعة	١١
هيت ــ بغدادي	ساعة	٨ ونصف
بغدادي ــ حديثة	ساعة	٨ ونصف
حديثة ــ مخيمة	ساعة	٦ ونصف
مخيمة ــ عانة	ساعة	٧
عانة ــ نهيه	ساعة	٧
نهيه ــ القائم	ساعة	٩
القائم ــ ابوكمال	ساعة	٥
ابو كمال ــ صالحية	ساعة	٧
صالحية ــ ميادين	ساعة	١٠
ميادين ــ ديرالزور	ساعة	٩

وجاء في نزهة المشتاق(٥٥) ما يلي : تفرق اليهود في العراق في بابـل ونفر وفيروز شابور وسلوقية وطيسفون ونصيبين التي كانـت في بابل ـ وهي غير نصيبين المشهورة ـ ونهر دعة وبورسيبا وبمباديثـة وسورا وماتا محسايا بجوار سورا الفرات ، وشاف ياثيب . وان المدن التي اشتهرت بنوع خاص بالأدب العبرية وفازت بالقدح المعلى بمدارسها وجامعاتها وفاخرت الامم بعلمائها وادبائها هي نهـر دعـه NARDEA - NAHARDEA وســـورا SORA وبمباديتـــة PUMBADITHA — PAMBADITHA ويظهر ان اسم نهر دعة كان يطلق على الصقع الذي فيه المدن المذكورة وغيرها مـن المدن التي اشار اليها التلمود ومن المرجح ان لفظ نهر دعة مؤلف مـــن لفظين عبريين مفادهما (نهر الحكمة) او (نور الحكمة) . اما مدينة نهر دعة فقد ذهب بعض العلماء الى انها (حديثة) الحالية التي على الفرات ، ويظن ان اول من قال بذلك دانفيل D.ANVILLE وقد استند في رايه هذا الى تسمية جغرافيي العرب ، هذا الموضـع (النور) وفي ذلك اشارة الى ازدهار العلوم فيه .

ولقد وصف يوسفوس JOSEPHUS في كتابه (العاديات اليهودية) ، نهر دعة انها مدينة بابلية آهلة بالسكان وفيها اراضي واسعة خصبة وجديرة بصد غارات العدو لانها محاطة باسوار منيعة وبنهر الفرات . وذهب بطليموس الى انها في صقع بين النهرين وعلق كلاريوس CELLARIVS على كلام بطلميوس وقال انها من المدن الواقعة بين حدود النهرين وحدود بابل . وزارها (الرابي بتاخيا) في القرن الثاني عشر وبالغ في محيطها وقال انه مسير ثلاثة يـــام وكل شيء خراب بباب وفي قسم منها يسكن جماعة من اليهود وقد أروني كنيس (شاف وياثيب) لما أطلعتهم على خاتم رأس الجامعة الذي يقيم في بغداد .

وقد تكلم عن أطلال هذا الكنيس القديم (بنيامين التطيلي) ، وذكره التلمود « روش هاشانوا ٢٤ ، ٦ المجلة ٢٩ ، ٦ » وارتـأى الدكتور بنش DR. BENSCH ان معنى « شاف وياثيب » المدمر

والمجدد البناء . وقد تضاربت آراء العلماء في رأي (دانفيل) ومن لف لفه في ان (الحديثة) هي (نهر دعة) ، فمنهم أيدوه وقالوا ان جماعة تجمع بين هذا الصقع وصقع نهر الواقع في غرب الفرات من جانب بلاد العرب وكانت عليه (سورا) احدى مدن الجلاء ، فهذا يلمح الى الأمر ويؤيده توافق الأسماء .

اما الذين يجعلون (نهر دعة) في سهل بابل الغربي فيفضي بهم الأمر الى ان يعتبروا (بمباديثة) هي (الحديثة) نفسها . وجاء في كتاب جغرافية التلمود لنيبور NEBAVER اسم (بديثة BEDITHA) وقيل ان معناه (نهر) او (المعبر) وهناك علاقة مستحكمة العرى بين (بديثة) و (حديثة) وعلى راي نيبور ان هذا الموضع كان حاضرة الجلاء (جولا) أو (روش هشانا) ثم يصف نهر دعة على انها على بعد ٢٠ فرسخا الى شمال سورا ، وعلى هذا القياس نرجع الى (جبة)، فتكون هذه المدينة قائمة على انقاض نهر دعة الغابرة . غير ان (بنيامين التطيلي) يقول ان (جبة) هي (بمباديثة) عينها وان نهر دعة كانت على نهر الملك وليس على نهر سورا .

وزيادة على الايضاح نقول جاء في معجم البلدان في مادة بهقباذ ... اسم لثلاث كور ببغداد من اعمال سقي الفرات ... بهقباذ الأعلى سقية من الفرات وهو ستة طساسيج طسوج خطرنية وطسوج النهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلى وطسوج بابل والبهقباذ الاوسط وهي اربعة طساسيج ، طسوج سورا وباروسما والجبة والبداة وطسوج نهر الملك والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج ، الكوفة وفرات بادقلي والسيلحين وطسوج الحيرة وطسوج تستر وطسوج هرمزجرد ... انتهى .

والصقع الذي نشأت فيه المعاهد العلمية اليهودية هو البهقباذ الاوسط، وفيه سورا وهي قرب الحلة المزيدية . وبمباديشة ومعناه (فم البادية) وهي مدينة قد تكون (جبة) أو (البداة) او غيرها بقربها ، وان نهر دعة هي (الحديثة) الحالية وهذا هو ارجح الآراء .

وجاء في (ص ٧٠) عن نهر دعة « وقد اشتهرت مدينة نهر دعة على الفرات في تاريخ اليهود ، كانت تلك المدينة آهلة بالقوم ، وكانوا قد اتخذوها لشعبهم يجمعون فيها حسنات يهود العراق » وجاء في (ص ٩١) « وقد

اشتهرت في العراق مدارس اليهود الدينية ولا سيما مدرسة نهر دعة وسورا وبمبديثة ، فمدرسة نهر دعة كانة مركزا مهما لليهود تجمع فيها **هدايا يهود بلاد فارس وبين النهرين ...... » .**

حديثة في المصادر الأجنبية

□ زار الرحالة وليم فرانسيس اينزوورث(٥٦) منطقة حديثة وكتب تحت عنوان (منطقة اليهود الاسرى
(The Principality of the Captive Jews
ما يلي :

لجزيرة حديثة موقع لطيف جذاب وفيها بيوت ريفية يسكنها العرب، وهي مليئة باشجار النخيل والرمان المتواجدة بين ابنيتها القديمة ويوجد في جزيرة حديثة قلعة تشرف على الماء الرقراق . ومن الممكن مشاهدة بقايا الجسر الذي يربط الجزيرة بالجانب الشامي. ويوجد في جوار جزيرة الحديثة عدة قرى يقطنها المزارعون احداها تدعى (علي اويس ALI AWIS) والاخرى (بني داهر BENI DAGHIR) كما ان هناك في الجانب الشامي ينبوعين هما (AINSIMMAK OR THE FISH SPRING و) عين حقلان AIN HALAN) .

وبالنظر للهجمات المتكررة التي كان يقوم بها البدو الذين اعتادوا في موسم الحصاد لنهب المحاصيل ، فلا يدعو العجب ان يقوم سكان هذه المدينة الذين ليست لديهم اية حماية تذكر من العثمانيين ، باللجوء الى قائد الحملة المارة آنذاك في نهر الفرات من أجل انقاذهم من الهلاك المحتم .

ومنطقة (حديثة) لها اهمية تاريخية فقد كانت قديما ولاية لليهود الأسرى الذين كان يراسهم (رش كلوثا RESH GLUTHA) وكان يتمتع بنفوذ وهيبة كالتي يتمتع بها الملوك والحكام في الشرق . ونقلا عن المؤرخين القدامى فان الأمير المنافس هو البطريرك في (تايبرياس TIBERIAS) والى مدة طويلة حتى قدوم المسلمين الى حديثة .

ويوجد في حديثة معبد يهودي استولى عليه المسلمون يدعى معبد هيرود TEMPLE OF HEROD وكان قديما يدعى معبد سليمان .

ان هذه المنطقة كانت تدعى نهر ديا (دعة) NAHARDEA OR DIYAH وفيها معبد لليهود يدعى معبد نهر (ديا) او (دعة) وان بومبديثة POMEBEDITHA وبديثة BEDITHA وسورا SURA وغيرها جاءت ذكرها في التلمود .

ان الرحالة (دانفيل D'ANVILLE) هو اول من شخص هذا الموقع بانه كان يدعى (نهر دعة) ويؤيده في ذلك الجغرافيون العرب الذين يسمون المنطقة بـ (النور) بسبب كونها مركزا علميا مرموقا بين اليهود .

ويقول المؤرخ المشهور يوسيفوس بان منطقة دعة كانت مأهولة بالسكان البابليين ، ولهم الحقول الخصبة الواسعة ، وباستطاعتهم تحدي اعدائهم ، لانهم محاطون من جميع الجهات باسوار منيعة وبنهر الفرات . اما بطليموس فيحدد نهر دعة بانها ما بين النهرين ، لكن سيلاريوس يؤكد بانها بلد يقع ما بين النهرين وبابل . ويذكر (رابي بتيشا) الذي طاف المنطقة في نهاية القرن الثاني عشر بان (نهر دعة) تحتوي على اكثر من جزيرة ، وان المنطقة ذات مساحة تسفرق ثلاثة ايام لقطعها ، لكن كل شيء فيها مهجور ، ولما ابرز الختم الذي يعود لرئيس الاكاديمية في بغداد سمحوا له ان يشاهد المعبد (SHAF WYATHIB شاف وياثيب) المكون من ثلاثة جدران حجرية حيث يكون الجدار الغربي مطلا على نهر الفرات(٥٧) . وان يهود المنطقة قالوا لهذا المؤرخ بانهم يشاهدون في الليل خيطا من النار ينبعث من المعبد .

وقد ذكر هذه الخرائب بنيامين التطيلي وكذلك ورد ذكرها في التلمود. وتفسير اسمها كما يقول الدكتور بنش DR. BENISCH هو خربة اشتقت من اسم بناية مقدسة في فلسطين .

توجد جنوب حديثة في وسط النهر مجموعة من الجزر مثل (زردان) التي تكثر فيها الصخور الى ان تصل الى مسافة ستة اميال من حديثة حيث جزيرة آلوس .

وان الجزر التي بين حديثة وآلوس هي علي اويس ALI AWIS بني داهر BENI DAGHIR هادي HADI حقلان HALAN الحقلانية ALHALNIYAN ناودسة NAYISE سلطان حاجي SULTAN HAJI والعباسية ABBASIYAH .

ان كثيرا من هذه الاسماء تستدعي النظر وان الموقع الذي بعد آلوس يدعى سويدية SUWAIDIYA او سلوقيا SELEUCIA ولم يبق سوى بضعة اكواخ وخرائب من جزيرة حديثة وكل ما بقي في يومنا الحاضر يمثل ايزان بوليس IZANESOPOLIS (الخزنة) التي بناها ايزودورس الشرق ISIDORUS OF CHARX التي تقع بين اولابس OLABUS وايبولوس AIPOLIS (٥٨) .

□ زار الرحالة موسيل(٥٩) مدينة حديثة وسجل اسماء معظم القرى الممتدة من الفحيمي الى آلوس حسب الترتيب التالي :

شعب الفحيمي . مغازة العوسجات . نقطة شرطة الفحيمي . المزوكية . جرنه . شحمة . ترنانية . صريافة . طرطاسية . سوسة . شجال . العامرية . ابو شابور . شعيب السكة . البارج . بهية . البشتية . الثمانية . بني حارث . وادي الحجر . بثنة . الشيخ حديد . السيد محمد . الخمسة . علاثة . المخاضة . الحديثة . محسن . القائد . حندول . ميلان . سرو . المجيول . النجمي . بني داهر . كرهيفة . الصرونية . وادي حجلان . امام علي (سيد علي) . جزيرة ربان . مغازة الدبس . زغدان . اليهودي . جزيرة آلوس .

وذكر ان مدينة الحديثة تقع في جزيرة وسط الفرات . وان بيوتها متزاحمة ومتراصة بعضها بجانب الآخر وتظهر فيها اشجار النخيل الباسقة . ويوجد جسر يربط المدينة بالجانب الايمن وبالقرب منه نقطة الشرطة . والخان .

وذكر في الصفحة ٢٣٩ بان المؤرخ اميانوس مرسيلينوس ذكر مدينة باسم أخا ياخالة ACHA IA CHALA تقع في وسط الفرات جنوب مدينة THILBUTHA = TELBES ويوجد في الجانب الآخر من المدينة موقع صخري يعرف باسم ليال LA'AL لابد وان يكون من تسمية اخا ياخالة .

واضاف في الصفحة ٢٤٨ بان حديثة تقع على طريق الفرات الممتد من الكوفة الى سوريا . وقال بان هذا الطريق يطلق عليه اسم طريق الشام ايضا . وان الامام علي وجيشه عاد بعد وقعة صفين على الجهة اليمنى من هـذا الطريق الى الكوفة سنة ٦٥٧ م . وقد نقل ذلك من تاريخ الطبري ، والذي جاء فيه ايضا بانه في ايام العباسيين كان هذا الطريق هو الطريق العام من بغداد . هيت . رقة . وعن الخوارزمي ـ صورة الارض ـ ان هذا الطريق يمتد من قرقيسيا . عانا ت. حديثة عانات . الناؤسة . آلوسة . هيت . الأنبار . وعن ابن خرداذبة (المسالك) بان هذا الطريق يمتد من الأنبار . هيت ناؤسة . آلوسة . فحيمة . نهية .... قرقيسيا . وكذلك جـاء ذكر هذا الطريق فيتاريخ الخراج لقدامة والاصطخري والمقدسي وبن حوقل. ولكن هؤلاء اختلفوا في تحديد المسافات بالفراسخ ومنهم من لم يضع المدن باماكنها الصحيحة .

وقال كذلك بان ابن بطوطة سلك هذا الطريق فيرحلته المشهورة وكذلك الحاج خليفة (جهان نما) في طريقه من الحلة . هيت . عانة . الرحبة . وذكر ايضا بانه في سنة ١١٠٣ م استولى التركمان على مدينة الحديثـــة وكانت تابعة الى بني يعيش . ونقل عن الحاج خليفة ـ فذلكة التواريخ ـ بان أمير عانة والحديثة كان في سنة ١٦١٦ م هو احمد ابو ريشة . ونقل عـن الرحالة (ديلافالي) بان أمير مدينة عانة وجميع الصحراء هو الأمير فياض والذي كان يملك بيتا جميلا هناك ولقبه ابو ريشة . وذكر ايضا بان الجيش الروماني سلك طريق الفرات من سوريا سنة ٣٦٣ ق . م بقيادة الامبراطور جوليان .

□ جاء في دائرة المعارف الاسلامية(٦٠) عن حديثة ما يلي : « حديثة الفرات وتسمى ايضا حديثة النورة ، وهي على الفرات جنوبي عانة على خط عرض ٤٣ ْ ٨َ شمالا وخط طول ٤٢ ْ ٢٦َ شرقي جرينش ، وحديثة الفرات ناحية من قضاء عانة . وقد بنيت المدينة نفسها على جزيرة اللهم الامحطـــات القوافل فانها تقوم على الضفة الغربية للنهر . وقد اضمحلت المدينـــة اضمحلالا كبيرا منذ سنة ١٩١٠. ففي هذا العام نسفت السدود والجنادل التي كانت في عرض النهر لتفسح طريقا لسفن البريد ، ولكن هذه السفن لم تجلب الى النهر قط . وكانت المدينة من قبل (٤٠٠) منزل ومسجدين جامعين وثلاثة مساجد وطاحونتي قمح وحدائق تشمل نحو (١٥٠٠) نخلة . وفي الناحية كلها حوالي (٦٠٠٠) نخلة وكانت تروي بمساق يطلـق عـلى الواحدة منها اسم (الناعورة) وكانت توضع في الأماكن التي يشتد فيهـا

جريان ماء النهر. وعلى الجانب الغربي من وادي الفرات بعض محاجر الجير وهي ذات اهمية في الاعمال الهندسية المستقبلة في العراق . وبها ثلاثة قبور لاولياء عاشوا ما بين القرن الحادي عشر والثالث عشر وهي من الشمال الى الجنوب : (١) قبر الشيخ حديد وهو محمد بن موسى الكاظم (٢) قبر اولاد سيد احمد الرفاعي (٣) قبر ولي يدعى نجم الدين ، وقد قيل انه احد من رافقوا نوح في فلكه .

وحديثة محطة للقوافل على طريق بغداد حلب ، اما المراحل للوصول الى حديثة فهي :

بغداد ــ نقطة	٦ ساعات
نقطة ــ فلوجه	٦ ساعات
فلوجة ــ رمادي	١٠ ساعات
رمادي ــ هيت	١١ ساعة
هيت ــ بغدادي	٨½ ساعة
بغدادي ــ حيثة	٨½ ساعة

ان هذه الساعات ليست للمسافات بالسيارات وانما للانتقال بالعربات التي تجرها الحيوانات

كما جاء في دائرة المعارف هذه ، المراحل التي سبق ووصفها ابن خرداذبة ص ٧٣ وقدامة ص ٢١٧ والمقدسي ، ولكن هذه المراحل كان فيها كثير من الخطأ بتقديم وتأخير بعض المدن على الاخرى او اغفال البعض منها. فقد جاء في (ابن خرداذبة) و (قدامة) عن هذه المراحل ما يلي :

هيت ــ ناووسة	٧ فراسخ
ناووسة ــ آلوسة	٧ فراسخ
آلوسة ــ مخيمة	٦ فراسخ
مخيمة ــ نهيه	١٢ فرسخا

وجاء في (المقدسي) مايلي :

هيت ــ ناووسية	مرحلة
ناووسية ــ عانة	مرحلة
عانة ــ آلوسة	مرحلة
آلوسة ــ مخيمة	مرحلة

لقد اغفلت محطتنا الحديثة وعنة في (ابن خرداذبة وقدامة) كما اغفل المقدسي ، حديثة ، وجاء ترتيب هذه المراحل مخالفا للصواب .

- وذكرت الأوبزرفر(٦١) عن حديثة ما يلي : « ومن الاخبار السريانية القديمة بان حديثة اخذت اسمها من السريانية من كلمة حذتا HDETTA التي تعني حديث NEW والتي تعني نفس المعنى في اللغة العربية . وفي سنة ٦٠٨ م نجت جماعة من السريان من اتباع الكنيسة الشرقية وجاءت الى هذا المكان فسموه الحديثة ودونوا التوراة فيها PESHITA BIBLE

- وقال الرحالة جسني(٦٢) : « المسافة بين عانة الى جزيرة الحديثة HADISAH هي ٤٩½ ميل بالسفينة البخارية و ٢٨٪ ميل جنوبا . ٤٨° شرقا في الخط المستقيم . المدينة تحتوي على (٤٠٠) بيت تقريبا وقد بنيت على بقايا مدينة الحديثة القديمة HADITH ان النهر في هذه المنطقة يأخذ بالاتساع حوالي ٣٠٠ يارد وبعمق حوالي ١٨ قدم . وتوجد حوالي ٣٠ جزيرة فيها غابات »

- وقال المستر لوريمر(٦٣) : « حديثة ناحية من الدرجة الثالثة تابعة لقضاء عانة التابع لسنجق بغداد وهو احد سناجق ولاية بغداد التي تتألف من سنجق بغداد وسنجق الديوانية وسنجق كربلاء . يدير ناحية الحديثة مدير كان يتقاضى راتبا سنويا مقداره (٤٨) جنيها و (١٢) شلنا اي شهريا ما يعادل (٤٥٠) قرش ذهبي » .

- وقال المستشرق الانكليزي لسترنج(٦٤) : « حديثة الفرات وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة ، وعرفت بحديثة النورة تمييزا لها عن حديثة دجلة ، وذكر ياقوت ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات ، والماء يحيط بها . انشئت ايام عمر بن الخطاب بعد الفتح العربي بوقت يسير . ووصفها المستوفي بانها مقابل تكريت موضعا وهواء ، وبين الحديثة وهيت للمنحدر ، بلدته آلوسة وناووسة وهما على الفرات بين الواحدة والاخرى سبقه فراسخ » .

- الرحالة دانفيل(٦٥) : يرى دانفيل ان تسمية مدينة الحديثة بـ (النورة) خطأ والصحيح هور (النور) اي (حديثة النور) . نقلا عن نزهة المشتاق ص ٨٥ .

- اميانوس مرسيلنوس(٦٦) وصف بلدة باسم اخا ياخالة ACHAIACHALA وهي على شكل حصن يحيط بها النهر يصعب الاقتراب منها ، وذلك بمناسبة وصف حملة الامبراطور جوليان الروماني على العراق سنة ٣٦٣ م ، وهذا ينطبق على وضع بلدة

(الحديثة) الحالية على راي (موسيل) اذ يفصلها خندق ضيق مملوء بماء الفرات . اما تسمية الحديثة فيرى (موسيل) انها تعود الى زمن لاحق بمعنى البلدة الحديثة وهي كلمة عربية . ويعتقد (موسيل) ان الموقع الصخري المسمى (ليال) الكائن في الجانب المقابل من النهر مأخوذ من التسمية القديمة « اخا باخالة »(٦٧) .

□ المس بل(٦٨) : زارت المس بل مدينة حديثة بعد عودتها من عانة في طريقها الى بغداد وكتبت عنها في كتابها المشهور اموراث الى اموراث AMURATH TO AMURATHواوضحت فيه بان مدينة حديثة تقع في جزيرة يحيطها الماء ، وانها شاهدت بعض الاضرحة التي يشبه بناؤها الست زبيدة في بغداد . ورات بقايا الجسر الذي كان يربط جنبي الفرات . كما عثرت على بقايا قصر فيجزيرة (ابو سعيد) مقابل وادي حقلان . كما بينت بان في حديثة بقايا تلول اثرية في جهة الشامية وبالقرب منها بقايا اساطين وعمد ساقطة وعلى بعضها كتابة عربية مشوهة ، يرجح انها احدث عهدا من هذه البقايا الاثرية التي يرقي زمنها الى ما قبل العهد الاسلامي(٦٩) .

للبحث صلة

---

١ ـ صبح الأعشى للقلقشندي ج ٤ ص ٣٢٣
٢ ـ سند طابو قديم لدى نعيم عيسى العبدالله من اهالي قلعة الحديثة
٣ ـ القلقشندي ذات الصفحة اعلاه
٤ ـ تاريخ الامة العربية ـ عصر الازدهار ـ ص ٢٩ ـ محمد أسعد طلس
٥ ـ النواعير جمع ناعور وهو آلة خشبية مستديرة الشكل تضع لرفع المياه من الفرات لغرض الزراعة وقد سبق للاستاذ فخري عبدالحميد البياتي ان كتب مقالا عن نواعير حديثة في مجلة التراث الشعبي
٦ ـ العرب واليهود في التاريخ ص ٦٧ ـ ٦٨ للدكتور احمد سوسة .
٧ ـ لقاء مع الدكتور احمد سوسة في داره في شتاء ١٩٧٦
٨ ـ في منطقة الحديثة (٣٥) موقعا أثريا سنذكر اسماءها ومواقعها في بحث لاحق ـ راجع الموقع الاثرية في العراق ـ مديرية الآثار العامة ص ٣٧٦ طبع سنة ١٩٧٠
٩ الحقائق الجلية في الابحاث التاريخية ـ تاليف اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرف ص ٤٣ ـ ٤٥
١٠ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ حديثة الفرات . المجلد الثاني ص٢٣٠ ـ ٢٣١ طبعة صادر ودار بيروت ١٩٥٦
١١ ـ معجم البلدان ذات الصفحة اعلاه
١٢ ـ الفرسخ يساوي ثلاثة اميال والميل ثلاثة الاف ذراع والذراع ثلاثة اشبار،وهو يساوي ستة كيلو مترات تقريبا . اي ان الحديثة تبعد عن الانبار (الفلوجة) بمسافة ثلاثين فرسخا اي ١٨٠ كيلو مترا .

١٣- الأنبار . مدينة قديمة لا تزال اثارها ظاهرة بمسافة خمسة كيلو مترات شمال غرب الفلوجة ، اتخذها ابو العباس السفاح في عام ١٣٤ هـ / ٧٥٢ م عاصمة الملكة ، وقد خربها في عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ابو طاهر القرمطي ، ونهبتها في عام ١٢٦٢ م جيوش المغول بقيادة كربوكا واعملت السيف في رقاب اهلها .

١٤- فتوح البلدان ص ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٣٢٨

١٥- بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق وعندها مصب الخابور في الفرات .

١٦- جزيرة في الفرات واقعة بمسافة (٦٥) كم شمال الحديثة او بنحو (١٤) كم جنوب عانة ، وكانت هذه الجزيرة محصنة في العصور القديمة ، وورد ذكرها في الكتابات المسمارية بصيغة تلمش او تلبش كما جاء ذلك في حملة توكولتي نينورتا الثاني ٨٨٩ -٨٨٤ ق.م .

١٧- مدينة عانة الحالية واسم عانة من الاسماء القديمة الواردة في الكتابات البابليــة والآشورية حيث ورد ذكرها باسم (آناتا) و (آناتو)

١٨- جزيرة بمسافة ٣٥ كيلو مترا جنوب آلوس وربما كانت فيها مقبرة للنصارى اذ ان الناوسة تعني الناووس والناؤوس وهي مقبرة النصارى وجمعها نواويس (راجع البراهين الحسية ص ١٥ ومنجد الطلاب ص ٨٤٩) .

١٩- آلوسة - مدينة آلوس الحالية . قال ياقوت : لما ملك انوشروان بلغه ان طوائف مـن الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور مدينة تعرف بـ (آلوس) كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية - معجم البلدان .عانة - .

٢٠- هيت مدينة قديمة ورد اسمها في المصادر السومرية والاكدية والآشورية وقد ورد ذكرها في اخبار حملة الملك الآشوري توكولتي نينورتا الثاني ٨٨٩ - ٨٨٤ ق . م كما ان سرجون الاكدي ٢٣٥٠ ق . م قد قصدها بنفسه لتقديم القرابين . وهي الآن قضاء من اقضية محافظة الأنبار . مشهورة بمنابع القير .

٢١- الاستاذ محمد بهجة الاثري - خريدة القصر وجريدة العصر ج٤ مجلدا ص٢٧٩

٢٢- بالاضافة الى هذه المواضع التي تسمى كل منها حديثة ، فهناك حديثة في كليكيا في تركيا ذكرها ميخائيل السرياني في المخطوطة ٣ ص ٢ ، ٨ وكانت مقرا لبطريارکیةالسريان اليعاقبة ، واعتقد انها قلعة الحدث ADATA عند الروم وقد استولى عليهـا المسلمون في ايام الخليفة عمر . وقال البلاذري ان الدرب كان يقال له درب الحدث وسمي بدرب السلامة - راجع السترنج ص ١٥٤
كما ان هنام مدينة باسم (حداتو) تسمى حاليا (أرسلان تاش) في سوريا وهي مدينة آشورية ملكها تجلات بلاصر الثالث - رأجع الفن العراقي القديم دكتور ثروت عكاشة ص ٥١٩ - ٥٣٢

٢٣- معجم البلدان ج ٢ ص ٢٢٣ طبعة لايبسك سنة ١٨٦٧

٢٤- طبعة فوتنجن ص ١٢٣ سنة ١٨٤٦

٢٥- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع تحقيق علي محمد البجاوي ص ٣٨٧ .

٢٦- تقويم البلدان طبعة باريس سنة ١٨٤٠. ص ٢٨٧

٢٧- رحلة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م طبعة بيروت ص ٦٥٠.

٢٨- العبر م٤ ص ٦١٤

٢٩- التأريخ الغياثي ص ٢٥٢ - ٢٥٣ - تحقيق طارق نافع الحمداني . بغداد ١٩٧٥

٣٠- الامير اسبان ابن الامير قره يوسف حكم بغداد بعد وفاة والده حتى وافته المنية سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م وهو من قبيلة القرة قوينلية التي حكمت بغداد خمس وسبعين سنة .

٣١- الأمير حسين بن علاء الدولة آخر امراء الاسرة الجلائرية .

٣٢- الجزاير هي بطائح واهوار جنوب العراق .

٣٣- لعل المقصود بها تربة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي الواقعة في جوار الباب الوسطاني وهو باب الظفرية من ابواب سور بغداد الشرقية .

٣٤- الشاه محمد هو أخ الامير اسبان

٣٥- في الصفحتين ٢٩٥ ، ٢٩٨ من كتاب بغداد مدينة السلام لمؤلفه ريجارد كوك وتحقيق الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل واسم هذا الحاكم (حارث) .

٣٦- تاج العروس ص ١٣٩

٣٧- مجلة لغة العرب مجلد ٦ ص ٧

٣٨- زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية تأليف ياسين بن خيرالله العمري ص ١٣٧

٣٩- مختصر التاريخ لابن الكازروني - تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص ٢٤٥ ، ٢٤٨

٤٠- الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير ج ١ ص ٢٦٤

٤١- الشيخ العلامة عزالدين ابي الحسن الشيباني المعروف ب (ابن الاثير) . الكامل في التاريـــخ -

٤٢- قال ابن خلدون ج٢ ص ٦٤٧ عن ابن سعيد : « منازل المنتفق ، الآجام بين البصرة والكوفة ، والامارة في بني معروف » .

٤٣- فتوح البلدان ج ١ ص ٢١٢ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٤٤- الدكتور احمد سوسة عالم مشهور باطلاعه الواسع وتآليفه القيمة . وقد أفدت منه كثيرا في بحثي هذا . وقد كتب لي بخطة ما ذكرته اعلاه .

٤٥- بنيامين التطليي - رحالة يهودي اسباني قدم الى بغداد في عهد الخليفة العباســي المستنصربالله . وقد وضع رحلة باللغة العبرية وترجمت الى معظم اللغات .

٤٦- فومبديثة معناها فم البادية وهي مدينة كانت بجوار الأنبار على نهر الفرات .

٤٧- المرشد الى مواطن الاثار والحضارة-الرحلة الاولى - تاليف طه باقر وفؤاد سفرص١٨

٤٨- الابس - انظر ماكتبه الرحالة اينزورث .

٤٩- هذا الاسم كان يطلق على حديثة الموصل - راجع ما كتبه القس سليمان الصائغ في مجلة النجم عدد ٨ لسنة ١٩٣٣ .

٥٠- ان ياقوت لم يذكر ان في حديثة كنيستين للنصارى قبل الاسلام وانما قال هذا عـــن (حديثة الموصل) بانه كانت فيها بيعتان .

٥١- نوكرد لفظة فارسية بمعنى القرية الحديثة .

٥٢- تكتب هذه المدينة (كي ني) و (كايناي) و (اسن) و (سويني) و(سنا) وهي مدينة قديمة تقع الى الشمال من بيجي قرب التقاء نهر الزاب الصغير بدجلة ومن الجهة المقابلـة اي الجهة اليمنى لنهر دجلة وقد ذكر زينفون في كتابه (الصعود) راجع التفصيل في

مجلة المورد مجلد ٤ عدد ٢ ص ٨٧ لسنة ٩٧٥ ورحلتي الى العراق بكنفهام ج ١ ص ١٢٢، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ومجلة سومر ج ٢ مجلد ٨ ص ٢٥٩ ولسترنج ص ١١٩ واوضح ابن الفقيه الهمداني بان هذه المدينة (السن) تقع جنوب حديثة الموصل ـ بغداد مدينة السلام تحقيق الدكتور صالح احمد العلي . وقد توهم بعض المؤرخين بان هذه المدينة هي (حديثة الموصل) وليس هذا الصواب .

٥٣ـ لقد شرعت شركة نفط العراق في اوائل عام ١٩٣٢ بمد انابيب النفط من كركوك واطلقت على محطة الضخ فيها اسم K-1 وعلى المحطة الثانية التي تقع قرب البيجي اسم K-2 وعلى المحطة الثالثة التي تقع في حديثة اسم K-3 ومن الحديثة تتفرع انابيب النفط الى فرعين يذهب الايمن الى طرابلس الشام ويتجه الثاني الى حيفا .

٥٤ـ مجلة النجم العدد الثامن ٣١ تشرين اول ١٩٣٣ السنة الخامسة . مكتبة الاوقاف ـ موصل ـ

٥٥ـ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ـ يوسف رزق‌الله غنيمة . مطبعة الفرات ١٩٢٤ ص ٨٤ ـ ٨٧ .

٥٦ـ Euphrates Expedition - William Ainsuorth

٥٧ـ ان هذا الوصف ينطبق تماما على قلعة الحديثة .

٥٨ـ مدينة هيت .

٥٩ MOSIL - The Middle Euphrates (New york 1927)

٦٠ـ الترجمة العربية ٧ : ٣٤٨ ـ ٣٥٠ كتب المقا ل المستشرق الالماني هرتسفلد .

٦١ـ جريدة بغداد اوبزرفر (باللغة الانكليزية) عدد ٢٤٨٩ في ٢١ / ٤ / ٩٧٦ كتب المقال الاستاذ سعدي عبدالمجيد الحديثي المستشار الفني في وزارة الاعلام .

٦٢ـ استطلاع نهري دجلة والفرات ـ باللغة الانكليزية ـ

٦٣ـ دليل الخليج ـ القسم الجغرافي ـ ج ٣ تاليف ج ج لوريمر ـ ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر .

٦٤ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد سنة ١٩٥٤ ص٨٩

٦٥ـ دانفيل رحالة فرنسي وصل الى العراق سنة ١٧٧٩ وكتبت وصفا مسهبا عن احوال بغداد وتقع رحلته في مجلدين باللغة الفرنسية .

٦٦ـ مؤرخ روماني ولد سنة ٣٣٠ م وشارك في جيش الامبراطور الروماني قسطنطين الذي اجتاح العراق وحاصر الحضر واشتبك مع الجيش الفارسي الذي كان يقوده سابور الثاني .

٦٧ـ هذه المعلومات من الدكتور احمد سوسة .

٦٨ـ جيرترود بل جاءت الى العراق قبل الحرب العالمية الاولى بصفة سائحة ثم شغلت منصب السكرتير الشرقي للحاكم الملكي العام آي تي ولسن . وظلت في العراق حتى توفيت في ١٢ تموز ١٩٢٦ فدفنت في مقبرة المسيحيين بالقرب من ساحة الطيران في بغداد .

٦٩ـ يطلق على هذه المنطقة اسم (المنارة) ولا تزال بعض الاساطين الحجرية موجودة الى الآن .

من ذكريات الريف

سجية الكرم

شاكر هادي شكر

انطلق بنا قطار الساعة التاسعة ليلا من البصرة وكانت وجهتي الناصرية ، ولم يكن معي في مقصورة الدرجة الثانية سوى رجل اسمر يلبس الزي الافرنجي المعتاد خمّنت انه غير عربي لانه دخل بعدي الى المقصورة ولم يسلم .

وبعد فترة من الصمت قدمت له سيكارة ، فقال بلغة عربية فصيحة تشوبها لكنة أعجمية ظاهرة : لك الفضل والشكر ، أنا لا ادخن . قلت : كأنك من اخواننا الايرانيين ؟ قال نعم . قلت : وأين تعلمت اللغة العربية ؟ قال : استوطنت النجف الاشرف ست سنوات درست خلالها اللغة العربية وآدابها . ثم خيم الصمت علينا مرة اخرى ، فقمت الى امتعتي واخرجت منها علبة كبيرة جهزني بها احد الاصدقاء البصريين عندما جاء لتوديعي ، ولما فتحتها وجدت فيها دجاجة مشوية ، وخبزا ، وفاكهة . فعرضت الذي فيها بيني وبينه وقلت : تفضل يا اخي ، ولنقطع الطريق بالكلام والطعام .

فضحك واستفتح الاكل بالبسملة ثم قال : انا اغبط اخواننا العرب على هذه اللباقة ، وهذه القدرة الفائقة على فتح باب التعارف مع الاخرين ، وقد خبرت ذلك يوم كنت مجاورا في النجف .

قلت : كأنك استكثرت مبادرتي لك بالكلام عن غير سابق معرفة ؟ وهل في بني البشر من لا يفعل ذلك ؟ أليس الانسان ـ كما يقال ـ مدنيا بالطبع ؟ أمن المعقول ان نتجافى ونحن رفيقا سفر . خبرني بالله عليك ، ماكنت لتفعل معي لو غفلت عن واجبي ولم ابتدئك بالكلام ؟ قال : ثق بأنني لا افعل شيئا سوى الصدود عن جليسي ، واظل اختلس النظرات اليه ، وأتظاهر بعدم الاهتمام به الى ان نفترق ، ولو طال السفر أياما ، وهكذا يفعل الناس الاخرون حاشا العرب .

قلت : وما الداعي الى ذلك ؟ قال : لا أدري بالضبط ، أهي من السجايا المتأصلة أم هو الحذر عملا بالقول الشائع (ان سوء الظن من حسن الفطن) ؟ اما العربي فكما خبرته مجازف يعاشر كل احد بدون تحفظ .

قلت : فما رأيك بدوافع هذه المجازفة ، اهي البساطة والسذاجة ، أم التواضع والشجاعة والسخاء . قال : المجال في هذا الباب واسع للاخذ والرد ، ولكن قل لي : هل تعتقد كما يعتقد معظم من التقيت بهم من العراقيين ان السخاء وقف على العرب لا يشاركهم فيه أحد ؟

قلت : لا ، أنا اعتبر السخاء اريحية وشهامة وعاطفة ، وبنو الانسان لا يخلون من هذه الخلال ، ولكنهم ــ شعوبا وافرادا ــ يتفاوتون فيها قوة وضعفا ، والامة العربية ــ في اعتقادي مجلية في هذا الميدان ، ولذلك اسباب ، اهمها التربية ، فالطفل العربي لا يسمع في المجالس التي يرتادها مع ابيه غير القصص ، والشعر ، واحاديث الانبياء والاولياء وكلها تمجد مكارم الاخلاق والشجاعة والسخاء فينشأ مطبوعا على هذه السجايا الكريمة .

قال : لقد قرات ، وسمعت الكثير عن الكرم العربي ، وقبل بضعة ايام انهيت قراءة كتاب مخطوط مخروم الاول لا اعرف مؤلفه يبحث عن الكرم والكرماء (١) ، وقد اقتصر الامر على عطايا الملوك والامراء والوزراء كما هو مالوف ومعروف عند سائر الامم . اما الجود عند عامة الناس فرغيف من الخبز وقطعة من اللحم يأكلها الضيف وهو يصطلي يكفي لان يبات عند هذه المكرمة الندى والمحلق ، وتنظم فيها احدى المعلقات(٢) . ومضرب المثل عندهم ان حاتم الطائي ذبح فرسه لاضيافه ، فهل لك ان تدلني على السخاء الذي يمتاز به العرب عن غيرهم ، ويفوق ما يبذله الايرانيون في سبيل العتبات المقدسة ، والمدارس الدينية وطلابها .

قلت : التاريخ مشحون بكل طريف ونادر من مكارم الامة العربية التي تميزهم في هذا المضمار عن غيرهم ، ولكن مالنا وللتاريخ والمصادر بعيدة عنا ونحن في القطار ، فلنضرب عنه صفحا ، ولنتحدث عن زماننا هذا الذي ينتقصه رجال الجيل السابق .

اخبرني رجاء ، من اين اتيت والى اية جهة تريد ؟

قال : جئت من مقر عملي في شيراز ، وذاهب لزيارة العتبات المقدسة .

قلت : اذن السفر سفر طاعـة تبتغي من ورائـه الثواب في اليوم الاخر ، فما بالك تمحق اعمالك الخيرة بالشعوبية الكافرة ، قال : اعوذ بالله ان اكون من الظالمين .

قلت : فالذي ارجوه منك ان تسلك في مناظرتي طريق الحق ونبذ التعنت ، ولك عليّ عهد الله بأني سأكون معك كذلك .

انا ياأخي أعرف الشيء الكثير عن مصادر ماينفقه المسلمون على اختلاف جنسياتهم في العتبات المقدسة ، انهم اناس يؤدّون ما في اموالهـم من حقوق وواجبات ، لذلك ترى جل ما ينفقونـه في هـذا السبيل بل كله مقتصرا على الحقوق الشرعية من خمس وزكاة ، ونذور ، وثلث المواريث وغيرها . فهي اذن تأدية فروض واجبة الاداء ولا صلة لها بالكـرم الذي نقصده .

وكذلك عطايا الملوك والامراء والوزراء واضرابهم للشعراء وغيرهـم ليست من الكرم في شيء ، لانها من اجل خدمة مصالحهم ، ولانها كما قيل (وهب الامير مالا يملك)

اما السخاء العربي عند عامة الناس فمجرد من كل شائبة ومنطبق مع الاية الكريمة (انما نكرمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) . بل اذهب الى ابعد من ذلك فأقول انهم يجودون لوجه الكرم والجـود ، وانهم لم يتاجروا به حتى مع الله عزوجل . تلك جبلتهم التي جبلهم الله عليها فتبارك الله احسن الخالقين .

قلت ذلك بصوت عال ، وعصبية ظاهرة . ثم انقطعت عن الكلام لاستعيد هدوئي ، فظن جليسي اني انتهيت من حديثي فقال : حبذا لو حدثتني ببعض ما رأيت ، او سمعت عن كرم العامة فقد مللنا من سماع ما قيل بحق الخاصة .

قلت : تحضرني الان من بين عشرات الحوادث حادثتان وقعتا قبل بضع سنوات ، وعلى التحديد سنة ١٩٢٧ ، بين الاولى والثانية ثلاثة ايام. كان مسرحهما منطقة الغراف وابطالها من عامة الشعب وكنت فيها شاهد عيان . وقبل ان ارويهما لك احلف بكل مقدساتي اني سوف لا أضيف من عندي كلمة واحدة تعظم من شأن ما حدث ، الا ما كان من تهذيـب الالفاظ باستعمال اللهجة الفصيحة عوضا عن اللهجة العراقية الدارجة ليسهل عليك فهمها . ولك بعد ذلك ان تحكم بما تشاء ، فهل انت مصغ لحديثي ؟

قال : تفضل وستجدني اذنا صاغية ، وحكما منصفا . فقلت :

الحادثة الاولى :

قضيت مع زملائي النصف الاول من شهر رمضان في جزيرة السيد أحمد الرفاعي ، وكنا خمسة وعشرين فارسا في مهمة رسمية ، وكانت السنة ماحلة لم تدع في الجزيرة زرعا ولا ضرعا ، وكان الموسم شتاء قارسا ونحن صيام، وقد لاقينا من قسوة الطبيعة صنوفا من العذاب والحرمان.

ولما عدنا الى ارض المزارع ، ولاح لنا اول فريق من الفلاحين قد خيم على حافة الجزيرة ، وهو مؤلف من ثلاثين بيتا من الشَّعر ، يجتمع عادة في الموسم الزراعي ، ويتفرق بعد جمع الحاصل ، وقفنا على ربوة ونحن على ظهور خيولنا نتطلع الى البيوت لنختار خمسة من كبارها التي تدل على يسار اصحابها ، ونتفرق بعدها خمس فرق تذهب كل فرقة الى بيت من تلك البيوت المختارة .

فبينما نحن في اخذ ورد ، والشمس قد قاربت الغروب واذا بامرأة أقبلت تهرول نحونا وبيدها عصا غليظة ، فلما وصلت حيتنا وهي تلهث ، وكانت متلففة بثيابها وعباءتها ، ومتخمرة بخمار اسود لم يبد من وجهها غير وجنتين بارزتين ، وعينين كعيني المهاة ، فقالت بلهجة كلها عتاب وتقريع واستعطاف : أشوف عندكم نية التفرق على البيوت . لا والله ما هذه شيمتكم يا اولاد العشائر ، تفضلوا هذا بيتي المتقدم والجماعة كلهم اخوتي واولاد عمومتي ما بينهم غريب ، تفضلوا شرفوني بقدومكم ، أنا اختكم وخادمتكم ، انا لست قاصرة عن القيام بالواجب ، انا اختك ياعواد ، اي بالله لست قاصرة ، واذا شذ احد منكم سأعتبرها اهانة لي .

فقال لها السيد نعاس — وهو اكبرنا سنا — الاسم بالخير ؟ قالت : خيرية ، قال : فيك الخير والبركة .

ثم التفت الينا وقال : لا يرد الكريم الا البخيل ، تفضلوا ياجماعة ، تفضلوا على اسم الله .

فشكرت السيد على موافقته ، وسارت وسرنا معها الى بيتها ، فاستقبلنا رجال الحي يأخذون منا الخيول ، ويحلون عنها السروج ، ويربطون اطراف ارسنتها بأواخي عملت لها . وبأسرع ما يمكن اوقدت النيران في موقدين كبيرين حفرا في ارض المضيف ، وفرشت البسط ، ونثرت عليها الوسائد ، فتحلقنا حول النار ونحن في غبطة وحبور ، ولسان حالنا يقول مبتهلا : ربنا هيء لنا من رزقك طعاما ساخنا يدفيء اجوافنا ، ويدفع عنا غائلة الجوع .

وسرعان ما استجاب صاحب رمضان دعواتنا فجاءت خيرية ومعها رجلان يحمل احدهما قدرا كبيرا مملوءا بلبن البقر المغلي المحلي وقد طفت عليه بضعة اواني صغيرة ، ويحمل الثاني زنبيلا فيه قرابة مائة من بيض الدجاج . وقالت خيرية : لقد حان وقت الافطار يا اخوان ، فترشدوا بشرب الحليب ، وكلوا البيض مشويا ريثما يأتيكم الطعام . فشربنا اللبن والتهمنا البيض ، ثم نهضنا وصلينا الفريضة ، وما تيسر من النوافل ثم عدنا الى أمكنتنا حول النار نحتسي القهوة ، ونتندر بما سلف من ايامنا ولياليناا السود في الجزيرة الجرداء الماحلة .

وبعد ثلاث ساعات طلعت علينا خيرية بطلعتها البهية وهي تتهلل فرحا ، ومعها جمع من الرجال يحملون اواني الطعام ، وكان بينها اناء كبير يحمله ستة رجال مملوء بالارز المطبوخ ، وعليه ثلاث ذبائح ، فوضع في الوسط وصفت حوله الاواني الاخرى وهي مملوءة بمرق المشمش المجفف المطبوخ باللحم ، وبجنبها اواني الثريد وعليه الدجاج ، واخرى فيها التمر المداف بالسمن المذاب . فجلسنا حول المائدة والنهم باد على تصرفاتنا وقسمات وجوهنا ، فقلت بصوت مسموع : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » .

فقالت خيرية ــ وهي موجهة خطابها الى السيد نعاس ــ : محفوظ (شنهو ولا تسرفوا) قال : يعني : حافظوا على صحتكم وكلوا اقل من الشبع . فصاحت وهي تخاطبني (لا يخوي ،سم بالله ، وكل من نعمة الله ولا تخاف) .

فضحك الكل وانثالوا على الطعام يأكلون من غير حرج ، ولما اكتفوا نهضوا ولم ينالوا منه الا القليل لكثرته ، فتقدم رجال الحي وعددهم ضعف عددنا او يزيدون ، ولما اكتفوا نهضوا ، فجاء دور الاطفال وكان منظرهم جميلا لن انساه ما دمت على قيد الحياة ، كانوا محبوكين كسلسلة محيطة بالمائدة يأكلون بتؤدة وبشر ، منظر يوحي للرائي ان ذوي السؤدد من سكان الحواضر العربية كانوا على حق عندما يرسلون اولادهم الى البادية ليتعلموا مكارم الاخلاق اضافة الى الفروسية وفنون الحرب .

وما ان رفع الباقي من الطعام الا وادبرت اقداح الشاي مثنى وثلاث، واعقبتها فناجين القهوة العربية ، ثم رفعت ادوات الشاي ، وابقيت اباريق القهوة مصفوفة حو لالنار ما دمنا جالسين ، والساقي ينهض بين الفينة والفينة ، وبيده اليسرى اصغر الاباريق ، وفي اليمنى بضعة فناجين يحركها بين الابهام والسبابة فتحدث نغما ترتاح اليه النفوس ، فيمر على الجالسين مبتدئا بالسيد نعاس ، لان العلوي عندهم مقدم في شرب القهوة خاصة ، ولا تراعى هذه القاعدة في شرب الشاي .

ومع كوننا متعبين وبحاجة الى النوم فقد استطاعت مضيفتنا ان تشغلنا هي ورفاقها بحكايات طريفة ، والعاب مسلية عفيفة مكنتنا من مقاومة السهر الى ان اكلنا طعام السحور وامسكنا . ولما بزغ الفجر صلينا الفريضة ثم آوى كل منا الى فراشه ولم ننهض من النوم الا قبيل منتصف النهار ، وسرنا مودعين من خيرية ومن معها وكلنا يلهج بالثناء عليها ويبتهل الى الله ان يديم هذه السجايا الكريمة حية في امتنا الى آخر الدهر .

قال لي السيد نعاس : لقد فاتني ان استطلع اخبارها ، فقلت له : قد كفيتك امرها فهي من عشيرة الشويلات ، متزوجة من ابن عم لها ، وقد رزقت منه طفلين اكبرهما في الثامنة من عمره ، حكم على زوجها ــ قبل عامين بالسجن لمدة اثنتي عشرة سنة ، لانه قتل رجلا معيديا على اثر مشادة حصلت بينهما بسبب دخول جاموسة المعيدي في مزرعة صغيرة له على ضفة نهر الغراف .

الحادثة الثانية :

عند عودتنا من جزيرة السيد احمد الرفاعي بتنا في مركز ناحية الكرادي(٣) ليلتين للاستجمام ثم عبرنا نهر الغراف على ظهور الخيل قاصدين عشائر بني ركاب ثم جزيرة الكار . فكان مبيتنا في الليلة الاولى عند مرزوك الرويح ، وهو احد وجوه مزارعي بني ركاب ، والارض التي يزرعها كانت ملكا للباحث المعروف للاستاذ يعقوب سركيس .

كنت اسمع عن هذا الرجل اشياء كثيرة هي اقرب ما تكون الى الاساطير منها الى الواقع من حيث الكرم ، والتقوى ، والصراحة ، والعفة، والجرأة ، الى غير ذلك من الخلال التي لم نشاهدها مجتمعة عند احد من الناس الا ما يحدثنا به التاريخ عن السلف الصالح . لذلك كنت منذ ان وطئت قدماي ارض مضيفه كلّي آذان مرهفة ، وعيون فاحصة ، اتتبع حركاته وسكناته ، واراقب تصرفاته ، فماذا رايت ؟ رايت والله العجب العجاب فتبادر الى ذهني قول الشاعر ابن هاني الاندلسي :(٤)

كانت مساءلة الركبان تخبرني
عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر(٥)
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
اذني بأحسن مما قد راى بصري

رأيت شيخا قد تجاوز الستين من عمره مديد القامة ، ممتلىء الجسم من غير سمنة ، واسع العينين فيهما اغضاءة العفة والايمان ،

يتنقل بين ضيوفه يسامرهم ويتفقد حاجاتهم ، واذا تحدث الى اي احد منهم تحدث بصوت منخفض ، ونسب اليه كل ما يملك ، كأن يقول له في معرض الحديث : خدامك ، ومزرعتك ، ومواشيك ، وبيتك ، وعيالك وهكذا دواليك ، تماما كما قال الشاعر العربي :

يـا ضيفنـا لـو جئتنـا لوجدتنـا
نحن الضيوف وانـت رب المنـزل

يقوم على خدمة ضيوفه بنفسه ، ويلبي مطالبهم قبل ان ينهض لها أي احد من اولاده او اخوته او بني عمومته ، الى اشياء اخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، ولكني اكتفي بذكر واحدة فريدة ليس لها ثان في عالم الكرماء .

بعد ان افطرنا وتعللنا في المجلس الى الساعة العاشرة خلا المضيف من رجال الحي ، وقام مرزوك من مجلسه وهو يقول : يا اخوان ، ها هي أفرشتكم معدة ، وغدا تنهضون بعون الله مبكرين لاعمالكم ، فمن شـاء ان يأوي الى منامه فليتفضل ، ثم اتجه الى العيـال وقمنـا نحـن الى افرشتنا ، وما أسرع ان عاد مرزوك وهو يحمل قسما من الاغطية الاضافية ومعه شاب يحمل القسم الاخر ، فوزعها علينا ثم فارقنا وهو يدعو لنا بالراحة والنوم الهادىء .

وفي الساعة الثالثة بعـد منتصف الليل ايقظنـا مرزوك بنفسـه فتسحرنا ثم عدنا الى أفرشتنا ، وبعد اقل من نصف ساعة اخذ بعض الرفاق يغط في نومه ، والبعض الاخر لا يزال مستيقظا ، ولكنهم قد خبأوا رؤوسهم تحت الاغطية وكنت من المستيقظين ، فسمعت مرزوك يحاور الشخص القريب مني بصوت منخفض قائلا :

— بعد بيتي ، الماء الساخن حاضر ، اذا تريد ان تغتسل تفضل .

— ياعم ما يدريك اني بحاجة الى الاغتسال ؟

— يا ولدي ، عمت عيني اذا اغفل عن حاجات ضيوفي . انا شعرت ان الحدث اصابك عندما خرجت من المضيف قبل السحور وبيدك الابريق ، ثم رايتك تتيمم ، فعلمت ان هذا التيمم عن الاغتسال .

— ياعـم ، انا نحيف البنية ، والبرد قارس لا يطاق ، وأخشـى من الاغتسال الا في الحمام الساخن ، وقد اتخذت الاحتياطات الشرعية في مثل هذه الحالة .

– بارك الله فيك واثابك الحسنى . قولك صحيح ، ولكن تفضل معي وشاهد المحل بنفسك ، فان وجدته ملائمـا فبها ونعمـت ، والا فسنعود ولم نخسر شيئا فوافق الضيف ، ونهض من فراشه وقام مرزوك حاملا الفانوس الذي كان معلقا في المضيف وخرجا خلسة . وبعد اكثر من نصف ساعة عادا ، ودخل الضيف في فراشه بعد ان غطاه مرزوك بيده وفارقه .

وعندما خرجنا صباحا الى الحقول والمراعي صـرت الى جنب صاحبي ، واخبرته باني كنت على علم بأكثر ما دار بينه وبين مرزوك، وسألته عما خفي عني من قصته قال : هل تعتقد ان لهذا الرجل مثالا في هذه المنطقة ؟ قلت : المنطقة خصبة باجواد الافذاذ ، والعراق كله مضرب المثل في هذا المضمار ، ومن اوجد مرزوك قادر على ان يوجد الآلاف من امثاله . فلم يرق له قولي واجاب بعصبية : صحيح ، وهو قادر ايضا على ان يجمع العالم في واحد ، ثم اردف قائلا :

اتدري يا اخي الى اين ذهبنا ؟ لقد اصطحبني الى بيت من القصب في اقصى الحي ، ولما دخلته وجدته مبطنا بالاغطية الصوفية وهو خال من كل شيء سوى موقدين كبيرين من الحديد فيهما جمر جاحم من الغضا ، وبينهما طست كبير من نحاس ، والى جنبه مسخنتان كبيرتان مملوءتان ماء ساخنا ، وقد غرز عود غليظ في احدى حنايا البيت ، وعلقت عليه منشفتان .

ولما علم مرزوك اني انتهيت من النظر الى البيت وما فيه قال : اظنه ملائما للاغتسال ولك الخيار . فقلت : ياعم ، القيت عليّ الحجة ، ولا خيار لي الا التسليم ، وجزاك الله عني خيرا .

فودعني ثم ترك الفانوس في البيت وخرج . ولما انتهيت من مهمة الاغتسال وخرجت وجدت مرزوك جالسا عند باب البيت واضعا عباءته على راسه مستندا على عصاه فقلت له : اوانت هنا ياعم ؟ لماذا تعرض نفسك للبرد ولم تذهب الى المضيف ؟ قال : لو تركتك وحدك ياولدي لاكلتك هذه الكلاب الضارية .

والى هنا وصلنا الى احد مراعي الحي فانقطع صاحبي عن حديثه ، وانشغلنا باحصاء المواشي وتسجيلها ، ومن جملة ما احصينا قطيعا من الضأن بلغ تعداده اربعمائة راس قال الراعي : انه لمرزوك الرويح ، فسجل العدد حسب القاعدة المتبعة بصورة غير رسمية (٢٠٠) بدلا من (٤٠٠) ، وهذا السماح عوضا عن الضيافة ، وضمان جباية الرسوم من الافراد ، وتسليمها الى الحكومة .

ولما عدنا الى الحي بعد الظهر . وجلسنا في المضيف نقرأ اسماء أصحاب المواشي وهم حضور ، ونذكر العدد والنوع العائد الى كل واحد منهم ، خشية أن يكون بينها خلطاء من احياء مجاورة ، او ان بعض قطعان الحي تداخلت عند التعداد .

ولما قرأ الكاتب (مائتا راس من الضأن الى مرزوك الرويح) قام مرزوك من مجلسه وقال بصوت عال : لا ، هي اربعمائة . قال الكاتب : قولك صحيح ياعم ، ولكن القاعدة المتبعة بعلم الحكومة – وهي غير خافية عليك – تقضي بأن يخفض النصف لمن يتكلف بمهمات لجنة التعداد ، ويضمن جباية الرسوم من رفقائه .

قال مرزوك: والقاعدة التي اتبعتها انا منذ ان اقتنيت المواشي – والحكومة والعشائر تعلم – انني ادفع الرسوم كاملة عن كل ما املك ، ولدي اعتقاد راسخ ان هذه الرسوم هي زكاة الاغنام ، وكل راس لا يزكى يموت .

فرد عليه صاحبه بالامس مصرا على التخفيض ، فأجابه مرزوك بشيء من الانزعاج قائلا : على رسلك يا ابن اخي ، انا لا ابيع الرغيف الذي أقدمه للضيف بأي ثمن ، وارجو ان لا يساورك اعتقاد باني خدمتكم لانكم من موظفي الحكومة – لا والله – بل لانكم ضيوفي ، ثم التفت الى الكاتب قائلا : توكل على الله يا ولدي ، وسجل (٤٠٠) ولا تقاطعني . فنزل عند رغبته وقطع له تذكرة بأربعمائة راس . وعندما تهيأنا للرحيل عصرا وقف مرزوك يودعنا ويعتذر عن القصور ، ويطلب العفو عن مخاشنته لنا في الكلام بشأن عدد مواشيه .

هذان – يارفيقي – نموذجان من مئات الحوادث الواقعية التي شاهدتها عيانا في منطقة واحدة من مناطق العراق ، وما يدريني لعل في العراق ، او في غيره من الوطن العربي الكبير مايتضاءل عندها هذا الصنيع.

قال: تأكد ياعزيزي – وانا جوّاب آفاق في الشرق والغرب – ان ليس في العالم من يجاري العرب في اكرام الضيف ، والعراق هو المجلّي في هذا المضمار ، ولكنني أحببت أن استثيرك لعلي أسمع منك بعض الطرائف وقد نجحت .

والى هنا صوت القطار فتطلعنا من النوافذ ، واذا بنا قد وصلنا محطة أور الكلدان فجمعت امتعتي ثم ودعته ونزلت .

(١) لعله كتاب المستجاد من فعلات الاجواد للقاضي المحسن بن علي بن محمد التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وقد نشره العلامة محمد كرد علي سنة ١٩٤٦ م بدمشق .

(٢) يشير الى قصيدة طويلة للاعشى الكبير ـ وهي ليست من المعلقات ـ يمدح بها المحلق بن حنتم بن شداد بن ربيعة جاء فيها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق

(٣) أصبحت بلدة الكرادي في سنة ١٩٣٥ م مركزا للقضاء باسم الرفاعي تيمنا باسم السيد احمد الرفاعي المدفون في تلك المنطقة (العدد من السنة الثامنة من مجلة التراث الشعبي ، الهامش / ٢ صفحة / ١٢٤)

(٤) البيتان موجودان في ديوان أبن هاني ، وقد وردا في الصبح المنبي / ٢٠٢ ، والمثل السائر ٣ / ٢٦١ ، وانوار الربيع ٩/٦ منسوبين الى ابي تمام ، ولا وجود لهما في ديوانه .

(٥) رواية عجز البيت في المصادر المذكورة انفا (عن احمد بن سعيد اطيب الخبر)

أعلام وإشارات وألوان

زهير احمد القيسي

اتخذت الكثير من الشعوب البدائية في مختلف انحاء العالم نقوشا خاصة بها تنقشها على دروعها او تتميز بريش او فراء او تصبغ اجسادها بما تتميز به عن سواها من القبائل والامم الاخرى ، واغلب الظن ان الحاجة الى التميز قد نشأت بدافع من الرغبة في المحافظة على مصالح وحدود معينة ، فكانت احدى القبائل الافريقية تضع لها رمزا مروعا مكونا من جماجم بشرية ثلاثية التركيب مشكولة على رمح مركوز ، متميزة بهذا العلم البدائي عن سواها من القبائل ومحافظة على حدود مناطق رعيها وصيدها في الادغال ، وفي استرالية ، كانت احدى القبائل من اكلة لحوم البشر تصبغ وجوه افرادها بلون احمر مخضر لا تتعداه ، فيتعرف سواهم عليهم ويحاذرونهم (١) .

رموز توتمية :

وتتخذ القبائل البدائية رموزا توتمية خاصة ، فترمز كل عشيرة توتمية الى توتمها الخاص ويجيء هذا الرمز على عدة وجوه فأحيانا يكون صورة التوتم نفسه مرسوما او مجسما ويكثر هذا النوع من الرموز وتدق اشكاله في العشائر التي ارتقى لديها الذوق الفني كعشائر الهنود الحمر .

ويكون الرمز احيانا عبارة عن اشكال هندسية او مجموعة خطوط ليس فيها شيء من صورة التوتم انما يصطلح على اتخاذها رمزا له ، ويكثر هذا الرمز في العشائر المتأخرة في فن الرسم والتصوير كعشائر السكان الاصليين باسترالية . وقد تستخدم بعض اجزاء الحيوان او النبات للرمز الى التوتم ، ففي بعض العشائر يرمز الى التوتم بجلد الحيوان واحيانا يرمز اليه بتشكيل الدروع او الملابس او ادوات الحرب في صورة تشبه صورته ، وعند كثير من عشائر الشمال الغربي باميركة الشمالية يرمز الى التوتم برسمه على أجساد الافراد بطريقة الوشم ، أو

بمجموعة من العصي بعد ان تضاف عليها مواد اخرى وتجري عليها بعض العمليات والطقوس وترسم عليها اشكال خاصة .

الثلاثية :

ومن هذا القبيل ثلاثية رموز توتمية مهمة مستخدمة لدى كثير من العشائر الاسترالية يسمونها (شورنجة) و (وانجة) و (نورتنجة) . اما الشورنجة فتتمثل في عصا او قطعة من الخشب مثقوبة في نهايتها ويجري في ثقبها خيط مجدول من شعر انسان ، اما (وانجة) فتتمثل في عصا طويلة تخترقها عصا اخرى او عصوان في صورة تمثل شكل الصليب وتوصل نهاية العصا الافقية او نهايتا العصوين الافقيتين بنهايتي العصا الرأسية بخيوط مجدولة من شعر آدمي او حيواني ، اما (نورتنجة) فعصا طويلة او عدة عصي مربوطة في ضغث واحد ويوضع فوقها اعشاب يابسة ويلف حول الاعشاب خيوط مجدولة من شعر آدمي ، ويصنع من شعر بعض الحيوانات او زغب بعض الطيور حلقة تثبت في رأس هذه العصا او عدة ضفائر تتدلى من رأسها الى اسفلها ، وتتزين قمتها بخصلة من ريش النسور . وكما تشير هذه الرموز الى توتم العشيرة ، تشير الى العشيرة نفسها ، كما ترمز في عصرنا الحاضر صورة الدب الى الروس وصورة الديك الى الفرنسيين . وبذلك تمتاز كل عشيرة توتمية وتميز كل ما تملكه وما يتصل بها عن جميع ما يخرج عن نطاقها ، ومن ثم نرى الرمز التوتمي للعشيرة مثبتا على اجسام افرادها وملابسهم واغطية رؤوسهم واسلحتهم وخيامهم ومنازلهم وتوابيت موتاهم وقبورهم وكل ما يملكونه من حيوان او متاع . ومن اكثر الرموز تقديسا واستخداما في الطقوس والعشائر الدينية ما اشرنا اليه باسم شورنجة ووانجة ونورتنجة ، فقد كان يحرم على كل فرد غير معمد اي غير ملتحق بالمجتمع الديني للعشيرة لمسها بل كان يحرم عليه مجرد النظر اليها الا عن بعد ، وفي بعض المناسبات يحرم هذا على جنس النساء على الاطلاق لان النساء لايجوز تعميدهن كما يحرم علىمن لم يتم تعميده والحاقه بذلك المجتمع من الذكور ، وتحفظ هذه الرموز في مخابيء خاصة بعيدة عن الطرقات ، وتعتبر المخابيء وما يحيط بها مكانا مقدسا لا يسمح فيه ولا بالقرب به الا لمن تم تعميدهم والحاقهم بالمجتمع الديني ، كما يعتبر حرما آمنا لا يرتكب فيه منكر ولا يصاب الملتجيء اليه بسوء ، وكثيرا ما يشار الى حدود هذا الحرم بعلامات مادية تتمثل في قطع الاحجار عند بعض هذه العشائر ولا يسمح باخراج الرموز من مخابئها الا في مناسبات دينية وحربية خاصة او في حالة ما اذا قبلت العشيرة اعارتها مدة ما لعشيرة اخرى ، فقد كان يجوز للعشائر ان تتقارض هذه الرموز لتستمد منها

القوة والعون . وفي حالة اعارتها مدة ما لعشيرة اخرى ينبغي لاخراجها من مخابئها القيام بعدة طقوس دينية معقدة وتخرج في موكب حافل ، ويعتقد ان مصير العشيرة مقيد بمصير هذه الرموز ومن ثم يعتبر فقدها اكبر كارثة يمكن ان تصاب بها العشيرة ، واذا فقدت العشيرة رمزا منها ظل جميع افرادها مدة اسبوعين يبكون وينتحبون ويلطخون وجوههم واجسادهم بالطين ، ولذلك لا تألو العشيرة جهدا . في حمايتها وحراستها من ان تمتد لها يد بسوء ، ويقوم على حراستها سدنة اقوياء تختارهم العشيرة من بين رجالها المتازين ، وهم في ذلك يعتقدون ان لهذه الرموز خواص عجيبة وآثارها بليغة في كثير من شؤون العالم الدنيوي ، فمن ذلك انه يعتقد ان مجرد لمس شورنجة يشفي من جميع الامراض والجروح ، وان حملها ومسح الجسم بها يهب القوة الخارقة ويبعث الرعب في قلوب الاعداء ، حتى ان المحارب اذا رأى خصمه يحمل شورنجته تخور قواه ويستسلم لاعتقاده انه لا جدوى من المقاومة ! ولذلك تدهن شورنجة بالزيت ويمسح بها قادة الحرب على جسومهم قبل ان يخوضوا المعركة ، ويتوقف كثير من الطقوس والشعائر الدينية على هذه الرموز ؛ ففي حفلة التعميد اي الالتحاق بالمجتمع الديني توضع الشورنجة امام الملتحق اثناء تلاوة الاوراد واجراء عمليات الالتحاق ، ولا يتم تعميده الا باستلامه لها وتقبيلها وفي بعض الحفلات الدينية تثبت الواتنجة او النورتنجة في الارض وتلتف حولها حلقات الرقص والغناء الديني ، وفي بعضها يمسك بخيط الشورنجة وتحرك في الهواء بحركة دائرية سريعة حتى تنشر بركتها في ارجاء المكان ! وغني عن البيان ان مظاهر التقديس لا تتجه الى الاخشاب نفسها وانما الى ما ترمز اليه ، غير ان الغريب ان هذه الشعوب تقدس رموز توتمها بأعمق من تقديسها للتوتم ذاته ، فأن الشورنجة والواتنجة والنورتنجة لا يصح ان يلمسها او ينظر اليها الا المعمدون من الرجال على ان الحيوان او النبات الذي تتخذه العشيرة توتما لها يحل لكل فرد من افرادها لمسه والنظر اليه بل يباح قتله واكله ! (٢)

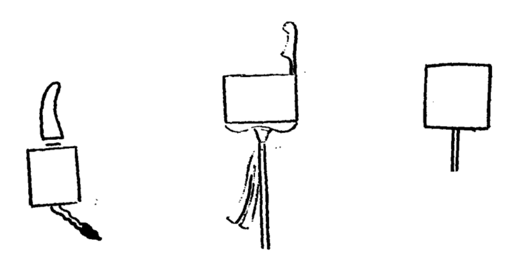
الرمز والشعار :

وقد اصبح التوتم باعتباره رمزا وشعارا علامة مفيدة تدل على ما بين البدائيين من قربى وتميزهم من بعضهم البعض ثم اخذ يتطور في صورة علمانية فكان منه التماتم والشارات ... ثم ما اتخذته الامم من شعارات لها كالاسد والنسر والايل (٢) .

الدوارات :

وقد استعمل الهنود الحمر (الدوارات) وهي ما كانوا ينتزعونه من شعر رؤوس اعدائهم فيعلقونه في أعنة خيلهم وعلى خيامهم كالمذبات ، ويرفعونه كأعلام في كثير من المناسبات ، او يلصقونه في طوق متخذ من غصن اخضر فيثبتون الطوق في نهاية عصا طويلة يحملونها معهم او يقيمونها كالنصب في أفنية دورهم كما كان يفعل (السيثيون) القدماء في شمالي شرقي أوربة وشمالي شرقي آسية في العصور القديمة . والدوارة دائرة في مساحة الكف بقمة الراس تكون حيث يغزر الشعر(٤)

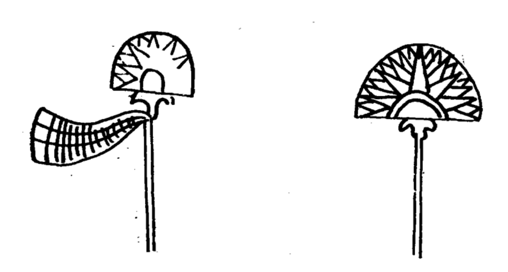
تلك الاصول التاريخية الاولى للعلم ، وبمرور الزمن تعقد استعمال ذلك وتعددت اشكاله . ففي اللوحات والاثار التي وصلتنا من تاريخ الفراعنة نجد عادة حمل الاعلام العسكرية والرموز الحربية اثناء المعركة مألوفة ، ويرجع ذلك الى عصر ما قبل الاسرات ، وفي لوحات هيركو نبوليس نجد رموز الوحدات التي كانت تؤلف جيش الجنوب وشاراتها وهي تقوض جدران القلاع ، او في لوحات الصيد في تاريخ الدولة القديمة. ثم توارت عادة حمل الاعلام لقرون متلاحقة في عصر الدولة الوسيطة ، ثم عادت الى الظهور بعد ايام الهكسوس في اسلوب لا قبلي ، بل بموجب نظام الفرق ، وصار لحامل العلم مكانته ورتبته . والكلمة الفرعونية (سريت) التي تعني العلم ، وقد نحتت من الكلمتين اللتين ترمزان للعلم وحامله وربما كانت ذات أصل اجنبي ، هكسوسي او من شرقي سيناء ... وفي عهد الاسرة الثامنة عشرة ظهر السريت الفرعوني ايام الملكة حتشبسوت بشكل المروحة نصف الدائرية فوق عمود خشبي طويل .



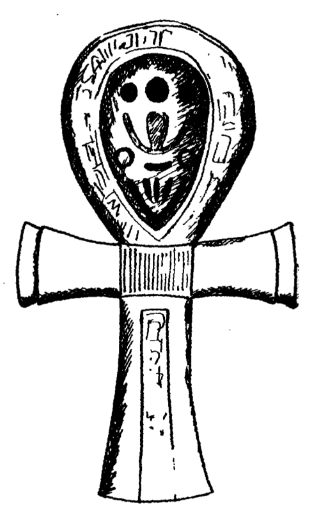
سريت :

وهذا النوع من الاعلام الذي اطلقوا عليه اسم سريت كان يستخدم في الجيش والبحرية فيذات الصورة على الاقل من الناحية الشكلية لو جاز لنا ان نغفل مسألة الخلاف في اللون او ما يسطر عليه ... وان كانت التسمية واحدة في الرموز الهيروغليفية التي تعني حامل العلم سواء كان هذا العلم لوحدة برية او سفينة حربية . ويمكن رؤية النموذج الصحيح لسريت في مقدمة سفينة حربية في لوحات الدير البحري ، كما نجد صورة لسريت اخناتون يحمله جنود حراسة الفرعون في رحلاته وحفلاته ، ويختلف عن سريت حتشبسوت بقطعة من القماش حمراء وخضراء مثبتة على صاريته . وقد تتصل بهذا العلم اشرطة متتالية بالالوان ذاتها كما في سريت توت عنخ آمون أو رمسيس الثالث ، وهناك صورة اخرى لعلم مربع الشكل معلق بأعلى سارية كبيرة ، والمربع ساذج دون زخارف وكذلك صاريته ، وقد تعلقبه قطعة قماش ملونة ، أو ريشة نعام . ومما رصد في نقوش الفراعنة ، علم يحمله المحاربون البحريون النوبيون ، وعلم لسفينة الملك واسمها (جيب آمون) منقوش عليه اسم حاملة ، وعلم لسفينة الشمس وربما كان علما لوحدة عسكرية .

وثمة اعلام اخرى كانت تستعمل للاحتفالات منها علم عليه شارة الملكة حتشبسوت تحيط به ريشتان وقرون ، واخر عليه صورة الصقر تعلوه ريشتان ، واخر يمثل راسا آدمية مزينة بريشتين او اكثر ، وهناك اعلام اخرى تحمل صورة الغزال او زهرة لوتس او راس كبش او اسماء آمون او بتاح او سيت ، وقد ترفع فوق رأس الفرعون اشارة الى انه



تحت حماية الالهة ... وقد تكتب على هذه الاعلام اسـماء الوحـدات مثل (رخاء مصر) او (جمال آمون) او (اجمل اكسـنا وات)(٥) وكان من بين الرايات الاربع التي تحمل امام الفراعنة راية تمثل موكب الملك كما تبين النقوش الاثرية التي يعود عهدها الى ايام الملك رمسيس الثاني ، وتشير الى اندحار الاعداء ، كما شوهدت شعارات تمثل (سنارة) على السفن المخصصة للصيد البحري والنهري ، وتمثل زهرة اللوتس رمزا دينيا ملكيا مقدسا(٦) كما تشير الاثار الفرعونية الى اسـتعمال النجمـة الخماسية ، والنحلة كرمز فرعوني يوضع على تاج الفراعنـة ... اما (صليب اخناتون) فكان هو الرمز المباشر للحياة القوية والاخصاب(٧) . ولا بد من الاشارة الى ان اللون الاخضر كان رمزا لبعث الحياة والحيوية ، وربما اختير لانه يشير الى مياه الفيضان المحملة بالنباتات الخضراء التي جرفها النهر من افريقية (٨) . وقد اتخذت (الافعى) رمزا ملكيا ودينيا ، يزين تاج الفرعون وهو رمز وحدة خيمي العليا وخيمي السفلى وكذلك



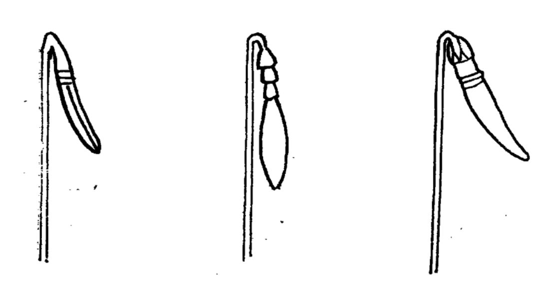
(البلطة المزدوجة) و (ساق سكين اللحم) وربما كانا شعارين مقتبسين من الاشعرة الآسيوية (٩) . كما عرف الفراعنة الصليب المعقوف للدلالة على الفأل الحسن او التعبير عن الفصول الاربعة للزراعة (١٠) وقد شوهد جناحا النسر رمزا لاله الشمس اوزوريس (١١) .

ما بين النهرين :

وفي وادي ما بين النهرين حملت الرايات في آشور منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، فقد وجدت نقوش رايات مقدسة في آثار اور واشور ناصر بال (٨٨٥ ق . م) وكذلك في آثار سرجون وسنحاريب ، وقد استخدمت على ما يبدو في مناسبات الصيد اضافة الى استخدامها في المعارك ، اذ كانت ترفع على العربات وفيها اعلام شريطية الشكل ، محفوفة بحراسة مشددة .. وهناك تمثال آشوري يعود به العهد الى عام ٨٦٠ ق . م يظهر فيه الرمح ذو الراية واخر يمثل جنديا يرفع راية وحدته (١٢) .

آشـور :

وتشير الآثار الاشورية في بعض نقوشها الى علم في مقدمة عربة الملك الذي كان يفوق نباله من قوسه ، ويظهر العلم وفي رأس قناتـه حلقـة مستديرة عليها صورة المعبود اشور واقفا على ظهر ثور وهو يرمي سهامه عن قوسه وفي مؤخرة العربة علم بيضوي آخر يبرز من اعلاه شيء كالحربة القصيرة عليه رموز مستبهمة ويحمل العلم المرفوع فوق راس الملك ، قرص الشمس بين حيتين ، ذلك ان للشـمس رمزها المهم في (اراكي) بـلاد الشمس ، ويكون القرص مع نسر يرمز الى آشور المعبود(١٣) او دائرة يقفه فيها تمثال لنبال على رأسه تاج ، وهذا النبال يمثل الاله آشور ايضا(١٤)



كلدة ــ عيلام :

وفي حروب كلدة ــ عيلام صرع الملك الكلداني بيلنا دنشيما واختفت الراية الملكية التي ليس من اليسير تحديد شكلها ، انما من المعروف انها عبارة عن تمثال صغير للاله (انو) ابو الآلهة (١٥) وقد وجد نقش آشوري (٧٤٥ ــ ٧٢٥ ق . م) ويمثل ملك اشور قابضا على زهرة من شجر النبق (لوتس !) اشارة للسيطرة العليا(١٦) وكان رمز آشور وهو اله الحرب عند الاشوريين هو حامل يحيط به قرص ثبت عليه جناحان وفوق القرص تمثال محارب يمسك بقوس وسهم ، والراجح ان هذا العلم وما يرمز اليه عبارة عن بقايا شعار توتمي كان يتوج بتمثال على هيئة انسان لاله البرق او العاصفة ، والحامل هو خير ما توضع عليه الرموز التوتمية في ميدان القتال ، وربما كانت الشمس توتما قبليا للاشوريين لان تمثال المحارب الذي يحمل القوس والسهم يرمز فيما يبدو الى اله البرق والعاصفة وهو تصوير اسطوري كثيرا ما اقترن بالشمس التي كان ينظر اليها على انها محارب عنيد ، ولما كان اله العاصفة يتحكم في البرق المجسم على هيئة سهم فقد اصبح من المألوف ان يتحول الى اله حرب ، ولقد كان هذا الاله هو الشعار الذي يسير الاشوريون خلفه الى الحرب ، وكان يوجد باشكال متفاوتة في الاقاليم التي يمتد اليها حكمهم ، وكان عندهم سر النصر الذي يحرزونه على أعدائهم(١٧) .

بابل :

وقد كان للشارة اهميتها في عهود بابل ، فقد كان لكل بابلي ختم او عصا مصنوعة باليد في راسها شكل تفاحة او زنبقة ، وكان لابد من وضع زخرف رمزي على هذه العصا التي تقوم احيانا مقام الختم القانوني حتى ان الاقدام على تقليدها كان محرما تماما (١٨) وفي الحضر شوهدت رايات تمثل الكواكب الخمسة المعروفة واخرى تحمل نقش الصليب المعقوف(١٩)

وكان من شعارات الملكية البابلية العصا المعوجة او الصولجان ، وهي عصا معقوفة الراس تشبه المحجن وتعد من شعائر الملك والسلطة ، وقد حملها عدد من ملوك آشور وفراعنة مصر ، وربما كان الشعبان والعقرب من الاشارات الشعائرية ذات الاصل التوتمي(٢٠)

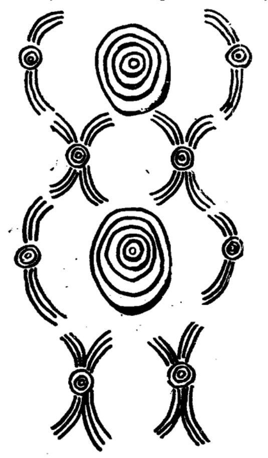
فونكس :

وقد اتخذ الكنعانيون اسم ارضهم (فونكس) اي النخل باليونانية لاشتهار هذه النواحي منذ القدم بهذا الشجر ، وكانت المسكوكات القديمة تتخذ النخل رمزا لفينيقية ، وينقض هذا الراي ان الكنعانيين اتخذوا

النخل رمزا لفينيقية في الوقت الذي سماهم اليونانيين بالفينيقيين ، وانهم لم ينسبوا في تسميتهم الى النخل ، انما النخل نسب اليهم لان اليونانيين لم يروه الا في بلادهم ، وقد يراد بـ (فونكس) الاحمر او القرمزي او الارجواني ، كما اتخذ الفينيقيون الارزة رمزا لهم ربما تأثرا بالحثيين . اما في (العهد القديم) فقد ذكر اللونان الازرق والابيض كلونين احتفاليين كهنوتيين واشير الى رايات واعلام باسماء المحلات حسب اجنادهم(٢١) ورفع الشمعدان السباعي كرمز للانتصار الروماني في فلسطين . كما اشتهر الفأس كرمز لطائفة الاسينيين مع اللونين الابيض والازرق(٢٢) .

قرطاجنة :

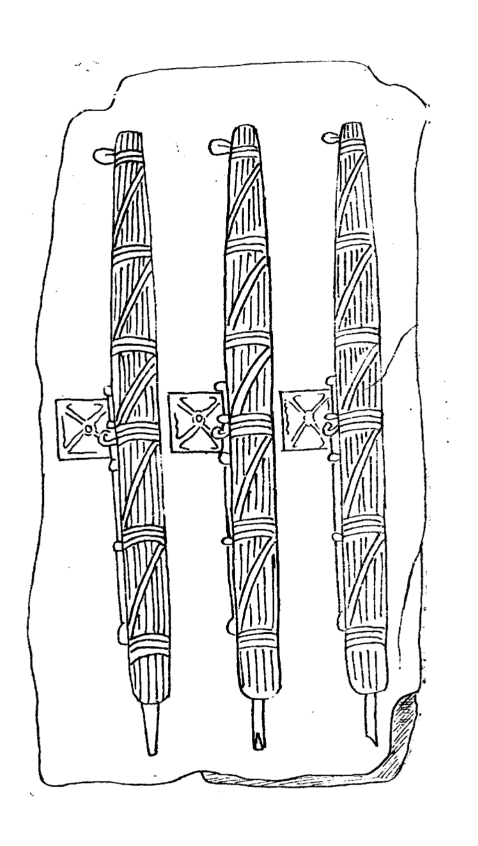
وفي قرطاجنة كانت تخفق على جدران (مسيكا) براقع زرق وصفر وبيض هي براقع محظيات المعبودة تانيت ، وكانت شعارات جمهورية قرطاجنة التجارية تتكون من قضبان من الخشب زرق ، وفي اعلاها رؤوس افراس او شبه ثمار شجرة الصنوبر ، وحينما هاجم الثوار البرابرة قرطاجنة ظهرت في اعلى الصاري المنصوب امام خيمة قائدهم قطعة من



القماش الاخضر اشارة للبدء بالقتال ، وقد تميز بعض جنود قرطاجنة المرتزقة براس قرد كبير او فأس او رمانة او مطرقـة ، وغالبيتهم ممن خدموا في آسيـة مع الجيش الروماني ، اما المتأثرون باليونانية فقد تميزوا برسم قلعة او بأسم (اراكون) وكانت الاشـارة المتعارف عليها لتبـادل تسليم الجثث تتألف من علمين متصالبين ، اما المرتزقـة من الزنج فقـد كانوا يرفعون قصبات عليها خواتم ، او اذيال بقرات على رؤوس عصيهم وهي اعلامهم في حروبهم ، وفي داخل قرطاجنة كانت راية الربة ملكاريث مصنوعة من الارجوان الناعم وهي تظلل شعلة من النار ، وعلى راية خامون الملونة بلون الياقوت ذكر من العاج وسط دائرة من الاحجار الكريمة ، وبين سجف راية اشمون الزرقاء كالاثير حية نائمة تكون بذنبها دائـرة ، وكان جيش البربر قد اتخذ راس ثور وحزامين يلف كلا منهما على شـكل تاج ويعلقان على قرني الثور ويرفع الراس عاليا على سـنان رمح دلالـة على النوايا السلمية ، وكان الرد على هذا الشعار يتألف من حمالـة سيف مصنوعة من الجلد الاحمر موشاة مزركشة عليها ثلاثة نجـوم من الماس مختومة بشارة مجلس قرطاجنة الكبير وهو (جواد تحت نخلة) وكان ذلك سمة الامان التي يستعملها جيش قرطاجنة عندما يكـون تحت قيـادة هاملكار بن بركا(٢٣) .

في بلاد الاغريق :

وكان للاغريق شعارات واعلام منها ما هو من قماش ومنها ماهو دروع على رؤوس الرماح ، وكان للمدن الاغريقية مميزاتها مثل (ابـو الهول) وربما تكون الراية قد نقلت عبر جزيرة كريت الى بحر ايجة وربما تكون الراية اغريقية الاصل تماما (٢٤) وكانوا ايضا يتخذون على اعلامهم صور آلهتهم او قادتهم ، وفي ثورة الفقراء سنة ٣٣٠ ق . م رفع الثوار اللون الاحمر رمزا لثورتهم ، وقد عرف الاغارقة اللون الاسود للحداد ، السبيادس ينقش على درعه الذهبي صورة اله الحب والى جانبه صاعقة رمزا لانتصاراته العسكرية (٢٥) واستعمل الاغريق البلطة المزدوجة شعارا، واصل ذلك الشعار من اشعرة الملكية في كريت (٣٠٠٠ ق . م) مع زهرة الزنبق ، ومنها انتقلت هذه الزهرة الشعارية الى كثير من الامم حتى عصرنا الحاضر ، وترمز البلطة الى انها الة التضحية وقد اضحت ذات قوة سحرية عظيمة اكتسبتها من فضيلة الدم الذي تسفكه او سلاحـا مقدسا يهديه الاله فلا يخطيء قط ! او رمزا لزيوس الذي يرسل الرعد ويشق السماء بصواعقه ، كما اتخذوا الدرع شعارا ، والصليب في صورتيه اليونانية والرومانية (٢٦)



بيزنطة :

وفي تاريخ بيزنطة الذي يبدأ منذ حوالي عام ٣٣٠ م كانت (جياد ليزبيوس البرونزية) شعارا اثيرا ، كما استعملت بنود صليبية الشكل ، حيث اكتسب البند الصليبي اهمية كبرى منذ عهد قسطنطين وحمل مصحوبا ببعض الشعارات ، وكان قسطنطين اول من اتخذ الصليب على اعلامه وبنوده (٢٧) وقد عرفت اسر القادة فوكاس وبريناس ودوكاس باحتكار اللواء(٢٨) وكان للبيزنطيين علم خاص بالحرب(٢٩) اما الاخضر والازرق والاصفر والاحمر فقد كانت الوانا مهمة في بيزنطة ، وربما كانت في الاصــل الوانــا خاصــة بسائقــي العربــات في مباريات هيبوريوم



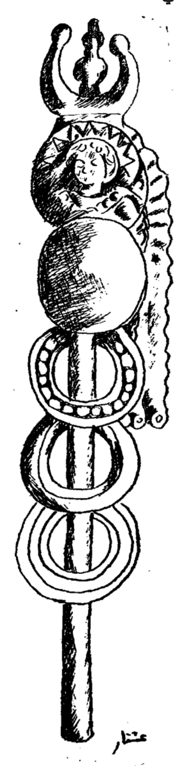
القسطنطينية ورثتها من رومة القديمة ، وفيها ايماء الى العناصر الاربعة: الارض والماء والهواء والنار ، ثم صارت هذه الالوان رموزا للاحزاب البيزنطية التي اندمجت فصارت حزبين رئيسين هما الاخضر والازرق او حزب الخضر وحزب الزرق ، وهما حزبان سياسيان متعارضان يقومان على اساس ايديولوجية مسيحية متخالفة ، ولابد ان هذه الالوان كانت تتخذ اعلاما فقد اشير الى ان هرقل احرق تمثال فوكاس في الهيبوريوم ومعه علم الزرق عام ٦١٠ م (٢٠)

في رومة :

وكان الرومانيون قد اتخذوا النسر شعارا لرومة منذ عهد بعيد ، والى ذلك كان لهم رايتان احداهما حمراء ينشرونها عند عزمهم على الحرب فوق عجلات يسيرونها في الشوارع تنبيها للشعب الى ما عزموا عليه ، وقد رفعت رومة هذه الراية في مجلس الشيوخ ابان اعلانات الحروب ، اما الراية الثانية فكانت بيضاء رمزا للسلام ، وعلى اعلام مجلس الشيوخ كانت ترفع هذه الحروف (SPQR) ومعناها (سيناتوس بوبليوسكو رومانوس) ... وكان الصولجان التقليدي هو شعار القنصلية الرومانية وهو مجموعة من القضبان البورنزية يتوسطها فأس وهي ترمز لسلطان القنصل الروماني(٢١) وكان الرومان يطلقون على كل كوكبة عسكرية اسم (مانبيلوس) ومعنى اللفظ بالاصل حفنة من الدريس او السرخس وما اليها ويلوح اذ حفنة من هذه المواد المشدودة الى قائمة خشبية كانت تتخذ علما حربيا بدائيا ثم صار هذا اللفظ يطلق على جماعة من الجند يظللهم علم واحد ... وكان البند او علم الخيالة (الفرسان) اقرب الى الاعلام الحالية من سواه ، وهو قطعة قماش مربعة مثبتة الى عمود يربط على راس الرمح ، وقد وجدت له صور في العملة الرومانية والمنحوتات ، اما علم الاباطرة فقد كان مصنوعا من الحرير الارجواني . وهو لون انبراطوري خاص ـ المطعم بالذهب .

اما الفأس التي تتوسط القضبان البورنزية ، فيعود تأريخها الى عام ٥٠٨ ق . م فقد سن فالريوس احد القنصلين انه يتحتم على القنصل اذا اراد ان يدخل الجمعية ، ان يفصل راس البلطة عن مقبضها ويخفضها ، اشارة الى سيادة الشعب ، والى ان عقوبة الاعدام وقت السلم من حق الشعب وحده ، وقد اخذ الرومان عن التوسكانيين ، العصا والفؤوس التي كان يحملها امام كل قنصل اثنا عشر ضابطا والتي يرمز بها الى حقه في ضرب الناس وقتلهم ، وقد وجدت في احد القبور التوسكانية بلطة من حديد ذات راسين ويد ، محاطة بثمانية قضبان حديدية ، وكانت البلطة رمزا للسلطان منذ عهد لا يقل في القدم عن عهد الحضارة المينوية في كريت،

ويطلق الرومان على البلطة والقضبان المحيطة بها اسم (الحزم) = (فاشات) اما الضباط الاثنى عشر فيرمزون للاثني عشر مدينة التي ضمها الاتحاد التوسكاني(٢٢) .



وقد اتخذ الرومان من منقار الغراب على اعلامهم رمـزا للقـوة والبطش (٣٣) . ومما يجب الاشارة اليه ان الرومان قلـدوا اليونانيين باتخاذ صور آلهتهم اوقادتهم على اعلامهم، كما اتخذوا عليها صور الحيوانات كالذئاب والخيل والدببة . ويقول سينيكا في رسائله ان احترام الجندي لالويته وحبه لها هما اهم الروابط التي تشد الجندي الروماني بوحدته ، وقد سجل للاسطول الروماني المرابط على طول شواطيء ويلز الشمالية استعمال اللون الاخضر للاشرعة ، وكان بحارته يرتدون زيا في لون خضرة البحر وذلك في حدود عام ٣٧٤ ق . م(٣٤) .

لابريوم :

وقد انعطف الانبراطور قسطنطين الى المسيحية في خريف عام ٣١٢م بعد ان مر بتجربة روحية عميقة قص طرفا منها على صديقـه المـؤرخ اوزبيوس ، ومؤدي ما رآه في حيرته وتردده عن مواجهة قـوات عـدوه ماكسنتيوس انه صلى لاوثان ابيه واذا به يرى في اصـيل اليوم التالـي صليبا من نور في السماء واضح المعالم يقع فوق قرص الشمس الجانحة للمغيب وعليه كلمات هي « بهذه العلامة تغلب اعـداءك » فأمـر بصنع صورة يحملها كدرع يقيه من اعدائه وهكذا صنع راية !! (لابريوم) . وهي راية عسكرية انفرد بها على شكل حربة تحمل صورة الانبراطـور يعلوها اكليل نقش داخله حرفا XP وهما الحرفان الاولان من اسم المسيح بالرومانية ، ثم امر بوضعها على دروع جنوده وعلى خوذته وعلى عملته المعدنية ويسمى هذان الحرفان بـ (مونكرام)(٣٥) وتتألف (لابريوم) التي صارت راية لدولة الروم فيما بعد من صليب تنسدل من عارضته الافقية قطعة من الحديد المزركش بالذهب المرصع بالحجارة الكريمة ، تحمل صور ةقسطنطين وولديه ويعلو الصورة اكليل من ذهب في وسطه مونكرام المسيح (٣٦) .

ان اتخاذ الانسان اعلامه ــ منذ بدء التأريخ ــ كان لشتى الظروف وشتى المناسبات والاحوال ، وكان للعلـم دلالاتـه المختلفـة ، الدينية والسياسية والقومية ، وكان له استعمالاته المختلفة المتفاوتة ، وكما كان

للعلم ذاته دلالاته فان لالوانه نفسها دلالاتها ومغازيها الخاصة ، ومن هنا تنجم الصعوبة في الجزم بطبيعة أي لون من الالوان ، لانها تتبدل بسهولة كما ان مفهوم الالوان يتغير لدى كل فرد عن الاخر وكل شعب عن غيره من الشعوب .

فاللون الاحمر يمثل القوة منذ أقدم العصور ، ولقد كان الشرقيون يزينون ملابس اطفالهم بالخيوط الحمراء ويستعملون الخيوط الحمراء حول المعاصم للوقاية من الامراض ، كما استعملت نسوة الصين الخرز الملونة والمناديل الحمر ، والاحمر دليل الحب والوفاء لدى غير هذه الامم ، والاخضر لدى البعض يمثل الامل والخصب والحياة او هو رمز بعث الحياة ، والاصفر رمز الغيرة ، والاحمر يوحي بالحرارة ايضا ، وهو اللون المفضل في الطبيعة وهو دليل الحب العميق ورمز الحرية ، ولهذا فهو يمثل احد الالوان الرئيسة في اعلام اكثر الدول ، وللاخضر تأثيره المهدىء للنفوس وهو يمتص النور ولا يعكسه ، ويساعد الازرق على الشعور بالراحة ، والابيض له استعمالات متعددة فهو لون الحداد لدى بعض الامم بدل الاسود ، ونذكر هنا نظرية الوان الحروف التي وضعها الشاعر الفرنسي ارثر رامبو (١٨٥٤ م) .

ومن الناحية التاريخية فان استعمال تعابير مثل (لافتة) وراية ، الخ ، قد اختلف لدرجة ملحوظة غير ان الاستعمال الحديث يقيد تعبير (لافتة) بأنه قطعة قماش مثبتة من حافتها العليا الى عمود او شريط وفي مثل هذه الحالة تختلف اللافتة عن العلم بأنها ـ عادة ـ ذات جهة معاكسة حيث يكون الشعار المكتوب عليها اما مخالفا لما كتب على جهتها الاخرى او غير متيسرة معرفته .

وتشير كلمة (علم) في جميع اللغات الى قطعة قماش او اي مادة اخرى تعرض شعارات معينة لمجتمع او جيش او حكومة او فرد ، والعلم غالبا وليس دائما مستطيل الشكل ملحق بسارية وحبل لرفعه ، من جهة واحدة بحيث يمكن مشاهدته من الجانبين ، وتعرف الاعلام من مختلف الاشكال ولمختلف الاغراض بانها لافتات او شعارات او رايات مستطيلة

او غير ذلك ، وفي الاصل استخدمت الاعلام بصورة رئيسة في ساحات الحرب كما بقيت فترة كشعار للقيادة وساعدت على التمييز بين المتحاربين وكنقاط تجمع ، ولها العديد من الاستعمالات الاخرى المختلفة ، ويفضل في صنع العلم ان يكون من مادة تساعد على الرفرفة بحرية ، ومن النافع اختيار الشعار المتماثل على جانبي العلم والا فأنه ينبغي ان يصنع من قماش ثقيل وقد يكون مزدوجا ، ويلزم تفصيل النماذج المبسطة في الالوان والشعارات ، وقد اتبع الاستعمال الاوربي للعلم عادة نقش الدروع بأشكالها وملاحظة عدم تقاربها من حيث الالوان كالاصفر والابيض دون توسط لون ما .

ان اول شعار استخدم في المعارك لم يكن مثل الاعلام التي استنبطت حديثا وان استخدام للغرض ذاته الذي ينطبق عليه الاصطلاح اليوم ، فقد كانت الاعلام تتكون من مادة صلبة تثبت على عمود ، واحيانا يتم تثبيت بيرق شريطي الشكل وكانت على الغالب تعتبر شعارا مقدسا ، فكان لملوك مصر القدماء راية تمثل موكب الملك تحمل الرايات الاربع ، وفي النقوش الاثرية التي تعود الى عهد رمسيس الثاني تبدو الرايات المقدسة المذكورة ، وفي اور عثر في احد معابدها على راية مشابهة وكذلك في آشور منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد اصبحت الاعلام الشريطية في بعض العهود اكثر شهرة من الشعار ذاته .

وفي العصور الوسطى استعملت اعلام مثبتة على اعمدة افقية كشعارات تيسر رؤية ما كتب عليها وما نقش فيها من جانب واحد ، وكانت اسافلها غالبا ذات حواش مذهبة عند نقطتين او اكثر وقد حملت البعثات الحربية مثل هذه الشعارات ، وعلى الغالب فقد كان لها اهمية دينية مماثلة ، ويلاحظ ان كثيرا من اعلام الدول المسيحية قد تطورت منذ عهد الحروب الصليبية الثالثة ثم انتشر استعمال الاعلام بصورة واسعة واحتل الصليب معظم الاعلام كما كانت هنا كاعلام كثيرة استعملت بصورة شخصية او عائلية وهي ذات اهمية محلية ، وغالبا ما كانت اعلاما معقدة ، ويمكن القول ان الراية كانت ذات حجم اكبر وانها استعملت للدلالة على مركز القائد في الحروب والاحتفالات كما استعملت كشارة

ملكية في البلاطات والقلاع كما استعملتها الدول ذات السيادة الحقيقية في مواقعها وسفنها كما استخدمت الراية من قبل كبار النبلاء الذين يحملون شاراتهم الشخصية الخاصة بهم ، وكانت الرايات في الاصل طويلة وتنتهي في نقطتين ، اما الاعلام فكانت تحمل امام الملوك والمحاربين والقادة ، بينما يحمل الفرسان شاراتهم الشخصية او العائلية .

وفي العصور الحديثة اصبح استعمال العلم مقيدا بنظم ودساتير محددة خاصة ، وقد تتبدل الاعلام في كثير من الاحيان وتقوم بعض الدول بكتابة تاريخ العلم وسجله وتعطي دول اخرى معلومات عامة عن اعلامها ، وتستعمل بعض الدول اعلاما مختلفة ، كالاعلام الوطنية في بعض البلدان تمثل الحكومة وهناك علم للبحرية وعلم للتجارة ، واخر يستعمل علما عسكريا خاصا وهناك اعلام للقوة الجوية ، وتستعمل بعض الدول الاعلام ذاتها لمختلف الاغراض .

وفي بعض الدول لا يسمح باستعمال الاعلام الرسمية للاغراض الخاصة .

ولعل اصعب مشقات البحث في اعلام العصور الحديثة هو ضبط مقاييسها واحجامها والوانها ، كما ان هناك اعلاما دولية كعلم الامم المتحدة والصليب الاحمر والعلم الاولمبي الخ وهناك الوان ذات دلالة عالمية كأعلام السفن في حالة وجود وباء فيها واعلام النجدة واعلام الحداد واعلام الاستسلام . فهناك مثلا الراية ذات العظمين المتقاطعين شارة لصوص البحر (القراصنة) وهي رمز عالمي للسموم ، كما يشير العلم الاسود الى الحداد رغم ان بعض الشعوب تستعمل الابيض لهذا الغرض ، ويشير العلم الاصفر الذي بوسطه دائرة سوداء الى انتشار الطاعون على السفينة التي تحمله ، كما يشير العلم الاصفر على صواري السفن الى انها تحت الحجر الصحي كما يرفع العلم الاحمر عند الثورات ، اما تنكيس العلم بربطه في وسط الصارية فهو دليل الحزن والحداد ويشير دخول السفينة الى مينائها منكسة العلم الى وفاة بعض من فيها ، وترجع عادة حمل رمز او شعار او شارة عسكرية الى عهد قديم قدم الحروب ، وتتشكل حسب

الظروف والاحوال ، فعندما تحولت الحرب من اشتباك بين شراذم غير منظمة من القبائل الى قتال بين قوات نظامية ثم تزايدت الجيوش عدديا الى المدى الذي يمكن تقسيمها فيه الى وحدات والوية الخ جرى العرف على ان يكون لكل وحدة او مجموعة من الجند ، الرمز او الاشارة التي ترفعها على سارية او عمود لتكون واضحة مرئية خلال مضطرب المعركة . ومثل هذه الرموز والشارات التي كانت في الصورة التي تطورت اليها الاعلام العسكرية والتي تحمل على راس كل قوة تؤدي غرضين هما تعاون القائد العام بمراقبة مواقع وحداته ومساهمة جنده في المعركة مهما اشتد تلاحمهم وثانيهما جعل الاعلام بمثابة هدى للوحـدات وتقويـة للروح المعنوية (٢٧) .

---

(١) راجع مقالنا (اعلام وبيارق ورايات) : مجلة (الاسبوع) - بغـداد - ١٢ تمـوز ١٩٥٨ العدد ٤٢٢٣ (٦١) ص١٨

(٢) (الطوطمية) : د . علي عبدالواحد - القاهرة ١٩٥٩ .

(٣) راجع مقالنا : (النسر) : مجلة التراث الشعبي العدد ٤ السنة ٧ - ١٩٧٦ ومقالنا : (الاسد) : مجلة التراث الشعبي العدد ١١ السنة ٦ - ١٩٧٥ .

(٤) (الهنود الحمر) : علي وافي - القاهرة ١٩٥٠

(٥) (أعلام الدول العربية) : عبدالرحمن زكي - القاهرة ١٩٥٨

(٧) (نمو الحضارة) تأليف و . ج . بيري وترجمة لويس اسكندر - القاهرة ١٩٦١

(٨) المصدر ذاته .

(٩) (تصويرنا الشعبي) سعد الخادم - القاهرة ١٩٦٣

(١٠) (الحياة في عهد الفراعنة) ليونارد كوتريل - ترجمة شفيق اسعد - القاهرة ١٩٦٠

(١١) (الاسكندر المقدوني) : هارولد لامب ، ت . ع . المطلبي و م . الصانع - بغداد ١٩٦٥ .

(١٢) المصدر رقم ٦

(١٣) المصدر رقم ٥

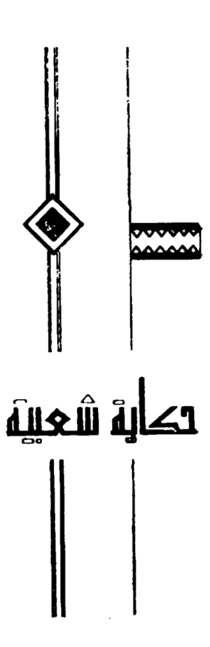
(١٤) (شميرام) : ميخائيل اودو - بيروت ١٩٥٨

(١٥) المصدر ذاته .

(١٦) (تاريخ اللغات السامية) : ا . ولفنستون .

(١٧) (الهلال) : تموز ١٩٦٨ .

(١٨) (حضارة بابل واشور) : غوستاف لوبون ـ القاهرة .
(١٩) (الحضر) :
(٢٠) (اكيتو) : محمود الامين ـ بغداد ١٩٦٤ .
(٢١) (العهد القديم) اصحاح ٢ص ٢٠٩ ـ بيروت ١٩٥٠ .
(٢٢) (حياة المسيح) : عباس محمود العقاد ـ القاهرة ١٩٥٨
(٢٣) (سلامبو) : جوستاف فلوبير ، ت : بولس غانم ـ القاهرة ١٩٦٢
(٢٤) المصدر رقم ٦
(٢٥) (قصة الحضارة) : ويل ديورانت ، ت : وم . بدران ـ القاهرة ١٩٥٦
(٢٦) المصدر ذاته
(٢٧) (العرب والروم) : فاسيليف ، ت : م . شعيرة و ف . حسنين .
(٢٨) المصدر ذاته
(٢٩) (الفن الحربي) : عبدالرؤوف عون ـ القاهرة ١٩٦١
(٣٠) (الروم) : اسد رستم ـ بيروت ١٩٥٥
(٣١) (سبارتاكوس) : هواردفاست ـ بيروت
(٣٢) المصدر ٢٥
(٣٣) (عالم الطير) : احمد محمد ـ القاهرة ١٩٦٢ .
(٣٤) (بوديكا) : هـ . تريس ـ بيروت
(٣٥) (الانبراطورية الرومانية) : ش . وورث ، ت : رمزي عبدة . القاهرة ١٩٦١
(٣٦) المصدر ٣٠
(٣٧) راجع مقالتنا (الاعلام) : مجلة التراث الشعبي العدد ٤ السنة ٦ . ومقالتنا (ايات المسلمين واعلامهم) : مجلة المورد ـ العدد ٣ المجلد الخامس ١٩٧٦ .


حكاية شعبية



الأسد والشوّاك

يرويها : سليم طه التكريتي

كان في احدى المدن شواك يذهب كل يوم الى الغابة (الزور) يقتطع منها الشوك فيشده في شكل « راس » ويأتي به الى سوق المدينة فيبيعه بدرهم واحد يشتري به طعاما لنفسه وزوجته واطفالـه الذين كانـوا يسكنون في احدى الخرائب . وبالاضافة الى عمله هذا كانت زوجته تعمل خادمة في بيت السلطان ، وقد استمرت حال هذا الشواك على هذا النمط مدة طويلة دون ان يحدث اي تبدل يذكر فيها .

وفي احد الايام وحين كان منهمكا بقطع الشوك في الغابة اقبل عليه الاسد وخاطبه قائلا (خلصت كل الشوك وماصار براسك خير ، تعال اوصلك الى بير الحظوظ حتى تشوف اين حظك) قبل الشواك بنصيحة الاسد هذه فسار معه حتى وصل الى بئر الحظوظ ، وحين خاطب الاسد البئر مستفسرا عن حظ الشواك رد عليه البئر قائلا : [خلي يروح ما اريد احكي معه هذا ماله حظ] .

وهنا قال له الاسد ان البئر لا يريد ان يقسم لك حظا في دنيـاك لكنني سأساعدك خذ هذه مائة دينار افتح بها حانوتا لك فلعلك تنجح في ذلك .

اخذ الشواك المائة دينار من الاسد وعاد الى اهله فرحا بذلك ولكي يطلع زوجته على ما فعله اسد الغابة معه فقد اخفى المائة دينار في نخالة موضوعة في طبق وراح الى بيت السلطان لكي ينبيء زوجته بذلك . في هذا الاثناء اقبل الرجل الذي اعتاد شراء النخالة من بيت الشواك فأسرعت ابنة الشواك وباعته النخالة ولم تفطن الى الدنانير التي اخفيت فيهـا وحين عاد الى البيت مع زوجته وعلم بما فعلته ابنته اشتد حزنه وراح يلطم وجهه وراسه ويعول باكيا لكن زوجته ردت عليه قائلة « انت كذاب انت خدعتني حتى اعاف بيت السلطان اي مئة دينار ؟ من اين لك مئة دينار ؟ ابو اخميس من اين له دنانير حتى ينطيك مئة دينار ؟

عادت الزوجة الى بيت السلطان اما الشواك فقد حمل فأسه وحباله وتوجه نحو الغابة مرة اخرى وما ان استقر فيها قليلا حتى جاءه الاسـد ودهش لوجوده وسأله عن القضية فقص عليه القصة بحذافيرها واذ ذاك اصطحبه الاسد الى بئر الحظوظ ثانية وحين سأل الاسد بئر الحظوظ ان يقسم لهذا الشوك حظه ، وهبه البئر فلسـا واحدا « بيزة » حين عاد الشواك الى المدينة احتار ماذا يشتري بذلك الفلس واخيرا قرر ان يشتري له قطعة من سمسمية وقبل ان يضعها في فمه شاهد طفلين يتخاصمان على طابوقة من الذهب وحين سألهما عن سبب الخصام قالا له (نريـد نقسمها بالنصف وما نقدر) فاعطاهما السمسمية واخذ طابوقة الذهب وضع الشواك طابوقة الذهب تحت راسه فاذا بها ترسل في الليل نورا ساطعا طغى على بيت السلطان كله . شهد السلطان ذلك النور الساطع فامر خادمه ان يذهب الى الخرابة التي يعيش فيها الشواك واهله ، وان يسألهم عما بهم فقدظن ان لديهم مريضا اوقدوا له الضياء جاء الخادم الى الخرابة وسأل اهل الشواك عما بهم فاخبروه بانهم في احسن حال وليس لديهم مريض ولا عندهم ضوء قط وحين اخبر الخادم السلطان بما سمع لم يصدق به وذهب الى الخرابة بنفسه وايقظ اهلهـا وقال لهـم كيف تنكرون وجود هذا الضوء اللامع وها هو قد غمر المنطقة كلها ؟ اكتشف السلطان ان مصدر الضوء كان من تحت وسادة الشواك وحـين رفـع الوسادة وجد طابوقة الذهب تحتها فراح يساوم الصياد عليها والصياد

يمانع واخيرا قال له الصياد « انطيني كنزك وانطيك الطابوقة قبل السلطان بهذه الصفقة وعلى الفور نقل كنزه الى الشواك واخذ طابوقة الذهب بدلا عنه وانصرف . عندما عاد السلطان الى قصره خطر بباله ان المال الكثير الذي وقع للشواك صدفة سوف يفضحه لانه سوف يدفع اثمانا عالية لكل شيء يشتريه وعلى هذا استقر راي السلطان ان تبقى اموال الشواك عنده وان يشغله بالتجارة ، ويرسله مع صديق له الى البصرة

وافق الشواك على ما قرره السلطان فسافر مع الشخص الذي اختاره السلطان له الى البصرة واشتغلا في التجارة فربحا اموالا طائلة ، وبعد ان امضى في البصرة عاد الى مدينته فانشأ له قصرا مكان الخرابة التي كان يسكن فيها ، ووضع على باب قصره قطعة تحمل اسم « التاجر محمد چلبي » وذاع صيته بين كبار التجار واصحاب الاعمال وازدادت حظوته لدى السلطان .

في احد الايام تذكر الشواك صديقه الاسد فقال لزوجته « واجب عليّ ازور ابو خميس واعزمه في بيتي عزيمة فاخرة لانه هو صاحب الفضل الاول عليّ »

ذهب الى الغابة فلقي الاسد فيها وشكره على مساعدته له وانباه بانه يريد ان يولم له وليمة في قصره فوافق الاسد ولكن قال له « جيءّ بسلسلة حتى تضعها في رقبتي وتقودني بها حتى لا تخاف الناس مني حين افوت بالدروب » نفذ الشواك ما طلبه الاسد وفي اليوم التالي اقام وليمة كبرى دعا اليها السلطان وعلية القوم تكريما لابي خميس ، وكان الشواك يطعم الاسد بنفسه وعندما انتهى الاسد من تناول الطعام قال الشواك للحاضرين اريد ان اغسل بنفسي يدي ابي خميس وفمه واسرعت الزوجة بالماء والصابون وزوجها يفرك فم الاسد واذ ذاك قالت « ليس مثل ابو خميس لكن حيف حلقه جايف » انتفض الاسد غاضبا وراح يلح على الشواك قائلا (لازم تفشخ راسي بالفاس والا اهجم على الجماعة وامزقهم) لم يجد الشواك بدا من تلبية الطلب وبعد ان فشخ راس الاسد اعتنى بتضميده وهو يعتذر اليه عما بدر من زوجته لكن الاسد قال له

(لا تشوفني الا بعد اسبوعين) عند انتهاء الاسبوعين ذهب الشواك الى الغابة فوجد الاسد فيها واذ ذاك طلب اليه الاسد ان يرفع الضماد عن راسه فوجد الجرح قد التأم واذ ذاك قال له الاسد جرح السيف ايطيب وجرح اللسان ما يطيب ورد عليه الشواك مقسما (وراسك ابو خميس طلقت امرأتي من تلك الليلة) وفي اليوم التالي ذهب الاسد ومعه الشواك الى السلطان يطلب يد ابنته فتزوجها الشواك التاجر محمد جلبي ، وعاد الصفاء بينه وبين الاسد من جديد بعد ان تم عقد القران اولم الشواك وليمة جديدة للاسد دعا اليها السلطان وصحبه وعندما انتهوا من الطعام قال الشواك لزوجته ابنة السلطان « صبي الماء على فم ابو خميس » فردت قائلة (مع الف ممنونية انا لخاطر ابو خميس تزوجت هذا الرجل) .

غضب السلطان لما رآه وقال (لوما الطابوقة ما كان كل هذا صار) فرد عليه الشواك (الطابوقة لطفلين اشتريتها بوصلة سمسمية وخدعتني واخذتها مني والان انت غير راضي جنابك .

اشتد الغيظ بالسلطان لان الشواك قد فضح امره امام علية القوم وفي اليوم التالي توفي السلطان فجأة وعادت املاكه بما فيها طابوقة الذهب الى الشواك لانه لم يكن للسلطان ذرية سوى ابنته تلك ....

الراوية : صبيحة بنت السيد عبدالرزاق العمري
من سكنة محلة المهدية ببغداد
توفيت في اوائل سنة ١٩٧٣ في حوالي الثمانين من عمرها

اغنية تراثيـــة

يادي الساقية البحريـــة

تيمور احمد يوسف

اذا قمنا بتدوين وتحليل ودراسة بعض النماذج من الاغاني الشعبية، فاننا نلاحظ على الرغم من سهولة اللحن الغنائي وبساطة ادائه ، الا انه خلال التدوين الموسيقي واخضاعه للصيغ والاصطلاحات العلمية للتدوين والتحليل فاننا نؤكد ان اللحن الشعبي يختص بالاصالة الفنية العالية ، ومن المؤكد انها جاءت عفوية وغير مقصودة .. خاصة عند اعادة اللحن لعدة مرات بالتناوب بين المغني المنفرد وجماعة المرددين .. فيظهـر لنا استخدام التنويعات والزخارف الفنية التي تضيف الى اللحن الاساسي الاصالة ، الا ان البيئة الشعبية تستخدم هذه التنويعات والزخارف دون ان تعلم مدى اصالة هــذه التنويعــات العفويــة التي تنبع نتيجة للاحساس الفني المتميز بالبيئة والمناسبة الخاصة للاغنية .. الا ان هذه التنويعات والزخارف ترتبط دائما باللحن الاصلي ولا تغير فيه بل تضيفه اليه نوعا من الثراء النغمي والفني ..

وقبل ان ابدأ في شرح وتحليل اللحن الشعبي الذي استخدمتــه كنموذج ، ارجو ان اوضح ان طريقة الكتابة الموسيقية لا تختلف عن طرق التدوين المتبعة للموسيقى العلمية المعمول بها اكاديميا .. ولكننا نستغني فقط عن تدوين دليل المقام والميزان الموسيقي مع اضافة بعض الاصطلاحات الفنية التي تدل على انخفاض الصوت او ارتفاعه عن درجته الصحيحة التي ترتبط بسلم او مقام معين وذلك يرجع الى القواعد الخاصة لتدوين وتحليل الاغاني والموسيقى الشعبية وهو ليس مجال موضوع بحثنا هذا .. كما ارجو ان نلاحظ طريقة التدوين الموسيقي للحن وتقسيمه الى عبارات ثم جملة لحنية وتكرارها بعــد ذلك طوال الاغنية مع ملاحظــة الاشكال الايقاعية للجملة اللحنية عند اعادتها في كل مرة .

اغنية يادي الساقية البحريـة

يـادي الســـاية البحريــــة   مــال يا نــاس دلالـــه الميـــه
وعريســـنا وآف بطولـــــه   يتعاجـــب بشالـــه عيونـــــه
والطربوشـــ احمـــر بلونـــه   والساعـــة دهـــب يـا عنيـــه

اغنيـــه

" يادى الســاقيه البحريه "

1 - 5

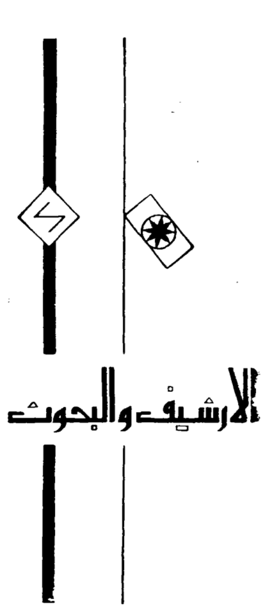
ومصدر هذه الاغنية من قرية ميلج بالمنوفيــه وهي من الاغانـــي الشعبية الخاصة بمناسبة الزواج والمنتشـــرة في كثير من القــرى بدلتا الريف المصري .

وموضوع الاغنية ان العريس ينتظر محبوبته عند الســـاقية لحين حضورها لتملأ الماء فيحاول ان يجذب نظرها اليه بملابسه وطربوشه الاحمر وساعته الذهبية وهي اغنية خاصة بالسيدات والفتيات وهي ضمن مجموعة الاغاني الخاصة بمناسبة الحب والزواج ، اما اللحن فهو يتكون من جملة لحنية واحدة من اربع بارات وتتكون هذه الجملة من عبارتين لا يمكن تجزئتهما .. كل عبارة تتكون من بارين وان كان هناك التشابه التا مفي استخدام الشكل الايقاعي لمحتويات اللحن .. ولا يمكن تقسيم الجملة اللحنية طوال الاغنية الى غير ذلك .

وتبدأ المغنية المنفردة بغناء الجملة اللحنية الاساسية ثم ترددها بعدها الجماعة بنفس اللحن مع اضافـــة بعض الزخارف البسيطة التي لا تؤثر على الشكل الايقاعي للنغمات ثم تعود المغنية المنفردة مرة اخرى بترديدالمقطع الاول نفسه بنفس الجملة اللحنية الاساسية مع اضافة بعض التنويعات الزخرفية وعند نهاية الجملة تردد الجماعة مرة اخرى نفس الكلمات واللحن مع اضافة بعض الزخارف اللحنية الايقاعية كما هو مبين بالنموذج دون ان يؤثر ذلك على سير اللحن الرئيس وبعد الانتهــاء من تبادل غناء المقطـــع الاول مرتين بالتناوب بين المغنية المنفــردة وجماعـــة المرددين تنفرد بعد ذلك المغنية بغناء مقطع جديد وهو عبارة عن نفس اللحن الاول الاساس مع اختلاف الكلمات واضافة بعض الزخارف والتنويعات التي لا تؤثر على الميلودي الاساس وتستمر المغنية في اداء المقطع الاخير من الاغنية وهو نفس لحن الاغنية السابق تناوله ومن الملاحظ ان الجملة الاساسية تحتفظ بشخصيتها الواضحة والمميزة على الرغم من تناولها بعدة مرات بالتنويع والزخرفة ومن ذلك يتضح لنا ان اللحن الاساس للاغنية بسيط جدا ويتكون من اربع بارات فقط من البار الاول الى نهاية

البار الرابع ثم تتكرر المقاطع دون تغير في اللحن ومن الملاحظ ان اللحن لا يتعدى الدرجة الاولى الاساسية والدرجة الخامسة صعودا .

ومن هنا يتضح لنا الاصالة الفنية الحقيقية لسهولة الجملة اللحنية وبساطتها من خلال التناول والدراسة الحقيقية لالحان الاغاني الشعبية والتي يمكن مقارنتها بالحان شعبية اخرى ..


الارشيف والبحوث



ملحمة گلگامش

"القسم الثامن"

ترجمة جديدة

د. سامي سعيد الأحمد

اللوح الثالث

العمود الأول

نسخة العصر الآشوري المتأخر

١ ــ [شي ــ بو ــ توم پا ــ شو ــ نو ايپو شو ــ ما إيزا ككارو
إيقاببو أ ــ نا اله گلگامش]
فتح الشيبة افواههم وقالوا اگلگامش

٢ ــ [لا] تا ــ تاك ــ كيل اله گلگامش أ ــ نا گي ــ مير
أي ــ مو ، ق [ي ــ كا](١)
يا گلگامش لا تثق في زيادة قوتك

٣ ــ [اي ــ] نا ــ كا ليش ــ با ــ ا مي ــ خي ــ إيص ــ كا
دوك ــ كو
لتشبع عيناك اجعل ضربتك قاضية

٤ ــ ليك ماخ ــ ري تاپ ــ پا ــ ا أوو ــ شي ــ إيز ــ ز [يب](٢)
الذي يسير في المقدمة ينقذ الزميل

٥ ــ شا ــ طو ــ دو إي ــ دو ــ أوو إي ــ بير ــ شو إيص ــ صور
ومن يعرف الطريق يحم صديقه

٦ ــ ليل ــ ليك اله اين ــ كي ــ دو إي ــ نا پا ــ ني ــ كا
ليذهب انكيدو أمامك

٧ ــ إي ــ دي خاررانا شا إيصو كيشتي إيصو أيريني
الذي يعرف طريق غابة الارز

٨ ــ تا ــ خا ــ زي أ ــ مير ــ ما قاب ــ لو كول ــ لوم(٣)
(و) رأى الحرب وشهد المعارك

٩ - اله ابن . كي - دو إيب - ري لي - إيص - صور تاپ - يا - أ لي - شال - ليم
ليحم انكيدو الصديق ويسلّم الزميل

١٠ - أ - نا صيري خي - را - أ - تي پا - گار - شو لول - لا
وليرفع جسمه فوق حفر البرية

١١ - إي - نا ، پو - اوخ - ري - ني - ما ني - إيپ - قي - داك - كا شاررو(٤)
نعهد لك في اجتماعنا (هذا) الملك

١٢ - تو - تار - رام - ما تا - پاق - قي - دان - نا - شي شاررو
ترجع وتحفظ لنا الملك

١٣ - اله گلگامش پا - أ - شو أيپوش - ما إيقابي
فتح گلگامش فمه وقال

١٤ - إيزا ككارا أ - نا اله اين - كي - دو(٥)
لأنكيـدو

١٥ - ال - كا إيب - ري ني - إيل - ليك أ - نا إيكاللي رابوو
تعال صديقي نذهب الى القصر الكبير

١٦ - أ - نا ماخ - ري اله نين - سون شار - رات رابيتي
الى حضرة الربة ننسون الملكة الكبيرة

١٧ - اله نين - سون اين - قيت مو - دا - تي كا - لا - ما إي - دي
الربه ننسون الحكيمة العارفة بكل شيء

١٨ - كيب - سي ميل - كي إي - شاك - كان أ - نا شيپا - ني(٦)
وستقدم طريق نصوح لأقدامنا

١٩ - إيص - صاب - تو - ما قا - تو قا - تو - اوس - سو - اون
وشبكوا ايديهم مع بعضها

٢٠ - اله گلگمش اوو اله اين - كي - دو إيل - لا - كو أ - نا ايكاللي رابوو
وذهب گلگامش وانكيدو الى القصر الكبير

٢١ - أنا ما - خار اله نين - سون شار - رات رابيتي(٧)
الى حضرة الربة ننسون الملكة العظيمة

٢٢ ــ اله گلگامش إيت ــ بي ــ اي ــ ما إيروب أ ــ نا ق [ي ــ
ريب بيت شـ] ار ــ رات
اتى گلگامش ودخل الى حضرة الملكة

٢٣ ــ اله نين ــ سون اق ــ تا ــ بو
وقال يا ننسون

٢٤ ــ اور ــ خو رو ــ قا ــ تا أ ــ شـ [ار اله خوم ــ با ــ با]
ان السفرة الى مكان خومبابا بعيدة

٢٥ ــ ق [اب ــ لا] شا لا إي ــ دو ــ اوو [أ ــ ماخ ــ خار](٨)
وقد اواجه معركة لا تعرف

٢٦ ــ [گي ــ إير ــ رو] شا لا إي ــ [دو ــ اوو أ ــ راك ــ كاب]
وسوف اسير بدرب لا اعرفه

٢٧ ــ [أ ــ دي اوومو ال ــ لا ــ كو اوو أ ــ تو ــ را]
من يوم اذهب حتى اعود

٢٨ ــ [أ ــ دي أ ــ كاش ــ شا ــ دو انا إيصو قيشتي
إيصو اير يتني]
وحتى اصل الى غابة الارز

٢٩ ــ [أ ــ دي اله خوم ــ با ــ با دا ــ پي ــ نو أ ــ نا ــ رو](٩)
وحتى اقتل خومبابا المحارب

٣٠ ــ [اوو ميمما ليم ــ نو شا اله شماش إي ــ زي ــ رو
اوو ــ خال ــ لاق إينا ماتي](١٠)
وسأقضي على كل شر في الارض يمقته الاله شماش

العمود الثاني

١ ــ [اله نين ــ سون إينا ماش ــ تا ــ كي ــ شا] إي ــ رو ــ اوب
دخلت ننسون الى غرفتها

٢ ــ . . . .

٣ ــ [إيل ــ تاب ــ بيش] سي ــ مات پا [گ] ــ ري ــ شا
ولبست (حلة) ملائمة لجسمها

٤ ــ [إيل ــ تاب ــ بيش] سي ــ مات إير ــ تي ــ شا(١١)
ولبست (حلياً) تلائم صدرها

٥ ــ . . . . [كا] ب ــ ما أ ــ گا ــ شا اپ ــ رات
. . . . ولبست غطاء راسها

٦ ــ .... قاق ــ قا ــ را إي ــ پي ــ را ــ ني ..... الارض ...

٧ ــ إيش ــ [خي ــ إيط] .... إي ــ تي ــ لي أ ــ نا اوو ــ
ري (١٢)

صعدت (السلم) واعتلت الحاجز

٨ ــ إي ــ لي أ ــ [نا] .... اله شماش قوت ــ رين ــ نا إيش
ــ كون

ارتقت (السقف) ووضعت البخور الى شماش

٩ ــ إيش ــ كون سور ــ [قي ــ ني أ ــ نا م] أ ــ خار اله
شماش إي ــ شا إيش ــ شي (١٣)

ووضعت السكيبة امام شماش ورفعت يديها

١٠ ــ أم ــ مي ــ ني تاش ــ كون أ ــ نا ما ــ [أ ــ ري] الـه
گلگامش ليب ــ بي لا صا ــ لي ــ لا تي ــ ميل ــ سو

لماذا جعلت گلگامش ولدا لي ومنحته قلبا لا يعرف الراحة

١١ ــ اي ــ نين ــ نا ــ ما تال ــ بو ــ اوس ــ سو ــ ما إيل ــ لاك

والآن ضغطت عليه وذهب

١٢ ــ او [ر ــ خا] رو ــ قا ــ تا أ ــ شار اله خوم ــ با ــ
با (١٤)

لسفر بعيد (الى) مكان خو مبابا

١٣ ــ قاب ــ لا شا لا إي ــ دو ــ اوو إي ــ ماخ ــ خار

ليواجه معركة لا تعرف

١٤ ــ گي ــ إير ــ رو شا لا إي ــ دو ــ اوو إي ــ راك ــ كاب

ويسير بدرب لا يعرفه

١٥ ــ ادي اوومو إيل ــ لا ــ كو اوو إي ــ تو ــ را

من يذهب حتى يعود

١٦ ــ أ ــ دي إي ــ كاش ــ شا ــ دو أ ــ نا إيصو كيشتي
إيصو أ يريننى

حتى يصل الى غابة الارز

١٧ ــ أ ــ دي اله خوم ــ با ــ با دا ــ پي ــ نو إي ــ نا ــ رو

وحتى يقتل خومبابا المحارب

١٨ ــ اوو ميمما ليم ــ نو شا تا ــ زي ــ رو اوو ــ خال ــ
لاق إينا ماتي

ويقضي على اي شر تمقته في الارض

١٩ ـ إينا اوومي شا ات ـ تا إي ـ دو ـ اوو
في اليوم الذي انت تعرف

٢٠ ـ [شي] ـ إي أ ـ أ إي ـ دور ـ كا اله أ ـ أ كال ـ لاتـ
لي ـ خا ـ سيس ـ كا(١٥)
هلا تذكرك دون خوف عروستك أيا

٢١ ـ [شا] ـ أ ـ شو أ ـ نا ما صصاراتي شا مووشي
(وتوصي) به حراس الليل

٢٢ ـ .... شيميتان
(ثلاثة أبيات مفقودة)

٢٦ ـ .... دي

٢٧ ـ .... ما ـ أن

٢٨ ـ أ ـ نا ني ....
الى

٢٩ ـ خور ـ شا ـ أ ـ ني ....
الجبال ....

٣٠ ـ بو ـ يم صيري(١٦)
دواب البرية

٣١ ـ او ـ قا ـ أ ـ أ
....

٣٢ ـ گي .....

٣٣ ـ ....

(وهناك سبعة ابيات في شظية تحمل حاليا الرقم س پ ٢٩٧ وهي
تماثل شظية تحمل حاليا الرقم ك ٨٥٧٣ تحوي سبعة ابيات وهي
جزء من الملحمة وان كنا لا نعرف موقعها منها)

١ ـ إي ـ نا أ ـ مات اله شماش تا ـ شيم ـ مي
البهجة في كلام شماش

٢ ـ إي ـ نا أبوللي اله مردوخ
عند بوابة مردوخ

٣ ـ إي ـ نا إبر ـ تي شا ـ مي ....
وبصدر السماء

٤ ـ كو ـ تال ـ لي اوم ـ تاخ ـ خ [ار]
تعطى قصرا
٥ ـ إي ـ نا ابول اله اير ينني اول ......
وعند بوابة ايريني
٦ ـ اله گلگامش
گلگامش
٧ ـ اوو اله اين ـ كي ـ دو
وانكيدو

(العمود الثالث)

١ ـ اميلو ميتو (المتعب معناها الحرفي الرجل الميت)
٢ ـ أ ـ نا دا ـ أ الى
٣ ـ اناصيي ـ إيت [اله شماش]
الى مشرق الشمس
٤ ـ اله أ ـ نون ـ نا ـ [كي]
الانوناكي
٥ ـ شي ـ اي
هي
٦ ـ شا ـ أ ـ شو ....
هو ...
٧ ـ گي ـ إير ـ رو
الطريق ...
٨ ـ لو ـ پو ـ اوت ـ ما
ليحطم و
٩ ـ أش ـ شو إي ـ دو
لأجل
١٠ ـ خار ـ را ـ أ [ن] ...
الطريق ....
١١ ـ اوو دي ....
و ...
١٢ ـ أ ـ دي اله [گلگامش إيل ـ لا ـ كو إيت ـ تو ـ را أ ـ نا إيصو كيشتي ايصو اير ينني][١٧]
حتى يذهب گلگامش ويعود الى غابة الارز

١٣ ـ لوو ـ اوو [اوومي] ....
فليكن يوما
١٤ ـ لوو ـ اوو [ار ـ خي] ...
فليكن شهرا
١٥ ـ لوو ـ اوو [شات ـ توم]
فلتكن سنة
١٦ ـ إينا ...
في

اللوح الثالث

العمود الرابع

١٣ ـ [اله شماش إينا شا ـ] ما ـ مي انا إيم ....
الشمس في السماء الى ....
١٤ ـ اله گلگامش ايپوش(١٨)
گلگامش عمل
١٥ـ اوو ـ كاب ـ بيت قوت ـ رين ـ نام ـ ما إيت ـ تا ـ نا
[إيد]
قدست البخور ومدحت ....
١٦ ـ اله إين . كي . دو إيص ـ صا ـ ام ـ ما إي ـ شاك ـ كا ـ
نا تي ـ اي ـمو
ودعت انكيدو وقدمت له وصية
١٧ ـ اله اين . كي . دو دان ـ نو اوول صي ـ إيت اوو ـ
ري ـ يا ات ـ تا(١٩)
يا انكيدو القوي انت لست من نسلي
١٨ ـ اي ـ نين ـ نا ات ـ مو ـ كا
اقول لك الآن
١٩ ـ إيت ـ تي شي ـ إير ـ قي شا اله گلگامش(٢٠) .
مع انصار گلگامش
٢٠ ـ اينيتي قا ـ اش ـ دا ـ أ ـتي [اوو ز] ير ـ ما ـ شا ـ
أ ـ تي
الكاهنات العليوات والمنذورات ونساء الطقس

٢١ – إين – دي إيت – تا – دي أ – نا تي – إيك – ك [ي شا اله]
ووضعت مسندا على رقبة انكيدو
اين • كي • دو

٢٢ – اينيتي إيل – قا – أ . . . . . تا
واخذت الكاهنات العليوات

٢٣ – اوو مارات إيلاني اوو – راب – ب [أ – أ]
وعظموا زوجات الارباب

٢٤ – أ – نا – كو اله اين • كي • دو م [أ . . . . إيل – تي – قي
أ – نا
أنا انكيدو مسكت على

٢٥ – اله اين • كي • دو أ – نا (٢١) . . . . اله گلگامش
انكيدو الى . . . . گلگامش

٢٦ – اي . . . . إير – دي سو – خي
انزل هدم

٢٧ – اوو . . . . لا أ – د [ي]
و لا أعرف

٢٨ – أ – د [ي إيل] – لا – كو إ [ت – تو – رو أ – دي إي – كاش – شا – دو أ – نا إيصو كيش [تي إيصو ايريني]
حتى يذهب (و) يرجع (و) حتى يصل غابة الارز

٢٩ – لوو – اوو أر – خ [ي –]
فليكن شهرا

٣٠ – لوو – اوو شات – ت [و م](٢٢)
فلتكن سنة

(وهناك بضعة ابيات من العمود الرابع تأتي بعد ثلمة تبلغ حوالي عشرة ابيات في شظية ثانية تحمل حاليا رقم ك ٩٨٨٥)

١ – شال

٢ – اله [گلگا] مش
گلگامش

٣ – [مي] ط – طوش – شو إير – بيت
رفع سلاحه

٤ – [إي] نا – ابول إيصو ايريني
عند بوابة الأرز

٥ ـ [اله ايـ] ن ـ كي . دو إينا بيت اله [شماش]
انكيدو في بيت (معبد) الاله شماش

٦ ـ [اوو] اله گلگامش إينا ايكاللي [رابو]
وگلگامش في القصر الكبير

٧ ـ [إيش] ـ ريق سور ـ قي ـ ني
وقدم سكيبة

٨ ـ .... ـ بو ماري شارري
ابن الملك

٩ ـ .... ـ شار ـ ما قو ـ شو
..... حبله

اللوح الثالث

العمود الخامس

(تتكرر الابيات ٢٨ ـ ٢٩ من العمود الاول)

٤٩ ـ [أ ـ دي إي ـ كاش ـ شا ـ دو أ ـ نا إيصو كيشتي إيصو] أيريني
حتى يصل الى غابة الارز

٥٠ ـ [أ ـ دي اله خوم ـ با ـ با دا ـ پي ـ نو إي ـ] نار ـ ر [وم] (٢٣)

ويذبح خومبابا المحارب

العمود السادس

....

٨ ـ [اله اين . كي . دو إيب] ـ ري لي ـ ايص ـ صور تاپ ـ پا ـ أ لي ـ شال ـ ليم]
ليحم انكيدو الصديق ويسلم الزميل

٩ ـ أ ـ نا صبر خي ـ را ـ أ ة [وم پا ـ گار ـ شو لول ـ لا]
وليرفع جسمه فوق حفر البرية

١٠ ـ إي ـ نا پو ـ اوخ ـ ري ـ ني ـ ما [ني ـ إيب ـ قي ـ داك ـ كا شاررو]
وفي اجتماعنا (هذا) نعهد اليك الملك

١١ ــ تو ــ تار ــ رام ــ ما   تا ــ پا [ــ قي ــ دان ــ نا ــ شي   شاررو]
ترجع وتحفظ لنا الملك

١٢ ــ اله اين . كي . دو   پا ــ أ ــ شـ [و   ايپوش ــ ما   إي ــ
قاب ــ بي]
فتح أنكيدو فمه وتكلم

١٣ ــ إيزاككارا [انا   اله گلگامش]
وقال لگلگامش

١٤ ــ إيب ــ ري   سو ــ أ و خ
صديقي اقض على

١٥ ــ خاررانو   لا ...
طريق لا

١٦ ــ ني ــ إير   ...(٢٤)
اذبح ....

---

(١) شيبوتوم = شيبة (انظر مقالة العدد الماضي) پا (پي) فم + شونو (ضمير الشخص الثالث الجمع) . أيپيشوما = من أيپيشو (المار ذكره) ، يعمل ، ايزاككارا من زاكارو ذكر ، قال . ايقابيو = من قابوو = يتكلم ، يقول أنا = الى . تاتاكيل = التاء الخاصة بالشخص الثاني المخاطب والصيغة من المصدر تاكالو = يثق ، يعتمد على ، يصمد ، يقوى ، كيمير = كلية كل زيادة من المصدر كامارو (يكمل ، ينجز ، ينهي ، يخرب) . فقالوا شا شاتكوتو كيمير آيشريت (كهانة جميع المعابد) وكيمير كاراشيا (كل مخيمي) .لا = لا

(٢) أينا (عيون) + كا (ضميرالشخص الثاني المخاطب) . ليشبأ = من شابو (شيبو)، يكتفي ، يشبع واللام لام الامر . ميخيص = ضربة من المصدر ماخاصو (يضرب ، يكسر ، يهشم ، يقطع) (يجرح) وقالوا ميخيص لا نابلاطي أمخاسوما (جرحته بجرح مميت) . وتاتي ماخاصو ايضا بمعنى يهاجم ، يحارب وحتى اطلقوا احيانا كلمة مومتا خيصو لتعني جنود ، محاربين دوككو = من المصدر داكو (يسحق ، يخرق، يكسر ، يطيح) . اوشيززيب = سببي (شفعل) من المصدر أيزيبو (يسمح ، يوفر ، يترك ، يوقف) . تاپپا = جار ، رفيق ، زميل . ماخري = أمام . اليك = من أليكو = يذهب ، يروح

(٣) ايبرو = صديق + شو (ضمير الشخص الثالث المذكر المفرد) . ايصصور = فعل مضارع من المصدر ناصارو (يحمي الخ) وهنا تأثـرت النون بالصـاد . طودو = طريق ، درب . ايدوو = من ايدو (يعرف ، يعلم) . ليليك = لام الامر والصيغة من أليكو يذهب ، يروح . اينا پانيكا = امامك (اينا = في ، پاني = وجه + كا ضمير الشخصالثاني المفرد المخاطب) . ايدي = من ايدو (المارة الذكر) . ايصو

كيشتي (الغابة) ، ايصو أيريني (الارز) . تاخازي = معركة . أميرما = أمير فعل ماضي من المصدر أمارو (يرى ، ينظر) + ما واو العطف . قابلو = نزال ، حرب ، معركة . كوللوم = من كالامو = يرى ، يشهد .

(٤) تاپو = زميل ، رفيق . ليصصور = لام التمني + صيغة الفعل من ناصارو السالفة الذكر اعلاه ليشالليم = لام التمني + الصيغة من شالامو = يحمل ، يسلم الخ . صيري = برية خيراني = حفره ، ترعة ، فتاة . لوللا = لام التمني + الصيغة من أيلو = يرفع ، يعلي . پو خري = اجتماع + ني (ضمير الشخص الاول الجمع) + ما واو العطف . شاررو = ملك . نيپقيداككا = النون الخاصة بالمتكلم الجمع + الصيغة من المصدر پاقادو (يعهد يحفظ ، يسلم ، يبقي) + ام التاكيدية التي تاثرت هنا بالكا (ضمير الشخص الثاني المخاطب) التي تلتها .

(٥) تو تاررامما = التاء الخاصة بالشخص الثاني المخاطب + صيغة المخاطب + صيغة الفعل من المصدر تارو = يرجع ، يعود ، يتحول + ام التاكيدية + ما واو العطف . تاپا ققيدا نناشي = التاء الخاصة بالشخص الثاني المخاطب المفرد + الصيغة من پا قادو المارة الذكر + ضمير الشخص الثالث . لمعاني مفردات البيت الثالث والرابع عشر انظر الهامش ١ أعلاه .

(٦) ألكا = تعال من أليكو يذهب . ايبري (صديقي) نيلليك = النون الخاصة بالشخص الاول الجمع + صيغة الفعل من أليكو . أنا (الى) رابوو (وقد كتبت بالنص بالسومرية أي . كال . ماخ) ومعنى أي في اللغة الاكدية بيتو (بيت) و كال (كبير) وماخ الكبير ايضا (رابوو في الاكدية) والترجمة هذه في الاكدية ايكاللي رابوو القصر الضخم . شاررات = ملكة . رابيتي = كبيرة وهنا نلاحظ ان في الاكدية (مثلها مثل اللغة العربية) يكون التأنيث بزيادة التاء . فالملك في الاكدية شاررات . كبير = رابوو والكبيرة (رابوتي) ، ونسسون كما جاء في الملحمة هي ام كلكامش .

(٧) ايدي = عارفه من أيدو = يعرف ، يعلم . كالاما = كل ، جميع . أنيقو (أنيقيت مع تاء التأنيث) _ الحكيمة ، العاقلة . موداتي = من مودو (العارف المجرب) + الف وتاء التأنيث .

كيبسي = يخطو ، يمشي ، طريق ، ايشاكان = من شاكانو . ميلكي = النصيحة ، المشورة من المصدر مالاكو (ينصح ، يتنصح ، يستشير ، يشاور الخ) . شيپا = اقدام + تي ضمير الشخص الثالث الجمع .

ايصصا بتواما = فعل ماض من المصدر صاباتو (يمسك الخ) + ماحرف العطف. قاتو = يد وسسون (اوششون) = ضمير الشخص الثالث الجمع .

(٨) ايتابيما = فعل ماض من تيبو = يتقدم + ما واو العطف . ايروب = فعل ماض من ايريبو=يدخل ، يزيد الخ . فقالوا مثلا اينا خيداتي ريساتاتي ايرواوب اينا بيت ريدوتي (في سرور وبهجة دخلت دار الحكم) . قيريب = داخل ، وسط ، حضرة . أقتابو = جت (فتعل) من قابو (يقول ، يتكلم) . اورخو = طريق . روقاتا = بعيد . أشار = مكان . قابلا = معركة ، نزال . لا = لا ايدوو = من ايدو = يعرف، يعلم . أما خنحار ، من ما خارو = يواجه يقابل .

(٩) كيررو = طريق ، درب ، حملة ، تقدم . أراككاب = آ للشخص الاول المتكلم ، الصيغة فعل مضارع من المصدر راكابو (يركب ، يسير ، يسافر الخ) . أدي = حتى . اوومو = يوم . ألاكو = أذهب من أليكو = يذهب المارة الذكر .

اوو = واو العطف . اثورا = أرجع (مثل اليكو) أ = للشخص الاول المتكلم + الصيغة من تارو = يعود ، يرجع ، يدور الخ . أ كاششـادو = أ للشخص الاول المتكلم + الصيغة من كاشادو (السالفة الذكر) والتي من معانيها يصل . داپينو = المحارب (انظر الهامش ١٨ من المقالة السابقة) . أنارو = أ للشخص الاول المتكلم + الصيغة من نارو (يقتل ، يخرب ، يضرب) . وقد ترجم الاستاذ كامبيل فاميسون البيت السابع والعشرين (من يوم ذهابي حتى عودتي) .

(١٠) ليمنو = شر . ميمما = اي . ايزورو = صيغة من زارو ومعناه يقاوم ، يكره فقالوا =بيل ايزير انني (يكرهني الاله بعل) . او خاللاق = أ للشخص الاول المتكلم + الصيغة فعل مضارع من خالاقو يهلك ، يخرب ، يحطم . اينا = من . ماتي = ارض، بلاد .

(١١) ماشتاكو = مقر ، مسكن ، غرفة + شا ضمير الشخص الثالث المفرد المؤنث . ايروب (انظر هامش ٨ اعلاه) . ايلتاپيش = فعل ماض من المصدر لا پاشـو = يلبس . پاكري = جسم + شا الضمير . سيمتو = ما يلائـم ، ملائم ، موافق ، متفق ، متناسق مع . ايرتي = صدر + شا الضمير

(١٢) مع الاسف ان الكلمة الاولى من البيت الخامس ينقصها بضعة مقاطع لذا صعبت قراءتها . أكو = لباس ، غطاء الرأس . آپرات = فعل ماض + تـاء التانيث في النهاية من المصدر أپارو يغطي ، يلبس . شا = ضمير الشخص الثالث المفرد المؤنث . ولا نعرف الكلمة الاولى في البيت السادس لتهشـمها . وان الصيغة ايپراني=لا تعرف ترجمتها وقد ترك الاستاذ شبايزر وبين الاستاذ كامبيل تومبسون بان معناها غير معروف . ايشخيط = فعل ماض من المصدر شاخاطو = يصعد اورو = حاجز ، متراس . ايتيلي = فعل ماض من أيلو ، يصعد وتاء التأنيث . وقد جعلت الكلمة المفقودة من هذا البيت لتعني سلم .

(١٣) ايلي = فعل ماض من أيلو = يعتلي ، يصعد ، وقد جعلت الكلمة المفقودة من السطر الثامن لتعني سقف . قوترينو = بخور . ايشكون = فعل ماض قدمنا معانيه والتي منها يقدم ، يصنع . ايششي = فعل ماض من ناشو (يرفع الخ) وهنا تاثرت نون الفعل بشينه . ايدي = يدان + شا ضمير الشخص الثالث المفرد المؤنث . سورقيني = سكيبه سائلة . والمصدر ساراقو = يصب ، يقـدم سـكيبة . انا ماخار = أمام .

(١٤) امميني = لماذا . ماري = مارو (ابن ، ولد) . لا = لا . صاليلي = من المصدر صالالو= يرتاح ، يضطجع الخ . تيميدسو = التاء للشخص الثاني المخاطب والصيغة من أيميدو = يقف ،يضع ، يعطي ، يبني ، يشيد + (شو) ضمير الشخص الثالث المفرد المذكر .

اينيننا = الان . تالبوسسو = التاء للشخص الثاني المخاطب + صيغة من لابود معناها يضغط بشدة ، يغدو حارا الخ + سو (شو) ضمير الشخص الثالث المفرد المذكر + ما واو العطف . ايللاك = صيغة من أليكو المار الذكر يذهب ، يروح . لمفردات البيت الثاني عشر انظر الهامش ٨ أعلاه لمشابهة البيت هذا للبيت ٢٤ من العمود الاول .

(١٥) الابيات ١٣ ــ ١٨ هي نفس الابيات ٢٥ ــ ٣٠ تقريبا (انظر للمفردات الهوامش ٨ ــ ١٠) أتتا = ضمير الشخص الثاني المذكر المفرد المنفصل . ايدوو = من ايدو

(يعرف ، يعلم المارة الذكر) شي ـ اي أ ـ أ ا ـ دور كا (شي ـ اي = ضمير الشخص الثالث المفرد المؤنث المنفصل . أ ـ أ = لا . ا دور (من أدارو = يخاف الخ المارة الذكر + كا ضمير الشخص الثاني المذكر المخاطب المفرد) (هلا لا تخف منك) . ليخاسيسكا = لام التمني + صيغة الفعل من خاساسو (يتذكر ، يعقل ، الخ) + كا أ ـ أ (الربة أيا) . كاللات = عروس وقد كانت الكلمة في البداية تعني غرفة العروس ، ومن معاني الكلمة الكنة (زوجة الابن) ايضا .

(١٦) شا ـ أ ـ شو = (ضمير الشخص الثالث المذكر المنفصل) . ما صصارو = الحارس (جمعها ما صصاراتي=حراس) مووشي . ليل . مع الاسف فان البيت ٢٢ لم يبق منه شيء سوى كلمة شيميتان = والابيات ٢٦ ـ ٣٣ مهشمة يصعب معرفة فحواها حتى التقريبي . خورشاني = جبال . بوليم = (دواب) صيري = برية المارات الذكر).

(١٧) أمات (اوات) = كلمة . تاشيممي = سعادة ، رخاء . شامي = سماء . ايرتي = أما صدر . كوتاللي = قصر ، بيت . اومتاخخار = ج‍ت (فتعل) من ماخارو التي لها عدة معاني (يعارض ، يقف ضد ، يستلم ، تقبل ، يقدم) . ابول = بوابة . صيت = مشرق وقد اهمل الباحثـون هذه الابيـات لكثـرة ما بهـا من تهشـم الامر الذي يجعلها صعبة الفهم ولكن حرصنا على عرض الملحمة كاملة سواء ما كان منها مهشما او كاملا دفعنا لكتابتها لياخذ القارىء فكرة صحيحة عن الملحمة وما فيها من امور ومشاكل . لوبتو = تحطيم ، خراب من المصدر لا باتو (يحول ، يقلـب رأسا على عقب) + ما واو العطف . كيررو = الطريق . أششو = لاجل . لمعاني مفردات البيت الثاني عشر انظر معاني البيت الخامس عشر في الهامش ١٥ اعلاه .

(١٨) اوومي = يوم . لوو ـ اوو = حقا . أرخي = شاتتوم = (شانتوم = سنة وهي تاثرت النون بالتاء) . شماش = الاله شماش رب الحق والعدالـة وتعني كذلك الشمس نفسها . شامامي (شامي)=السماء .آيبوش =عمل .ومما يؤسف له ايضا ان البيت الثالث عشر ناقص في نهايته وكذلك بداية البيت الرابع عشر مما يجعـل الوصول الى المعنى صعبا حقا . قو ترينو = بخور

(١٩) اووكا ببت = كابيتو = شرف ، مقدس ، ملامح ، كبد الخ . ايتقانانيد = ج‍ت (فتعل) ماضي من المصدر ناتادو = يمدح ، يكرم ، يعظم . ايصصا = من صينو (يدعو) وهنا تاثرت النون بصاد الفعل (فعل ماضي) + أم التاكيدية + ما واو العطف . ايشاككان = صيغة من شاكانو المارة الذكر كثيرا . قيشيمو = (تيمو) قول ، كلام ، رسالة من المصدر تيمو .
صيبت = نسل ، انتاج . أتتا = ضمير الشخص الثاني المخاطب المذكر المنفصل (أنت) . اووري = لها عدة معاني منها عري ، حمل .

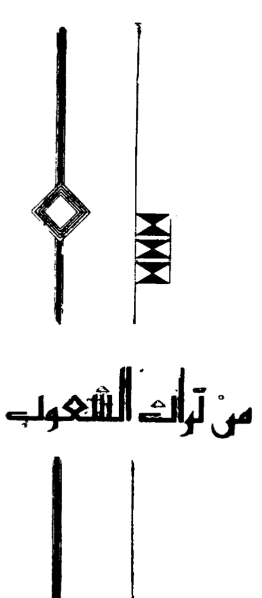
(٢٠) اينيننا = الان . أتموكا = أ = ضمير الشخص الاول المتكلم المفرد + الصيغة من تامو (يقول ، يتكلم) + كا (ضمير الشخص الثاني المذكر المخاطب) . وقد جعل الاستاذ كامبيل تامبسون المتكلم في الابيات ١٥ ـ ١٨ الاله شماش . كما ترجم الاستاذ شپايزر اينيننا أتموكا = الان قد تبنيتك . شيرقي = هدية (احيانا شـيرقيتي = شير قيتوم) وكانت المراة عند زواجها تجلب من بيت والدها اثاثا او يعطيها والدها مالا واحيانا عبيدا اطلقوا عليه اسم شير قيتو . وكان هذا (الشيرقيتو) هو ملك الزوجة تسترجعه في حالة طلاق زوجها لها . كما لشيرقي هنا معنى اخر هو عبيـد العبد . ايتتي = مع .

(٢١) أينيتي = جمع أينتو (الكاهنة العليا) . نساء الطقس اللواتي كرسن انفسهن لممارسة البغاء في المعبد مع رواده وقد اطلق عليهن ايضا نساء عشتار (ايشتاريتوم زير ما شيتوم) كما سموا ايضا القاد يشتوم الخ (الفواحش) . تيككو = رقبة . ايمدو (ايندو) = دعامة مسند . ايتادي = فعل ماضي من نادو التي من معانيها الكثيرة التي اسلفنا ذكرها خلال مقالاتنا يضع ، يرمي . ايلاني = ارباب ، الهة . مارات = زوجات . اووراببا = صيغة من المصدر رابوو = يعظم ، يرفع . ايلقا (ايلتقي) فعل ماضي من المصدر ليقو (ياخذ ، يمسك ، ياخذ زوجه ، يحتل مدينة الخ .) .

(٢٢) ايردي = فعل أمر من المصدر أرادو = ينزل ، يهبط . سوخي = فعل أمر من المصدر ساخو (يخرب ، يهدم) . كما ان المصدر سيخو يعني يثور ، يترك ، يرفض . لذا قد يكون المعنى هدم او ارفض الخ . أدي = من ايدو = يعرف ، يعلم . ايكاششيد= فعل مضارع من المصدر كاشادو التي من معانيها يصل . لـوو ــ اوو = حقـا . ارخي = شهر شاتتوم = سنة .

(٢٣) سورقيني = سكيبة . ايشريق = فعل ماضي من المصدر شاراقو (يقدم ، يعطي الخ) . ماري = مار (ابن ، ولد) شارري (الملك) . ميططو = سلاح (يحمله في العادة الارباب) + شو (ضمير الشخص الثالث المفرد المذكر . ايربيـت = فعـل ماضي من رابو الذي من معانيه يرفع ، يعلي ، يكبر الخ . قو (حبل) ويمكن قراءة المقطع كو (نبات مائي) . ويصعب معرفة الكلمات الاولى للبيتين الاخيرين من العمود الرابع هذا . لمعنى البيتين ٤٩ ــ ٥٠ من العمود الخامس انظر الابيات ٢٨ ــ ٢٩ من العمود الاول للوح الثالث هذا (هامش ٩) لتشابه الابيات .

(٢٤) لمعاني الابيات ٨ ــ ١٣ انظر الابيات ٩ ــ ١٤ من العمود الاول للوح الثالث والهوامش ٤ ــ ٥ من هذا المقال لتشابه الابيات ايبري = صديقي سو ــ اوخ = فعل أمر من المصدر سوخو = التي معناها يخرب ، يهدم ، يقضي على ومع الاسف فان بقية البيت مهشمة . خاررانو = طريق لا = لا . نير = فعل أمر من نارو يذبح ، يقتل .


من تراث الشعوب



المجزع البكيني فن صيني من اصل عربي

بقلم : سون هوا

اشار احد العاملين في مجال الاشغال اليدوية في وصف المجزعات البكينية الجميلة قائلا « لم يحدث ابدا ان شهد الذهب مثل هذه الانثناءات المعقدة وهذه الرسومات الرائعة كما لم يحدث ابـدا ان تلألأت الاحجـار الكريمة بمثل هذه الالوان المتوهجة المختلفة » .

ان الصين بتراثها العريق قد طورت تشكيلة غنية من الفنون والاعمال اليدوية الشعبية . والى جانب فن المجزعات تشتمل منتجاتها الشهيرة الفخار والخزف الصيني والنحت على اليشم والعاج والسجاد واعمال اللك والتطريز والرسومات السحبية وزهور الورق والحريـر واعمـال البامبو والاسل الهندي والقش .

فالمجزع البكيني كنوع خاص من الانية المطلية بالمينا يحتل برسوماته الصينية التقليدية الزاهية الالوان ومتانته مكانا مرموقا بين الاعمال اليدوية الجميلة في الصين .

تشير السجلات التاريخية في الصين الى المجزع بـ « زخرفة تاشي التنزيلية » (تاشي (تازى أوتاكيك) تعني الاسم الصيني للعربية في القرون الوسطى) لقد تعرفت الصين على هذا الفن في القرن الثالث عشر واجتاز مرحلة طويلة ليتطور الى فن ذي طابع صيني .

في الضاحية الشرقية من بكين تقع عمارة جديدة ذات اربعة طوابق وهي ورشة المجزع ببكين وفي هذه الورشة الفسيحة والمضـاءة يعمـل العاملون المهرة في هذا الفن العريق .

في البدايـة يجرى تصفيح قطعة من النحاس على الشكل المطلوب لتكوين القاعدة ووضع اسلاك رقيقة او شرائط من النحاس على اطراف القاعدة لتشكيل المجزعات او الخلايا لابراز اللمسات الاولية للتصميم .

تستخدم شرائط النحاس من مختلف العرض والسمك في مختلف الاعمال ويمكن لنا ان نتصور مدى قوة الاحتمال والمهارة التي يتطلبها هذا الفن عندما يوضع اكثر من ١٠٠ شريط في اشكال معقدة في مساحة قدرها بوصة مربعة .

ومن اجل الصاق الشرائط الى القاعدة يستخدم نوع من الغـراء مستخرج من جذور نبات . ومن ثم يرش عليها مسحوق يتكون من مزيج الفضة والنحاس والبورق كلحام وبعد ذلك تعرض القاعدة الى حرارة خفيفة بغية الحفاظ على المجزعات .

بعد ذلك تستخدم آلة في شكل القلم لكبس معجون من المينا في الوان مختلفة على المجزعات ويعود الى ذلك الفضل في اعطاء الرسومات اشكالا رائعة .

لابد من تعريض القاعدة الى الحرارة لعدة مرات لان البعض من المينا لا يسهل صهرها كمثيلاتها وكذلك لضرورة وضع عدة طبقات من الطلاء بالمينا من اجل الحصول على المواصفات المطلوبة .

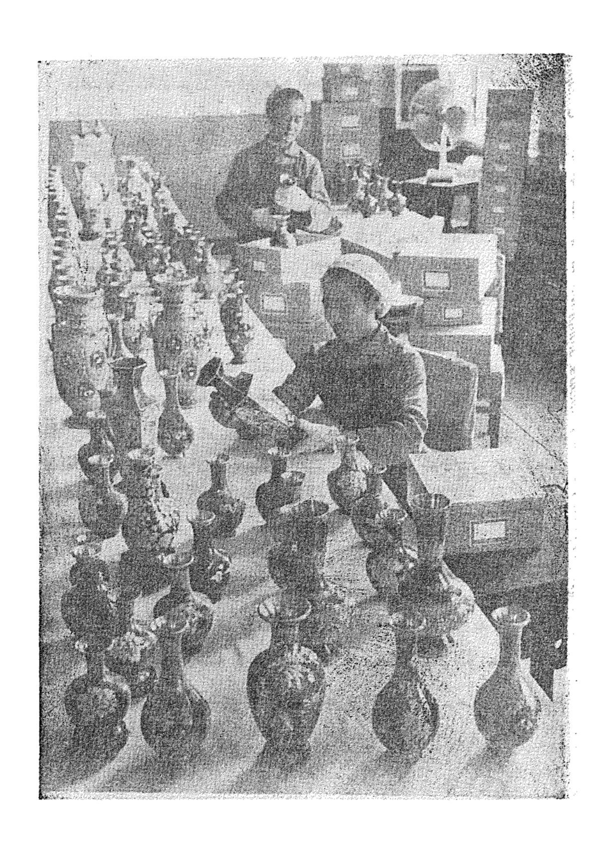
وفي النهاية يصقل السطح بحجر صقل ومسحوق الفحم النباتي ومن ثم يوضع العمل في سائل من الذهب يعرض عليه تيار كهربائي . ومن ثم نصبح اسلاك النحاس واطراف العمل تتوهج ذهبا وعليه تعطى اشعاعات وبريق المعدن والمينا .

ان ثني شرائط المعدن يحتاج الى درجة عالية من المهارة والحرف . فخبير اعمال المجزع يستطيع بملقاط صغير ان يثني اسلاك النحاس في القاعدة لتشكيل اكثر الرسومات روعة وتعقيدا . وفي الغالب يعمل دون الرجو عالى التصميم .

لقد ازدهر هذا الفن في عهد جينغتاى (١٤٥٠ ــ ١٤٥٦) من اسرة مينغ وعهد تشيان لونغ (١٧٣٦ ــ ١٧٩٥) من اسرة تشينغ . ولكنه اخذ يضمحل ويتدهور شأنه شأن معظم الفنون والاعمال التقليدية الصينية مع بداية القرن العشرين .

بعد ميلاد الصين الجديدة بدا فن المجزع يستعيد نشاطه . وبمساعدة الحكومة الشعبية دمجت ورشات المجزع الصغيرة التي يمتلكها الافـراد وتشكلت منها تعاونيات تطورت فيما بعد لتصبح ورشة بكين الحاليةلفن المجزع التي تضم ٢٫٠٠٠ من العاملين .

* * *



في هذه الورشة اصبح الحرفيون شأنهم شأن ابناء الشعب الكادح الاخرين سادة البلاد سياسيا وهم يتمتعون بضمانات الحياة والعيش فالفنانون يتقاسمون اسرار هذه الحرفة العريقة ويدربون العمال المبتدئين هذا وقد امدت الحكومة هذه الورشة بعاملي التصميم الفني لرفع المستوى الفني لاعمال المجزع .

في الوقت الحاضر تنتج هذه الورشة اكثر من ٨٠ نوعا من اعمال المجزع بما فيها الزهريات التقليدية الشهيرة والصناديق والاطباق والاواني . كما تنتج حاليا بكميات كبيرة المنتجات الجديدة بما فيها الزهريات البالغ طولها ٤٠ بوصة والاطباق البالغ قطرها ٢٥ بوصة وكذلك الحواجز والموائد المستديرة للقاعات مع مقاعد متجانسة ومباخر للعطور يبلغ طولها ٨ بوصة وتنتج خصيصا للاسواق الاجنبية .

تنتج هذه الورشة ايضا الطيور والحيوانات المزخرفة التي تحمل غطاء في ظهرها ويمكن استخدامها كصناديق .

في الوقت الراهن يوجد اكثر من ٤٠ لونا للطلاء بالمينا لاعمال المجزع علما بان هذه الالوان لم تتجاوز العشرين في السنوات الاولى من التحرير . اما فن استخدام المينا في تداخل الالوان بصورة رائعة فقد بلغ اليوم شأوا جديدا في الصين .

في السنوات الاولى من اقامة الورشة كان الفنانون المهرة يعملون في وضع التصميمات الى جانب العمل كصناع . فواحد من الفنانين يستطيع ثني الشرائط الى ١٠٠ شكل من زهرة الاقحوان .

بينما يقوم زميله الاخر برسم تنينين يلعبان بالكرة في خاتم .

واليوم تنتج جميع ابداعات المجزع وفقا للرسومات التي يقوم بها الفنانون في الورشة .


الفولكلور في العالم



من تقاليد الماوري

إعداد : برهان عبد

كان (الماوري) من عبدة الاسلاف ، شأنهم في ذلك شأن الكثير من شعوب الشرق الاقصى ؛ وقد خلدوا هذه العبادة في النفوس والمنحوتات الحجرية او الاشغال الخشبية والموجودة في داخل البيوت او على واجهات الجدران في بيوت القرية وهنا يفسح مجال الحديث عن قرية (الماوري) فتقول ان الاصرة القبلية بين الماوري قوية جدا ولهذا فانهم شديدو التمسك بصلات القربى الى درجة وصلوا الى عبادة الاسلاف . ولهذا السبب نجد ان قرية (الماوري) لا تضم الغرباء ابدا فاذا ما اراد (الماوري) ان يشيدوا قرية فانهم يتفقون اولا على المكان الذي يجب ان يكون في ارض خضراء ويطلقون على هذه الارض اسم (مراي) فينشئون حولها بيوتهم وغالبا ما يزيد عدد البيوت على الثلاثين او يقل عن الخمسة، ويتوسط هذه البيوت غرفة كبيرة مبنية بشكل يلفت النظر ويبنى الى جوارها بيت (رئيس القرية او الشيخ) واما مواد البناء فهي على الاغلب الجص والاحجار في حين تبنى السقوف من الواح الخشب وتكون على الطراز المعروف باسم (الجملون) . اما الغرفة غريبة الشكل فهي (قاعة الاجتماعات) للقرية او انها تقابل (الربعة) في العراق . تكون هذه الغرفة على الاغلب مستطيلة الشكل ويندر ان تزيد ابعادها عن ١٠×٤ مترا ولكن ماذا في داخلها وخارجها ؟ نلاحظ في اعلى الباب مباشرة تمثالا صخريا جيد النحت وهو لحيوان رهيب المنظر ويذكرنا بالتنين الذي يرد ذكره في الملاحم الاسكندنافية وهم يسمونه (تانيهوا) اي (اكل البشر) وهو يقضي جزء من حياته على اليابسة والجزء الاخر في الماء فهو اذن برمائي والغرض من وضع هذا (الوحش) هنا انما هو لاظهار قوة صاحب (الربعة) وقدرته على اقتناص الاعداء اينما كانوا وحيثما حلوا .

اما في اعلى النافذتين المجاورتين للباب فيوجد تمثالان منحوتان لحيوان مائي يعرف باسم (ماراكيهاو) ويتميز بلسان اسطواني مندلق الى امام حتى يلامس الصدر ويستعمل هذا الحيوان لسانه في اغراق الزوارق وذلك بان يخرج هذا اللسان فوق الماء ثم يبدأ بالامتصاص الشديد فتتكون دوامات مائية لا تقوى الزوارق على مقاومتها فتغرق؛ والهدف من وضع تماثيل (الماراكيهاو) هناك انما هو لافهام الاعداء القادمين من البحر بانهم لن يعودوا سالمين اذا ما اساءوا الى القرية او رئيسها .

اما في داخل (الربعة) فاننا نجد نوعا من الفن الشعبي ويتمثل في (التوكو توكو وهو عبارة عن لوحات فنية محفورة حفراً في الجدران وتحمل انواعا مختلفة من الصور ابرزها الكلب وهو من اوائل الحيوانات التي عرفها (الماوري) والهدف من وجود هذه الصورة للكلب انما هو الدلالة على الوفاء والامان في داخل (الربعة) . وهناك لوحات تحمل صور طائر (المـوا) وهو طير كبير الحجم طويل الساقين كان لحمه يشكل الغذاء الرئيسي (للماوري) ولكن كثرة صيده كادت تؤدي الى انقراضه ؛ ويشير وجود صورة هذا الطائر الى الكرم وحسن الضيافة . وهناك شيء هام يجدر ذكره هنا الا وهو ان كل (ربعة ، اي قاعة اجتماعات) يجب ان تحمل اسم (الجد الاكبر) للقرية كما يجب وضع تمثال لهذا الجد فوق سطح الربعة) وفوق الباب مباشرة وسبب اختيار هذا المكان المرتفع فلاجل تذكير ابناء القرية بنسبهم ذلك لان (الماوري) يتمسكون بشدة بالانساب واذا صادف ان مات احد في داخل (الربعة) فيجب ان تهجر وتبنى غيرها لان هذه (الربعة المهجورة) قد سكنتها الارواح الشريرة .

وبالاضافة الى المنحوتات استعمل (الماوري الصور المرسومة وبخاصة في الفترة التي سبقت مجيء الاوربيين وكانت معظم تلك الصور جدارية بالاضافة الى الصور السقفية وبخاصة اذا كان السقف كله من الالواح الخشبية وكان معظم تلك الصور يمثل طائر (المـوا) وزوارق (الكانو) كما كان البعض منها يمثل مشاهد من المعارك التي خاضتها القبيلة واهم ما حصلت عليه من غنائم .

هذا عرض وجيز لشيء من التراث الشعبي في نيوزيلنده التي استقر فيها (الماوري) قادمين من جزر بعيدة وهجراتهم تعارض كثيرا النظريات التي وضعها عالم الاجناس النرويجي (ثور هايردال) حول الهجرات البشرية في جزر المحيط الهادي .

ان (الماوري) من الرجال المتسمين بالشهامة ولقد قاتلوا الغزاة الانكليز ببسالة وغنموا منهم الكثير من الاسلحة الحديثة وراحوا يقاتلونهم بها . وتروى القصة التالية للدلالة على شهامة الماوري ورجولتهم وهي ليست من نسج الخيال كما يتصور البعض بل يشهد بصحتها الانكليز انفسهم .تقول القصة :

انه في احدى المعارك حاصر (الماوري) قوة انكليزية حتى نفدت ذخيرتها او كادت ، وهنا ارسل قائد الماوري كمية من السلاح والذخيرة الى القوة المحاصرة،اي القوة الانكليزية،وكتب الى القائد الانكليزي يقول :

« خذوا هذا السلاح وقاتلونا به لكي تكون المعركة متعادلة فنحن نرفض ان نقاتل عدوا اعزل .... »

فما كان من القائد الانكليزي الا ان استسلم فعومل احسن المعاملة .

مع ابراهيم احمد بخيت

إعداد : داود سلمان الشويلي

الاستاذ ابراهيم احمد بخيت ــ باحث فولكلوري ــ من السودان ..

● **ارجو ان تحدثنا عن الدراسات الفولكلورية في السودان .**

في اطار البحث عن الهوية نشأت ضرورة الرجوع الى ما يتضمنه الادب الشعبي والتسجيل التراثي لخط السير الحياتي الذي مر به ذلك الشعب الذي يقطن في تلك البقعة من القارة الافريقية . ومن هنا قامت الدولة اولا بانشاء قسم تابع لجامعة الخرطوم باسم مركز البحوث والدراسات الذي قام بعدة رحلات عمل ميدانية لاقاليم السودأن المختلفة جامعا كل ما تصل اليه يده م نالتراث الشعبي بمختلف فروعه ثم انفصل هذا القسم واخذ اسم معهد الدراسات الافريقية والاسيوية واخذ خطا اكاديميا في مجال تقديم دراسات عن الفولكلور .

نفس الحس الاول مرت به مصلحة الثقافة وانشأت مركزا لدراسة الفولكلور وهو مولود جديد مازال يحث الخطى في طريق جمع وحفظ التراث الشعبي وارشفته وتقديمه لمن يريد ان يقدم دراسة في اي مجال من مجالاته .

هذا باختصار شديد هو الجهد المبذول من قبل الدولة وهذا بالطبع لا ينفي ان هنالك جهودا فردية من بعض الذين يتعلقون بالتراث ويحبونه وهم يتحركون داخل دائرة الجمع فقط .

* * *

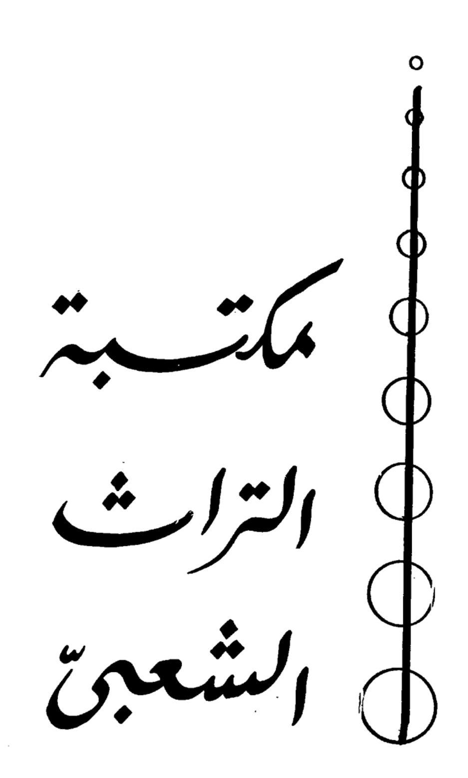
● **ما هي الجوانب التي يمكن استنتاجها من دراستنا للتراث الشعبي العربي لانساننا المعاصر ؟**

تختلف وجهات النظر في تناول المادة الفولكلورية في مجال البحث والدراسة ولكن الشيء الذي يبقى هو ان هذا التراث هو الاساس الذي قامت عليه مختلف الشعوب وهو بالحق التسجيل السليم لسير البشرية . ومن هنا يمكننا طرح التراث الشعبي على مائدة التشريح حتى يمكننا ان نستلهم منه ما يدفعنا لخطوات اوسع الى الامام . وهذا بالقطع لا يعني ان كل ما جاء من موروث هو شيء رائع ، واننا نتمنى اعادته . ومن هذا الفهم يمكننا ان « نستخدم » الفولكلور في التعرف والكشف عن كياننا القومي المربوط في المرحلة التاريخية التي تمر بها .

* * *

● **ماهي ـ برأيك ـ العلاقة بين النضال العربي والتراث الشعبي العربي ؟**

تراث كل الشعوب هو باستمرار نضال دائم نحو شق طريق الحياة السليمة التي ينشدها كل شعب مربوط بظروفه الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية . ونحن كأخوة عرب وكأمة عربية تريد ان تشق طريقها نحو الرفاه الاجتماعي لنا ولكل الشعوب ، ننظر الى ميراثنا كله بعين الفحص والتدقيق . نستشف منه ماضينا ، نهضم منه المشرق الجميل ، ولا نبكي عليه ولكن « نستخدمه » في بناء المستقبل لنا وللاجيال القادمة : ومن مواجهة ظروفنا الراهنة يكون الفولكلور اداة النضال ونبراسا نستعمله في اضاءة الطريق في هذه العتمات .


مكتبة
التراث
الشعبيّ



مجمع الأمثال العامية البغدادية وقصصها

تأليف
د. محمد صادق زلزلة

تقديم : الدكتور عناد غزوان اسماعيل
الناشـر : مؤسسة دار الكتب الثقافية / الكويـت
الطبعة الاولى / ١٩٧٦ م
عدد الصفحات : ٣٠٠
م الكتاب : ٥ر١٧ × ٢٤
عرض : طلال سالم نايل

نالت الامثال العامية العراقية نصيبا وافرا من الاهتمام على تعدد اشكاله بين التدوين والدراسة والجمع والشرح ، كما حظيت بمجموعات بينة الجهد والتقصي والتأمل ، وهذا امر يستحق صانعه الشكر والعرفان بالفضل والتنويه،فنحن نذكر باعجاب جهود الشيخ جلال الحنفي والمرحوم العلامة مصطفى جواد وعبدالرحمن التكريتي والدكتور حسين علي محفوظ وعبدالحميد العلوجي وعزيز الحجية ، وجمهرة اخرى من الكتاب ساهمت بهذا الميدان بتفاوت وخاصة اولئك الذين بحثوا في الامثال على صفحات مجلة التراث الشعبي الرائدة .

وقد اوجد هذا الاهتمام بالامثال الشعبية اساسا سليما يمكن ان تقوم عليه وبكل ثقة الدراسات الفولكلورية لهذا الرافد الخصب من روافد تراثنا الشعبي ، اذ ان اغلب ما يلاقيه دارس الفولكلور من عوائق انما يتأتى من تشتت المواد وتبعثرها بل وندرتها في غالب الاحيان . وفي سبيل ذلك يهدر وقت ثمين وتضيع فرص سانحة كان اولى ان تشغل بالدرس والتأمل والنظر . ومن هنا تنبع القيمة الاساسية في مجموعات الامثال بل وكل عملية جمع ميدانية في الفولكلور او في غيره من العلوم الانسانية الاخرى .

وكتاب الدكتور محمد صادق زلزلة (مجمع الامثال العامية البغدادية وقصصها)واحد من الكتب الصادرة مؤخرا في ميدان الامثال ، ولعله بالحتم لن يكون اخر ما يصدر في هذا المجال بقدر ما يكون اول كتاب يفرد صفحاته للامثال التي وراءها قصص ، وهذا عمل فيه من الفوائد التربوية والتعليمية والتثقيفية بقدر ما فيه من الطرافة والتسلية والامتاع . كما ان من محاسن قصص الامثال اعانتنا على فهم بعض الامثال فهما دقيقا يزيل غموضها

ويوضح مقصودها لان بعض الامثال تعطي معاني غير مقصودة بالذات بدون معرفة قصتها بينما تعطي معنى اخر مع القصة ، ولهذا فاننا يجب ان نهتم بالامثال التي وراءها قصص حرصا على مراعاة الدقة والوضوح في فهم معنى المثل وظروف ومناسبة قوله بل وعلينا تأمل تلك القصص وتفحصها لفهم الدلالات الصحيحة المبتغاة من ذكرها اضافة الى معرفة التناقض والاصطناع والافتعال الذي يمكن ان يلحق مثل هذه القصص وكسائر المرويات . ولهذا يكون من الواجب على جامع الامثال ان يبحث عن اكثر من رواية للقصة الواحدة ليوازن فيما يروى وفيما يقال ليثبت ما يؤمن بصحته وما يقبله منطقه وتفكيره .

تتصدر كتاب (مجمع الامثال العامية البغدادية وقصصها) مقدمة كتبها الدكتور عناد غزوان اسماعيل استاذ الادب في كلية الاداب، في جامعة بغداد وعميد كلية اصول الدين وفيها يقول صفحة (٩) : [الامثال تجربة امة وخبرات حياة شعب ، تصف كثيرا من الحياة ، بامالها والامها ، وظواهرها النفسية ذات الابعاد العميقة الغور والجذور في واقع الانسان والمجتمع ، وبخاصة حين يسمو المثل عن كونه (جملة تجريدية مختصرة) الى كونه (طريقة تعبير) نابعة من فكرة ووجدان واحساس تخلقها تجربة واقعية او مجموعة تجارب ، وبذلك يكون (المثل والامثال) مظهرا اجتماعيا ونفسيا واخلاقيا من مظاهر حياة الانسان ، حيث يختلف عن الحكمة التصويرية مع ما بينهما من علاقة متينة] .

كما يلخص الدكتور غزوان في مقدمته الخصائص الفنية للمثل والتي لا تجتمع في غيره من الكلام كما قال علماؤنا الاوائل في تحديدهم له ـ فهي : (ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة . ان هذا التحديد يجعل (الايجاز) وما يحمل في ثناياه من ابعاد بلاغية ومعنوية قدرة فنية يتمتع بها (المثل) في التعبير عن حادثة ، او تجربة ، او خبرة ينتفع بها ويهتدي بنتائجها .

وتتبع مقدمة الاستاذ غزوان مقدمة اخرى كتبها المؤلف وفيها ذكر في صفحة (١١) (فمنذ زمن طويل وانا افكر في جمع الامثال العامية البغدادية في (مجمع) يصونها ويحفظها ، ليطلع عليها ابناء الجيل القادم قراءة كما اطلعنا نحن عليها ـ من ابناء الجيل الماضي ـ سماعا . فقد كنت اعير كل مسامعي وارهف اقصى انتباهي ، عندما استمع لاحد من الجيل السابق وهو يقول مثلا بغداديا ، او يقص قصته و (اصله) فكنت استمع لبعض المسنين من اصدقائه في مجالسه الخاصة يتمثلون بالبعض الاخر وكانت تلك الاقاصيص التي تعطي السامع اصل مثل بغدادي عريق تستهويني وتبهجني ، فترسخ في ذهني رسوخا عميقا ، وكنت كلما اطلع على (قصة) مثل جديد أزداد سرورا ، وتطفح نفسي بشرا وحبورا) .

وقد اوضح المؤلف الدكتور محمد صادق زلزلة في مقدمته عدة امور تتعلق بمادة كتابه واهمها ما يدعي بـ (الادب المكشوف) الذي عالجه بعدة وسائل هي انه ضرب صفحا ـ بالمرة ـ عن ذكر بعض الامثال وادرجها في زوايا النسيان بالنسبة لهذا الكتاب حسب تعبيره ، وحور بعض الكلمات ـ في بعض الامثال ـ بحيث لم يؤثر ذلك على معنى المثل تاثيرا كبيرا .

ومما جابهه المؤلف ايضا انه ـ وهو ـ يكتب باللهجتين الفصيحة والعامية معا ـ واجه مشكلة قواعد اللغة واصولها لذا عمد الى حصر الكلمات (العامية) بين اقواس صغيرة واعطى لنفسه الحرية في ان يكتب داخل هذين القوسين الصغيرين ما شاء مكتفيا بالتنويه عن الامرفي المقدمة.

ثمة امر آخر ذكره المؤلف هو انه كتب مجموعة هذه الامثال العامية البغدادية حسبما سمعها من الافواه .

يضم كتاب مجمع الامثال البغدادية وقصصها (ثلاثمائة وثلاثة وثمانين) مثلا بلغ عدد الامثال التي تتبعها قصة مائتين وثمانية) .

وهنا اتوقف قليلا لاعرض لامر يتعلق بتسمية كتاب الدكتور محمد صادق زلزلة . فالكتاب عنوانه (مجمع الامثال العامية البغدادية وقصصها) ، وافهم من هذه التسمية ان الكتاب يقتصر على الامثال العامية البغدادية التي وراءها قصة ، ولكننا من قراءتنا للكتاب نجد ان هناك امثالا كثيرة وردت في الكتاب لا يعرف المؤلف قصتها ، وهنا كان على المؤلف ان يستغني عن هذه الامثال ليفرد لها مجموعا خاصا في غير كتابه هذا . واذا كان المؤلف يقصد الى جمع الامثال عامة والامثال التي وراءها قصص فلا اظنن كتابا ككتاب الدكتور زلزلة بجزء واحد يمكن ان يستوعب الامثال العامية البغدادية التي تزيد كثيرا كثيرا على ما ذكره المؤلف .

وامر اخر يتعلق بتسمية الكتاب (معجم الامثال العامية البغدادية وقصصها) فالكتاب على حسب هذه التسمية معجم للامثال العامية ، والامثال العامية منطوقة باللهجة العامية ، فما هو تفسير المؤلف لامثال كثيرة وردت في الكتاب مثبتة بلغة فصيحة هي على الاغلب الاعم نادرة على لسان الناس كالمثل رقم (٢٢٢) والمثل رقم (٣٤٤) .

كما ورد المثل رقم (٢١٢) صفحة ١٦٩ هكذا : (غنم ما شفت .. بعرور ما رايت) ، والعامة لا تقول : رايت وانما تقول (شفت) وانا سمعت هذا المثل ذاته مرارا لا تعد ينطق هكذا (غنم ما شفت .. بعرور ما شفت) .

واذا تجاوزت ما أسلفت من ملاحظات تتعلق أساسا بالعنوان فاني اذكر ملاحظات اخرى تتعلق بما ورد في الكتاب من امثال . فقد وردت أقوال اذا طبقنا عليها مقاييس الامثال والخصائص الفنية والتعبيرية لها لا نعتبرها امثالا وانما هي في الاغلب عبارات مقطوعة وكنايات شعبية ،

وللقارىء ان يتمعن في تلك الاقوال ويقارن بينها وبين الامثال الحقيقية الاخرى الواردة في الكتاب ثم ليحاول ان يطبق صفات المثل الـواردة في مقدمة الدكتور غزوان على الاقوال والعبارات التالية المرقمة :
(١٣ ، ١٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٦١ ، ٧٩ ٨٢ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٧٨) .

ومما لاحظته في معجم الامثال الذي بين يدي ورود المثل (٥٠) هكذا : بس الدولة اشلون ياكلوها ، وارى انه كان من الاصوب اثبات رواية المثل باكملها حتى تستقيم قراءته وتتوضح الغاية التي يضرب من اجلها ولو ان المؤلف اثبت النص في اسفل شرحه ولكن هذا لا يجدي اذ اجد كأن المثل مبتور ، ونص المثل كما اثبته الدكتور زلزلة : اذا التمر ينـاكل ثلاثة ثلاثة بس الدولة شلون ياكلوها .

وفيما يخص المثل رقم (٥٢) فروايته المسموعة : گاعد بالسفينة وكاسر عين الملاح وليس كما أورده المؤلف : بالسفينة ويفگس عين الملاح حيث يضطرب المثل وتختل روايته .

وعدا ما ذكرت ،وما ذكرته ليس بالهفوة الخطيرة يمكن ان استخلص:

اولا : كتاب (معجم الامثال العامية البغدادية وقصصها) من الكتب الجيدة الذي يشكل مع ما سبقه من مجموعات الامثال العامية العراقية ارشيفا ممتازا للامثال ورصيدا غنيا للدراسـات التراثيـة واللغويـة والاجتماعية .

ثانيا : يتميز هذا الكتاب بما وفره المؤلف للقارىء من دقة النظر في كثير من الالفاظ الدخيلة على العربية والتقصي والتتبع لاصول الامثال الواردة .

ثالثا : وفر المؤلف بجمعه بين المثل وقصـته وخاصـة بالنسـبة للدارسين وقتا ثمينا يمكن ان يتبدد وراء البحث عن قصة مثل واحدة ، وهذا جهد يشكر المؤلف عليه .

رابعا : يشكل كتاب الدكتور محمد صادق زلزلة مجموعا قصصيا لهواة القصص الشعبي من القراء بلغة رخية فيها ايجاز ورصانة تعزز في اذهاننا مقدرة المؤلف القصصية والتي تبدو من خلال ثلاث مجموعـات قصصية معلن عنها في سياق آثار المؤلف صفحة (٢٩٩) .

ولعلنا اخـيرا لا نطمح سـوى الى ان يتاح للدكتور محمد صادق زلزلة ان يخرج آثاره السبعة الاخرى وخاصة ما يتعلق منها بالتراث الشعبي ليرفدنا ببعض معرفته وحسن اختياراته لموضوعاته ورشاقـة اسلوبه . وما طموحنا الا من شـوق لمـا ينفع الناس من معين الكلمـة الصادقة والحكمة المعبرة .

دراسات فى الفولكلور

المؤلفون : الدكاترة : احمد ابو زيد
نبيلة ابراهيم
محمد الجوهري
علياء شكري
أحمد مرسي
الاستاذ : عبدالحميد حواس

الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة
م الكتاب = ٣٠ر١٦ x ٣٠ر٢٣
عدد الصفحات : ٣٤٤١
عرض : طلال سالم نايل

نحن في هذا الكتاب أمام مجموعة من البحوث نستطيع ان نعدها مع مقدمة الكتاب التي كتبها الدكتور احمد ابو زيد سبعة بحوث . وبدءا فاننا ايضا وبسهولة نستطيع ان نحدد ذلك الهاجس الذي حدا بالمؤلفين – وكلهم اساتذة مختصون بالدراسات الفولكلورية والانثربولوجية – الى اصدار كتابهم هذا بالاشتراك . هم يريدون ان يقولوا للقارىء – وقد بدت الدراسات الفولكلورية تتابع امام ناظريه – ان هذا الاهتمام بالمواد الفولكلورية من حكاية وخرافة ومثل واغنية وحرفة شعبية واحجية ليست ركاما لا نفع فيه ، ولا هي من ثرثرات العجائز والشيوخ . ان هذه المواد تراث شعبي فيه اصالة ومعرفة ، وليس هذا الذي نقوله بدعة ننفرد بها نحن العرب في هذا المجال فها هي امم سبقتنا الى مضمار الدراسات الفولكلورية بل ان تلك الامم سعت جاهدة الى تأصيل العلم الذي يدرس المادة الشعبية مثلما اصلت مناهج ذلك العلم ، وها انت ايها القارىء امام خطوط بارزة وعريضة لدراسات في الفولكلور بل لدراسات رائدة في الفولكلور . وما عليك الا ان تطلع على هذه الدراسات لترى ان اهتمامنا بفولكلورنا ما زال قاصرا وان الترا ثالشعبي الذي

اهتم به الجاحظ والمسعودي وابن الفوطي وغيرهم اولى بأن نلتفت اليه . فليس بدعة ما نصنع وليس تقليدا ايضا ما نصنع ، وما عملنا في التراث الشعبي والمأثورات الشعبية الا تواصل البحث في الثقافة الشعبية العربية وبمقوماتها ومضامينها الاصيلة والتي ظلت كما يقول الاستاذ صفوت كمال في بحثه (مناهج بحث الفولكلور العربي بين الاصالة والمعاصرة) محتفظة بطابعها الذي يتميز بالعمق التاريخي ازاء كل المتغيرات التي جابهت الانسان العربي على مر العصور ، وامام كل المحاولات التي بذلت لفرض ثقافات غير عربية في قطاعات متعددة من الوطن العربي ، او احلال اسلوب في التفكير والاشكال في الابداع ، او احداث انفصام في الفكر العربي بين ما هو كان وما كائن ، لتحل انماط ثقافية مفروضة محل انماط الثقافة المتوارثة تلقائيا .

والدراسات الست التي يضمها كتاب هذا الشهر عن ستة كتب تمثل بشكل او اخر اهم الاتجاهات في الكتابات (الفولكلورية) وخمسة من تلك الكتب الستة كتبها علماء فولكلوريون يمثلون في كتاباتهم الاتجاه التقليدي العام في الكتابات الفولكلورية ؛ والاستثناء الوحيد من ذلك هو (سمنر) وكتابه (الاساليب الشعبية) فهو اقرب في منهجه الى الاتجاه الحديث الذي يحاول الانثربولوجيون المعاصرون اتباعه في دراسة (الاداب الشفوية) ولولا انه يعطي اهتماما بالغا لتلك الاداب الشفوية والحكايات والقصص والاساطير لخرج عن مجال الكتاب الذي بأيدينا الان ، فهو يجمع بين الدراسة الاجتماعية التي تعتمد على تحليل النظم والدراسة الفولكلورية التي تقوم على الجمع والتصنيف والتبويب . ولعل الدراسات الست التي يضمها هذا الكتا بتعطي للقارىء فكرة عامة واضحة ليس عن عدد من المؤلفين والكتب العامة ـ وهو هدف جليل في ذاته ـ ولكن وهذا هو الاهم عن بعض المناهج العلمية والاتجاهات الرئيسية السائدة في مجال الدراسة الفولكلورية وما يرجى لتلك المناهج والاتجاهات من تطور من اجل تقدم هذا الفرع العام من فروع الدراسات الاجتماعية (انظر مقدمة الدكتور أحمد ابو زيد لكتاب هذا الشهر صفحة ١٨) .

ونبدأ عرضنا لكتاب (دراسات في الفولكلور) بعرض أبرز ما ورد في المقدمة التي كتبها الدكتور احمد ابو زيد عن الانثربولوجيا والفولكلور . في تلك المقدمة يقول ابو زيد صفحة (١) و (٢) :

ومما يلفت النظر في الدراسات والبحوث الاجتماعية والانثربولوجية خلوها خلوا يكاد يكون تاما من الاشارة الى الفولكلور او حتى استخدام المصطلح ذاته على الرغم من ان كثيرا من المعلومات والبيانات والحقائق

الاثنوجرافية التي تعتمد عليها هذه الكتابات تندرج بشكل او اخر تحت الفولكلور وتؤلف مادته الاساسية . والاهم من هذا كله هو ان علماء الانثربولوجيا والاجتما عالمعاصرين لا ينظرون بكثير من الاحترام الى (الفولكلور) والى الجهود التي يبذلها المتخصصون فيه ويميلون الى اخراجه من نطاق العلوم الاجتماعية ، ماعدا قلة قليلة من هؤلاء العلماء الذين يرون ان ثمة امكانيات هائلة امام الفولكلور يمكن ان يحققها اذا أفلح الفولكلوريون في تطوير اساليبهم ومناهجهم . ومع ان هذا القول صحيح الى حد كبير ، ومع ان جانبا كبيرا من المسؤولية يقع على عاتق الفولكلوريين انفسهم الذين اخفقوا في الارتفاع بفرع تخصصهم الى المستوى الذي بلغته العلوم الاجتماعية ، مما صرف هؤلاء العلماء عن الاهتمام بالفولكلور وشجعهم على الاستهانة به ، فان بعض تلك المسؤولية يقع على عاتق علماء الاجتماع بعامة وعلماء الانثربولوجيا بخاصة الذين اخفقوا في الاغلب في ان يوسعوا من دائرة اهتمامهم ، وقيدوا انفسهم بالموضوعات التقليدية التي ورثوها عن العلماء الاوائل ، وان كان ثمة بعض بوادر تشير الى محاولة العلماء المعاصرين التخلص من تلك الموضوعات وارتياد مجالات اخرى جديدة منها مجال الفولكلور .

وليس من شك ايضا كما يقول الدكتور ابو زيد صفحة (٤) في ان الفولكلور لن يصل ا ىمستوى (العلم) بالمعنى الدقيق للكلمة الا حين يفلح في الوصول الى اسس واضحة وثابتة للتفسير العلمي لتلك القصص والحكايات والخرافات والاساطير وما اليها . فاذا اضفنا الى ذلك ميل الكثيرين من الفولكلوريين وبخاصة في معالجتهم للاساطير الى اللجوء الى التأويلات ذات الطابع الادبي او الفلسفي والتي تفتقر الى التحليل العلمي الجاد العميق ،وكذلك محاولة الربط بين تدريس الفولكلور وتدريس الادب واللغة والابتعاد به عن العلوم الاجتماعية والانثربولوجية أمكن لنا ان نفهم بعض السر في اغفال علماء الاجتماع والانثربولوجيا للفولكلور وتهوينهم من شأن الدراسات الفولكلورية واخراجها من مجال العلوم الاجتماعية .

والحقيقة التي يمكن ان نخرج بها من مقدمة الدكتور ابو زيد القيمة لمجموع دراسات كتاب هذا الشهر هي اننا ما اردنا دراسة المجتمع بكل مكوناته فاننا يجب ان نعترف على مدى تعبير العناصر الفولكلورية على العلاقات والقيم السائدة في المجتمع ، ومن ناحية اخرى دراسة العناصر الفولكلورية التي تدخل في كل نسق من الانساق الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي مما يعني فهم المجتمع ككل من زاوية فولكلورية بحتة ، ومن يدري ، فقد يؤدي ذلك في اخر الامر الى ظهور ما يمكن تسميته بالمدخل الفولكلوري لدراسة المجتمع مثلما هناك مدخل ايكولوجي او مدخل

اقتصادي او غير ذلك من المداخل التي تتبعها مدارس الانثربولوجيا المختلفة في دراستها للمجتمعات الانسانية .

الفصل الاول من كتاب (دراسات في الفولكلور) بعنوان : (حكايات الاطفال والبيت) ، الاخوان جريم ودراسة الادب الشعبي بقلم الدكتور محمد الجوهري . وفي مطلع مقاله هذا يقول الجوهري (فليكن مقالنا هذا دراسة لمجموعة حكايات الاطفال والبيت من خلال حياة الاخوين جريم وانتاجهما الرحب ، ولتكن دراسة لتاريخ علم الفولكلور وظروف نشأته الاولى من خلال استعراض ظروف نشأة جريم ودوافع اشتغالهما بهذا الفرع من فروع المعرفة) صفحة (٢١) . ويقسم الدكتور الجوهري مقاله الى ثلاثة اقسام رئيسية ، اولا : المناخ الفكري وظروف النشأة الاولى . من (صفحة ٢٣ الى صفحة ٥٢) .

ثانيا : الانتاج الفكري للاخوين جريم . من (صفحة ٥٣ الى صفحة ٧٠) .

ثالثا : حكايات الاطفال والبيت . من (صفحة ٧١ الى صفحة ٩٦) .

ويهمنا من القسم الاول الذي كتبه الدكتور الجوهري عن حياة الاخوين جريم ما ذكره عن فضلهما الذي يدين به كل مهتم بالفولكلور والمتمثل في (حكايات الاطفال والبيت) التي ظلت لاجيال عديدة مصدرا لامتاع الاطفال متعة حقيقية . وفي الكشف عن ذخائر الشعب الالماني في التاريخ والادب ترجع الى الآف السنين وكانت مطمورة طوال قرون عدة .

كما حاولا الكشف عن القوانين الداخلية للغة الالمانية وقدما بذلك اسهامات خالدة وحاسمة لانشاء وتطوير علم جديد هو فقه اللغة الالمانية أو (الجرمانية) . كما قدم الاخوان جريم اسهامات خالدة في تشكيل الحياة الثقافية للقرن التاسع عشر الغني الخصيب بالتيارات المتلاطمة . فقاما فعلا باكتشاف – او اعادة اكتشاف – الماضي الالماني في مجالات اللغة والادب ، وعلى هذا الطريق اسهما بشكل فعال وان يكن غير مباشر في تأسيس علم الفولكلور . فأثروا بذلك تراث وطنهم وتراث شعوب اخرى عديدة .

وفي القسم الثاني يخلص الدكتور الجوهري الى ان حياة الاخوين جريم الفكرية تنقسم الى اربعة مراحل رئيسية هي : المرحلة الاولى ، وهي فترة الشباب المبكر وتغطي عقدا باكمله من عام ١٨٠٦ الى ١٨١٦ . والمرحلة الثانية ، وهي فترة العمل في مكتبة كاسل وتشمل ثلاثة عشر سنة وبضعة شهور من عام ١٨١٦ حتى عام ١٨٣٠ . اما المرحلة الثالثة فهي فترة العمل في جامعة جو تنجن وتمتد سبع سنوات من ١٨٣٠ – ١٨٣٧ . والمرحلة

الرابعة والاخيرة ، وهي فترة العمل في جامعة برلين ، ثم المعاش ، وهي اخصب الفترات جميعا واغزرها انتاجا وتغطي الفترة من ١٨٤٠ الى ١٨٦٣.

وفي القسم الثالث يقول الجوهري صفحة (٩٥) : ان تلك المجموعة (حكايات والاطفال والبيت) لم تكن نقطة البداية في عملية جمع وتدوين الحكايات الشعبية ، او التراث الادبي الشعبي على وجه العموم . فهي من هذه الناحية مسبوقة كما اشرنا في اكثر من موضع . فالباحثون في الحكاية الخرافية الشعبية لا يؤرخون بداية الجمع بحكايات الاطفال والبيت ، وانما يؤرخون بها بداية البحث في الحكايات الخرافية على حد تعبير فون ديرلاين (صفحة ١٧ من الترجمة العربية) فالى الاخوين يرجع الفضل في اثارة الاهتمام العلمي بدراسة هذا التراث الغزير من الحكايات ، وذلك من خلال التعليقات التي اوردها على تلك الحكايات ونمياها حتى افرد لها مجلدا خاصا في طبعة لاحقة . ولكن رغم هذا الفضل الكبير الذي اسدته مجموعتنا الى حركة الدراسة العلمية للتراث الشعبي ، فقد كان ظهورها ايذانا بحدوث تطور هام يتصل بحياة هذه الحكايات . حقيقة ان الرواية الشفاهية للحكايات الشعبية كانت تسير بسرعة طريقها المحتوم الى الموت والفناء بسبب ظروف الحياة الحديثة الا ان ظهور هذه المجموعات الحديثة بهذا الاسلوب الدافىء الجميل قد عجل بهذا الموت ، وقرب هذا الفناء ، فقد حل هذا الكتاب محل الروايات الشعبية القديمة وسلب الارض من تحتها ، واصبح هو اسرع تداولا واكثر انتشارا واعمق تأثيرا . وهذه سنة الحياة الحديثة .

ويعود الدكتور احمد ابو زيد بعد الفصل الرائع الوجيز عن الاخوين جريم وآثارهما الذي كتبه الدكتور محمد الجوهري ليدرس لنا دراسة تحليلية كتاب (الاساليب الشعبية) لمؤلفه وليام جريهام سمنر (١٨٤٠ — ١٩١٠) .

وسمنر يعتبر من اوائل الرواد الذين وضعوا اسس علم الاجتماع والتفكير الاجتماعي في امريكا ، وكان له اثر عميق في تشكيل الانثربولوجيا الثقافية التي ارتبطت بالانثربولوجيين الامريكيين بالذات . وكتابه (الاساليب الشعبية) هو اهم ما كتبه على الاطلاق . وانه هو الكتاب الاكثر بقاء واستمرارا من بقية كتاباته الاخرى ، بل انه هو الكتاب العلمي الطويل الوحيد الذي اتمه في حياته ، بينما بقية كتاباته الاخرى كانت اما عبارة عن كتب قصيرة اشبه بالمقالات والبحوث المطولة ، واما عبارة عن مقالات متناثرة وان كانت على درجة كبيرة من العمق والاصالة . كما ان كتاب (علم المجتمع) الذي يحمل اسمه واسم تلميذه وصديقه وخليفته كيلر لم يصدر الا بعد

موت سمنر بزمن طويل ، ومن هذه الناحية فان سمنر ينتمي الى تلك السلسلة الطويلة من علماء الاجتماع والانثربولوجيا الذين ارتبطت اسماؤهم في تاريخ الفكر الاجتماعي والانثربولوجي بكتاب واحد فقط ، مع ان بعضهم كان غزير الانتاج الى ابعد حدود الغزارة ، وان كان سمنر يفوقهم جميعا في انه لم يكتب بالفعل سوى كتاب علمي واحد طويل هو كتاب (الاساليب الشعبية) خلال عمره الذي استمر سبعين سنة وفي ان هذا الكتاب هو حصيلة خبرة طويلة في التحصيل والتدريس .

خاول سمنر منذ بداية كتابه (الاساليب الشعبية) ان يوضح المصطلحات التي يستخدمها وان يقرب الى الاذهان مفهوم (الاساليب الشعبية) عن طريق تعريفها وتبين اصلها وطريقة نشأتها ، ويدخل الى ذلك مدخلا لا يخلو من اللطف واللياقة حيث يقول في بداية الفصل الاول عن الافكار الاساسية عن الاساليب الشعبية والاعراف : لو اننا جمعنا كل ما تعلمناه من الانثربولوجيا والاثنوجرافيا عن الشعوب والمجتمعات البدائية فسوف نجد ان المهمة الاولى للانسان في هذ هالحياة هي ان يحيا ويعيش ، فالمرءيبدأ بالافعال وليس بالافكار . وكل لحظة من لحظات حياته تأتي اليه ببعض الضرورا توالحاجات التي يجب اشباعها في الحال . لقد كانت الحاجة هي التجربة الاولى للانسان ، وقد تطلبت منه على الفور بذل مجهود خارق لاشباعها . ويسلم الكثيرون بأن الانسان ورث من اصله الحيواني الاول بعض الغرائز الموجهة ، وقد يكون هذا صحيحا وان لم يقم الدليل القاطع على ذلك ، ولكن اذا كانت هناك مثل هذه العناصر الوراثية فلابد انها قد ساعدت على توجيه الجهود الاولى التي بذلها الانسان لاشباع تلك الحاجات ... ولقد كانت اولى هذه المحاولات ترتكز على مبدأ المحاولة والخطأ وفيه كانت الحاجة هي القوة الدافعة ، وكانت اللذة والالم هما الضوابط الفجة التي حددت الطريق الذي كان يتعين على تلك الجهود ان تسير فيه ، فالقدرة على التمييز بين اللذة والالم هي القوة الفيزيقية الوحيدة التي يمكن التسليم بوجودها ، وعلى هذا الاساس كان الانسان يختار الطريقة التي يعمل بها الاشياء ... وعلى طول الطريق الذي كان يتعين على تلك الجهود ان تسلكه تكونت العادة والرتابة والمهارة . وقد استمر الصراع من اجل استمرار البقاء ليس على المستوى الفردي فحسب بل وأيضا على مستوى الجماعات،وافادت كل جماعة من خبرات الجماعات الاخرى ، ومن هنا كان الاتفاق والتلاقي ازاء الخبرات التي ثبت صلاحيتها وملاءمتها اكثر من غيرها ، وانتهى الامر بها كلها الى اتباع نفس الاسلوب لتحقيق نفس الهدف ، ومن هنا ايضا تحولت الطرائق والاساليب اي عادات اجتماعية واصبحت ظواهر عامة شاملة . ولقد تطورت الغرائز

ايضا مع هذه الطرائف وبذلك ظهرت الاساليب الشعبية . فالاجيال الشابة الناشئة تتعلم عن طريق التقاليد والمحاكاة وعن طريق الالزام والاجبار . وقد أمكن للاساليب الشعبية ان تشبع كل حاجات الحياة التي يشعر بها الناس في زمان معين ومكان معين ايضا،وكانت تتسم بطابع الاطراد والشمول في الجماعة كما كان لها صفة الالزام والثبات وبمرور الزمن اصبحت الاساليب الشعبية اكثر تعسفا وتحكما وايجابية والزاما . فاذا سألنا الرجل البدائي مثلا عن سبب تصرفه وسلوكه بطريقة معينة دائما لكان جوابه هو انه وآباؤه واجداده كانوا يتصرفون دائما على هذا النحو . كما ان هناك دائما ايضا نوعا من الجزاء يتمثل في الخوف من الاشباح . فأشباح الاسلاف سوف تغضب اذا غير الاحياء الاساليب والعادات القديمة .

ويتناول الفصل الثالث كتاب جيمس فريزر الشهير (الفولكلور في العهد القديم) بقلم الدكتورة نبيلة ابراهيم سالم،وعن فريزر تقول الدكتورة نبيلة صفحة(١٤٢) : (لقد كان فريزر يمثل اكثر من أي باحث من الباحثين المعاصرين له ، الاتجاه الانساني الذي كان يستلهم الدراسات المقارنة في سبيل فهم التراث الافريقي واللاتيني والشرقي القديم . وربما ظل اسمه خاتمة العلماء الانسانيين الكلاسيكيين الكبار . ولقد كان واسع العلم متعدد الاتجاهات ، فقد درس علم الطبيعة وعلم الاحياء ، وبعض فروع أخرى من العلوم الطبيعية . وكان يقرأ هو مير باللغة الاغريقية وأوفيد وفرجيل باللاتينية ، والكتاب المقدس بالارامية ، وفضلا عن ذلك فان اعماله الكبيرة المتعددة لم تمنعه من كتابة المقالات والشعر .

اما فيما يخص مكانة فريزر في مجال الدراسات الانثربولوجية فقد كان على راس المدرسة التطورية التي ركزت اهتمامها على دراسة الجانب البدائي في الجنس البشري ، وقد كان فريزر يبحث عن هذا الجانب البدائي في التقاليد والعادات والممارسات بصفة عامة كما كان فريزر يبحث عنه عند البدائيين ، بل ولدى الجنس البشري في كافة مستويات رقيه الحضاري . أما الوسيلة التي كان يستعين بها في هذه الدراسة الواسعة فهي المنهج المقارن الذي يعتمد على جمع المادة من جميع انحاء العالم ثم المقارنة بينها . وقد تطلب منه ارتباط المنهج المقارن بفكرة التطور في سبيل فهم الانسان بعض الفروض العامة التي تتلخص في ان الناس يتشابهون اساسا في الجوهر ، لان الشعوب قد بدات من مرحلة بدائية ، ومرت تدريجيا بمراحل مختلفة من التطور . ومن الممكن استكشاف المقياس العام لسلوكهم وافكارهم عن طريق الاستقراء الذي يعتمد على النظرة الشاملة للمادة المجموعة . ينقسم كتاب (الفولكلور في العهد القديم ، بأجزائه الثلاثة الى

اربعة ابواب كبيرة يتدرج تحت كل منها عدة فصول (وهذه الابواب هي على التوالي : عصور الحياة الاولى . عصر الاباء والشيوخ . عصر الملوك والقضاة ، القانون) . ص (١٥٥) .

وفي الفصل الرابع من (دراسات في الفولكلور) يعرض لنا الاستاذ عبدالحميد حواس لكتاب (الفولكلور الروسي) ليوري سوكولوف . وسوكولوف (عالم مخضرم شارك في الحركة الفولكلورية في روسيا القيصرية ، وقاد اكثر من واحدة من المؤسسات التي عنيت بالفولكلور بعد الثورة الاشتراكية . وتولى تدريس الادب الشعبي في معاهد تعليمية مختلفة ، وقام بدراسات ميدانية في بعض مناطق الاتحاد السوفيتي . وتوجت جهوده بأن اصبح عضوا بأكاديمية العلوم السوفيتية ، وهي درجة علمية واجتماعية لا ينالها الا كبار العلماء الذين تكرمهم الدولة وتوليهم قيادة حركة الابداع الفكري . والمستعرض لانتاج يوري ــ سوكولوف سيجد انه قد غطى مجالات عدة تدور معظمها حول المحاور التالية :

نظرية الفولكلور ، اسس الفولكلوريات السوفيتية ، وخاصة في فترة التحول . بعض اشكال التعبير الادبي . دراسات ومجاميع نصوص ميدانية، مبسطا تلارشاد جامعي الفولكلور ، أثر الابداع الشعبي في كبار الفنانين الروس .

وفي كتابه (الفولكلور الروسي) (صدر عام ١٩٤١ في موسكو) استطاع يوري سوكولوف ان يجمع خلاصة معرفته الواسعة بالابداع الشعبي الروسي والتيارات التي حاولت سيره واستكشاف آفاقه وتقنين ظواهره. ويسوق على ذلك من خلال نظرة موضوعية تربط بين مختلف المحاولات في سياق متصل متكامل يكشف عن المنزلقات التي اعترضت طريق البحث والايجابيات التي اسهمت في تعميق المجرى الصحيح للمعرفة . استطاع ان يجمع كل ذلك في مصنف حاز شهرة واسعة وتقديرا عالميا يضعه في مصاف كلاسيات الدراسات الفولكلورية ومصدرا اساسيا للتعرف على الفولكلور السوفيتي مادة وموضوعا . ولقد قسم المؤلف الكتاب الى ثلاثة ابواب رئيسية :

(١) توطئة نظرية تدور حول قضايا الفولكلور وتاريخه (وهذه التوطئة النظرية صدرت بكتاب مستقل نشرته الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة عام ١٩٧١ بعنوان (الفولكلور : قضاياه وتأريخه ، قام بها الاستاذان حلمي شعراوي وعبدالحميد حواس) .

(٢) الفولكلور قبل ثورة اكتوبر .

(٣) الفولكلور الروسي .

وفي الباب الثاني من الكتاب عالج سوكولوف الموضوعات التالية :

في اصل الشعر ومراحل نموه الاولى ، شعر الاحتفالات المرتبطة بالتقويم السنوي ، احتفالات الزفاف واناشيده ، مراسيم الجناز وبكائياته، بكائيات الجندية ، التعازيم والرقى ، الامثال والالغاز ، البيلينات (الملاحم الشعرية) ، الاغاني التاريخية ، المنظومات الدينية ،الحكايات ، الدراما الشعبية ، الاغاني الليريكية ، الموقعات الشعبية ، كتب الاغاني والاقتباسات

الدارجة للاغاني ، فولكلور المصانع والورش .

وفي الباب الثالث يعالج سوكولوف الانواع والاشكال الادبية التي سبق ان تعرض لها في الباب الثاني محاولا ان يكشف عن التغيرات التي طرات عل ىالفن الابداعي الشفوي .

ويخصص الفصل الخامس من (دراسات في الفولكلور) للدكتورة علياء شكري لتدرس فيه كتا بالمدخل الى الفولكلور الفرنسي المعاصر مع دراسة لآراء واعمال فان جنب تبدؤها بمقدمة عن دراسة الفولكلور في فرنسا .

ولد آرنولد فان جنب في الثالث والعشرين من شهر ابريل عام ١٨٧٣ في Savoyen وتوفي في سنة ١٩٥٧ في بورلاران احدى ضواحي باريس . تقلب في عديد من المناصب العلمية البارزة حيث شغل فترة منصب سكرتير المعهد الدولي للاثنولوجيا وعلم الاجتماع ثم عمل استاذا للاثنوجرافيا في جامعة نيوشاتيل بسويسرا . وعين في عام ١٩٢٨ سكرتيرا عاما للمؤتمر الدولي للفنون الشعبية . كما اختير منذ عام ١٩٤٤ رئيسا لاتحاد جمعيات الفولكلور في فرنسا . وانتخب منذ سنة ١٩٥٢ رئيسا للجمعية الاثنوجرافية الفرنسية . وله مؤلفات ناهزت الخمسين .

وعن كتابه : المدخل الى الفولكلور الفرنسي المعاصر تقول الدكتورة علياء صفحة (٢٩١): صدر الجزء الاول من كتاب فان جنب المدخل لدراسة الفولكلور الفرنسي المعاصر في سبعة مجلدات ، ظهر المجلد الاول عام ١٩٤٣، وتوالى ظهور المجلدات الاخرى حتى صدر المجلد السابع عام ١٩٥٨ ، وبذلك بلغت صفحات هذا العمل الضخم ثلاثة آلاف ومائتي صفحة . ولا زال لهذا الجزء مجلد ثامن سيتكفل تلاميذ فان جنب واصدقاؤه باصداره ، وبذلك يكتمل الجزء الاول من كتاب فان جنب العظيم ، وهكذا يكون القدر قد حال دون ان يسطر فان جنب الجـزء الثاني الذي كان ينوي اخراجه لهـذا الكتاب .

يشمل المجلد الاول مقدمة عامة عن دراسة الفولكلور ومناهجه ثم يلي هذا الجزء النظري دراسة تطبيقية عن عادات (تتابع الحياة) من المهد الى اللحد ، وتنتهي في المجلد الاول عند مرحلة الخطوبة . ويشمل المجلد الثاني الجزء الخاص بالزواج والوفاة الى جانب خريطة الانتشار الجغرافي لبعض العناصر الخاصة بهذه العادات . وقد قدم فان جنب لهذا الكتاب بمقدمـة تقع في ثمانية فصول .

يعرض في الفصل الاول منها لبعض الملاحظات الاولية حيث يشير فان جنب للاختلافات اللغوية والسلالية في فرنسا ، كما يوضح ايضا الاصول التاريخية لتلك الاختلافات .

ثم يعرض فان جنب في الفصـل الثاني من هذه المقدمـة لمسميات الفولكلور حيث كانت مشكلة الاسم تشكل في تلك الفترة احدى المشكلات المرتبطة بالقومية والاعتزاز باللغة وما الى ذلك .

اما الفصل الثالث فهو خاص بحدود الفولكلور . ثم حاول فان جنب ان يقدم تعريفا لعلم الفولكلور في الفصل الرابع يتفق ومجموع القواعـد العامة التي تكونه . اماموضوع الفصل الخامس فهو بيئات الفولكلور . وفيما يخص الفصول الخاصة بعادات تتابع الحياة (من المهد الى اللحد)

فيتميز فان جنب ليس ببراعة العرض التفصيلي للمادة وفق منهج يتميز بالضبط والاحكام اذ انه يشير الى كل معلومة تبعا لمكان حصوله عليها ، اي مع مراعاة البعدين المكاني والزماني .

وفي النهاية يجب الاشارة الى ان فان جنب دعم علم الفولكلور بالاطر النظرية والمراجع والببلوجرافيات ، والمناهج ، التي تفيد الباحثين في هذا الميدان المبكر على مستوى فرنسا ، وعلى المستوى الاوربي ، والعالم اجمع من حيث امكانية المقارنة والاسترشاد بالمناهج .

ويبقى من هذا الكتاب القيم الذي نقدمه لقراء التراث الشعبي مقالة الاستاذ الدكتور احمد مرسي عن امثال الشعوب التي جمعها وقدم لها : سلوين جيرني شامبيون وظهرت الطبعة الاولى منه سنة ١٩٣٧ ، واعيد طبعه ثلاث مرات سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٣ و ١٩٦٦ وهو يقع في حوالي ٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير . ويضم الكتاب مجموعات من الامثال الشعبية تشمل (١٩١) بلدا ومجموعة بشرية الى جانب عدد كبير من الفهارس المتخصصة ، فهناك فهارس جغرافية ولغوية وموضوعية ، بالاضافة الى قوائم بيبلوجرافية وافية تشتمل على عدد ضخم من مجموعات الامثال الشعبية التي صدرت حتى وقت ظهور الكتاب وهي تكاد تغطي شعوب العالم كله ، مما يضع بين يدي الباحث في هذا المجال ثروة لا بأس بها . —

وقد قام بذلك الدكتور شامبيون الذي قدم لنا هذا الكتاب جهدا ضخما تحدث عنه في مقدمته التي لا تقل اهمية عن الكتاب نفسه ، فهي توضح منهجه الذي اتبعه في تصنيف الامثال الدالة على المجتمعات والشعوب كما توضح وجهة نظر المصنف من مجموعات الامثال التي اطلع عليها ، ونقده لها وتعطينا صورة واضحة لاستقرائه الواسع لامثال الشعوب ، وتتبعه لكلمة (مثل) في جميع اللغات واللهجات التي تمثل الشعوب والمجموعات البشرية التي وردت امثالها الشعبية في هذا الكتاب ، مما يجعل الكتاب موسوعة ضخمة لا غنى للمتخصصين في الدراسات الفولكلورية عنها ، خاصة عند المقارنة ، كذلك هي لا غنى للقارىء العادي عنها ايضا .

وبعد فان التلخيص يغمط الاهمية العظيمة لهـذا الكتاب الـذي استعرضناه وخاصة للقراء الذين يجهلون اللغات الاجنبية التي كتبت بها دراسات الفولكلور مادة الكتاب الاساسية . ذلك ان تلك الدراسات التي قام عليها كتابنا هذا الشهر مصادر اساسـية في الفولكلـور العالمي وهي بالاضافة الى هذا دراسات منهجية رصينة وجادة يغدو امر الاطلاع عليها ملحا بينما لا تتوافر مترجمة بين ايدينا وفي مكتباتنا وان كان ظهر منها عدد يسير ومختصر ككتاب فريزر (الفولكلور في العهد القديم) بجزأين وكتاب الفولكلور الروسي ـ مقدمته فقط ظهرت ـ بينما لم تظهر الكتب الاخرى . وعلى هذا فان القارىء يمكنه بيسر ان يطلع على كتاب دراسات في الفولكلور ـ هذا الجهد الرصين الجاد ـ الذي قدمه لنا اساتذة لهم مكانتهم البينة في دراسة الفولكلور العربي .

آمل ان اكون قد اغنيت القارىء ـ مؤقتا ـ بتلخيصي لكتاب لـه اهميته وقيمته في المكتبة الفولكلـورية العربية . وتحية من القلب لتلك الجمهرة الجليلة من الاساتذة على عملها القيم الممتاز ومساهمتها الرائعة في خدمة الفولكلور العربي .

شهريات التراث الشعبي

إعداد : فولكلوري



١ ـ النتـاج الفولكلوري

- ● كمال لطفي سالم :
- ـ المقام العراقي بين التطور والركود ـ الحلقة الثانية .
- × مجلة الاذاعة والتلفزيون (البغدادية)
  العدد ٢٣١ في ١٤ آب ١٩٧٧ ص٢٨ ـ ٢٩
- ● ابو عقيل :
- ـ كيف تطورت عملية التزيين . ومتى استعملت المراة المساحيق ؟
- × جريدة الراصد (البغدادية)
  العدد ٣٩٣ في ١٩٧٧/٨/٢٨ ص ٧
- ● عبدالجبار محمود السامرائي :
- ـ اشعار الامهات العربيات اثناء ترقيص الاطفال
- × مجلة (الام والطفل) البغدادية
  العدد ٣٦٨ آب ١٩٧٧ ص ٤٨ـ ٥٥
- ● مجهول ؟
- ـ قات وشاي وكوكا كولا [في الاحياء الشعبية باليمن]
- × مجلة (الوطن العربي) تصدر في باريس .
  العدد ٢٧ آب ١٩٧٧ ص ٤٦ ـ ٤٧ (مصور)
- ● د . صالح ابو اصبع :
- ـ مفهوم الرمز في الشعر العربي
- × مجلة (الثقافة العربية) الليبية .
  العدد ٧ س ٤ تموز ١٩٧٧ ص ٥٣ ـ ٥٧
- ● اليزابيث مونرو :
- ـ تاريخ القهوة العربية
- × مجلة الفيصل (السعودية)
  العدد ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ ص ١٢١ ـ ١٢٩
- ● صبري ابو علم عبدالله :
- ـ الغراب في المفاهيم الشعبية العربية
- × مجلة الثقافة العربية ـ الليبية .
  العدد /٨/ آب /١٩٧٧ ص / ٥٠ ـ ٥٢
- ● اسعد محمدعلي :
- ـ الآلات الموسيقية قيمة تراثية وقدرة فنية
- × جريدة العراق
  العدد / ٤٤٦ في ١٣ /آب/ ١٩٧٧ ص٥

- د . داود سلوم :
- الرمز والاسطورة في الادب العربي
× مجلة الثقافة ـ البغدادية
العدد (٨) آب ١٩٧٧ ص ٦٠ ـ ٦٨

- د . علي الراعي :
- المسرح عند العرب
× مجلة العربي ـ الكويتية .
العدد ٢٢٥ ـ آب ـ ١٩٧٧ ص (١٤١ ـ ١٥٢)

- باسم عبدالحميد حمودي :
- توظيف الاسطورة في ادب الطفل
× ج / الجمهورية ، البغدادية
العدد / ٣٠٣٤ في ١١ آب ١٩٧٧ ص (٤)

- عبدالجبار محمود :
- الاسلحة في شعر المتنبي [عن اسلحة العرب القديمة]
× مجلة (حراس الوطن) البغدادية ـ العدد ٨ س ٢٣آب ١٩٧٧ ص ٢٠ ـ ٢٢

- محسن الموسوي :
- رمضان في الهند
× مجلة ـ أسرتي ـ الكويتية
العدد ٢٧ـ السنة الثالثة عشرة ـ ١٩٧٧/٩/٣ ص ٢٥ ـ ٢٧

- مجهول ؟
- السجادة الشرقية كنز ثمين في متاحف الغرب (مصور بالالوان)
× المجلة السالفة ص ٥٨ ـ ٦٠

- حسين الرضوي : ـ
- انسان الربع الاخير من القرن العشرين يعتقد بالخرافات
× المجلة السالفة ص ٦١ ـ ٦٣

- عبدالجبار محمود السامرائي :
- النقوش والكتابات على السيوف
× مجلة حراس الوطن (البغدادية
العدد التاسع ـ ايلول ـ ١٩٧٧ ص (٢٢ ـ ٢٣)

- د . محمد عمارة :
- بناء المساجد وبناء الاهرامات .
× مجلة (قضايا عربية) البيروتية
العدد ٣ و ٤ آب وايلول ١٩٧٧ ص ٤٣ ـ ٥٢

● ماهر البطوطي :
— **المصادر العربية في القصص الاوربي**
× المجلة السالفة ص ٦٧ — ٨٧
● عبدالعليم القباني :
— اغنيات بالعامية كتبها طه حسين .
× مجلة الهلال — القاهرية — عدد سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ ص ٩٤—٩٩
● مجدي العقيلي :
— تاريخ آلة العود [الموسيقية]
× مجلة (الثقافة العربية) الليبية
العدد ٩ ايلول ١٩٧٧ ص ٤٣ — ٤٥
● عادل الهاشمي :
— غناء الموال عند الاصوات المقتدرة
× مجلة (الف باء) البغدادية
العدد ٤٧٠ في ٢١ ايلول ١٩٧٧ ص ٤٤ — ٤٥
● **زهير احمد القيسي :**
— ابن دانيال الموصلي وباباته التمثيلية .
× المجلة السالفة ص ٥٠ — ٥١
● مجهول ؟
— لمحات من الغناء الشعبي العربي
× مجلة الشباب (البغدادية)
العدد ١٢ ايلول ١٩٧٧ ص ١٢ — ١٣
● محمد عبدالحميد :
— السيف سلاحنا القديم اصبح واحدا من ابرز اسلحة المبارزة .
× المجلة السالفة ص ٣٢ — ٣٣
● حامد البازي :
— اغاني البحر العراقية
× جريدة الجمهورية (البغدادية)
العدد ٣٠٥٧ في ١٧ ايلول ١٩٧٧ الصفحة الرابعة
● مجهول ؟
— اشكال جديدة للكتابة الموسيقية : الكتابة للرقص التعبيري والفولكلوري .
× نشرة القيثارة (البغدادية)
العدد ٤٥ ايلول ١٩٧٧ ص ٤ — ٧

● عبدالامير جعفر :
- من التراث الغنائي العربي .
× النشرة السالفة ص ٨ ــ ١٠
● عبدالامير جعفر :
- من الرومانث الاسباني (عرض لكتاب)
× النشرة السالفة ص ١٤ ــ ١٥
● مجهول ؟
- الانشاد البغدادي بين الاصالة والابداع
× النشرة السالفة ص ١٩
● وحيدة مقداد :
- هوارس بين والفولكلور الزنجي
× ملحق جريدة الجمهورية ــ العدد ٣٠٧١ في ٢٤ ايلول ١٩٧٧ ص١٠،٩
● حياة عبدعلي :
- الملوخية وحلويات الريحان
× جريدة الثورة (البغدادية)
العدد ٢٧٩٤ في ٦ ايلول ١٩٧٧ ــ الصفحة الاخيرة
● مجهول ؟
- ماهي حكاية خان الخليلي
× نفس الجريدة ــ العدد ٢٧٩١ في ٢ ايلول ١٩٧٧ الصفحة الاخيرة
● د . احمد مرسي :
- التراث طريق الاصالة الحضارية للامة .
× مجلة الاذاعة والتلفزيون (البغدادية)
العدد ٢٣٤ في ٤ ايلول ١٩٧٧ ص ٤٢ ــ ٤٣
● سعيد بو هناد :
- المسبحة ابتكرها العرب واستهواها الاوربيون .
× مجلة اليقظة (الكويتية)
العدد ٥١٩ في ١٩٧٧/٩/٥ ص ٢٣ ــ ٢٥

٢ ـ الاخبــار

الزير سالم في مسرحية

صدرت عن دار الفارابي في بيروت مسرحية (الزير سالم) للاستاذ (الفريد فرج) . وصــل المؤلف في هــذه المســرحية الى ذروة اسلوبه المسرحي ـــالفكري الذي يربط بين التراث والاحداث المعاصرة في خيط واضح وقادر على التعامل مع التراث والاحداث المعاصرة في خيط واضح وقادر على التفاعل مع الجمهور دون اية سدود وعقبات .

كتب المؤلف في مقدمة المسرحية : (انه يأمل في ان يتحقق العدل الفلسفي ، كما يأمل في ان يتحقق الائتلاف القومي ، وفي أن تلبي الطبيعة وأحكامها ما ينشده الاخــوة الذين فرض عليهم التفرق والخصــام) . واضاف : (هذا هــو طرف الخيط الــذي التقطته وابرزتــه لقــارىء المسرحية . وقد استهواني . فمنذ ان قرات ـ اهل الكهف ـ لتوفيق الحكيم ، لم يحدث لي ابدا ان استمتعت ثانية بفكرة الزمن في عمل فني الا عندما فهمت الملحمة الشعبية ـ الزير سالم ـ على هذا النحو ... واذا كان هذا المنحى يبث حياة جديدة في ملحمة شعبية كاد التقدم العلمــي والصيغ الفنية الحديثة تبيد آثارها وكادت السينما والمسرح والتلفزيون والقصة تلقي بها ، الى الظل ، فلابد من الاعتراف بفضل النهضة العربية والثقافة الجديدة التي وجهتنا نحن الكتاب والفنانين ناحية التراث ..)

ويذكر ان لافريد فرج مسرحية اخرى انجزتها مؤخرا دار الفارابي بعنوان (حلاق بغداد) وله ايضا مسرحيات تتناغم مع التراث وستصدر قريبا : (سقوط فرعون ، لعبة الحب ، مرزوق وحماره ، رسائل قاضي اشبيلية ، الفار والزيتون ، على جناح التبريزي ، سليمان الحلبي) .

مبيعــات تحفية

* بيعت في احد المزادات العالمية ساعة فريدة من نوعها مصنوعــة من نصف مليون ريشة من ريش الببغاء بمبلغ مائة واربعين الف جنيه استرليني .

اشترى الساعة رجل انكليزي من هواة اقتناء التحف النادرة وهي من اعمال الفن الشعبي لجزر هاواي .

* وبيع في مزاد آخر اناءان للزهور يرجع تاريخها الى عام ١٨٣٥ بمبلغ ١٤ الف جنيه استرليني .. يبلغ طول الاناءين (٥٣) بوصة ومنقوش عليهما مناظر تمثل رحلة صيد . وكان نيقولا الاول امبراطور روسيا قد اهداهما للسفير النمسوي في روسيا .

* ودفع احد هواة جمع الاواني الفضية النادرة مبلغ ١٢٠ الف جنيه استرليني في اناء من الفضة كان معروضا في احدى صالات العرض بلندن ، يرجع تاريخه الى عام ١٦٣٢ م .

* كما بيع في نفس المزاد شمعدان من الفضة الخالصة يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر بمبلغ ٤٦٣ الفا و ٤٩٥ جنيها استرلينيا .

سومر والنظرية الموسيقية

اعدت العالمة (وشسن جيملين) من جامعة ليبيج في بلجيكا ، بحثا اسمته (النظرية الموسيقية تبدأ في سومر ، اكتشاف سلم موسيقي بابلي) اوردت فيه الدليل على وجود نظام موسيقي في بلاد سومر التي عرفت فيما بعد ببلاد بابل ، على اول بحث دياتونيكي .

الى هنا انتهى الخبر الذي اذيع مؤخرا .

ونعيد الى الاذهان بأن اول اكتشاف للسلم الموسيقي في بلاد بابل كان في الربع الاول من هذا القرن ، فقد وجد الاستاذ الدكتور (كرت سخس) صحيفة بابلية موسيقية من الخزف كشفت في خرائب آشور كتبت نحو عام ٨٠٠ قبل الميلاد وفيها (٦٢) مقطعا مختلفا في سبعين سطرا ارجعها كلها الى (١٨) حرفا او صوتا ثم ارجعها بعد البحث الى نظام خماسي . وظهر له ان هذه العلامات الموسيقية تدل على انه كان في الموسيقى البابلية سلمان ، وخمس في كل منها خمسة ابراج . فالابراج كلها (١١) برجا . ومن راي الاستاذ سخس انه كان عند الاشوريين آلة موسيقية كالعود فيها ٢٢ وترا لهذه الابراج وانصافها .

تفاصيل الموضوع منشورة في مجلة المقتطف على الصفحتين ٤٧٥ و ٤٧٦ من المجلد الخامس والستين لسنة ١٩٢٤ .

الف ليلة وليلة
في مسلسل تلفزيوني

ستتحول حكاية الف ليلة وليلة المعروفة الى مسلسل تلفزيوني من عشرين حلقة تتقاسم بطولته كل من المطربتين فائزة احمد ووردة الجزائرية .

مهرجان للموسيقى الشعبية
الافريقية

شهدت باريس خلال شهر تشرين الثاني ١٩٧٧ غزوا موسيقيا افريقيا من خلال مهرجان موسيقي كبير شاركت فيه عشرات الفرق الموسيقية الشعبية من جميع انحاء القارة السوداء .

والملاحظ ان الموسيقى الافريقية لم تعرف بشكل واضح في العالم الغربي رغم انها كانت وراء ظهور انواع موسيقية كثيرة مثل الجاز والبلوز والروك والسامبا والرنما .

وتتميز الموسيقى الافريقية بايقاعاتها الخاصة والسريعة وبغرابة آلاتها المستعملة .

ويعد هذا المهرجان فرصة للكثيرين من الباحثين والمعنيين في الموسيقى الشعبية لزيادة البحث والدراسة في هذا المجال .

رسالة دكتوراه عن
الغناء الديني والدنيوي في العراق

في مطلع عام ١٩٧٨ يستعد الفنان طارق حسون فريد للدفاع عن اطروحة الدكتوراه التي تجري مناقشتها في جامعة (كومنيوس) بجيكوسلوفاكيا .

تتناول الاطروحة الجانب الغنائي الفولكلوري العربي والاسلامي في العراق بشقيه الديني والدنيوي معا .

الاول يركز على موضوع تراتيل القرآن بمختلف قراءاته ، ومناسباته ومقرئيه واماكنه . فيما يعني الجانب الدنيوي ، الغناء المعروف بالمقام العراقي واغاني المدينة بكل انواعها ، واغاني الريف والبادية والخليج .

الدراسة تعتمد مصادر رئيسة هي المعلومات الشفوية من مؤدي التراتيل والطقوس والاغاني ، ومن الكتب والمصادر النظرية ومقارنة ذلك بالمعلومات الموسيقية النظرية والشفوية .

معرض
للتقاليد والطقوس

في مدريد ، أقيم معرض فني ضم اعمالا فنية من غينيا الجديدة بلغ عددها (١٢٨) قطعة جمعها اصحابها من مصادرها بعد رحلات الى تلك البلاد النائية .

ومن بين هذه الاعمال الفنية مجموعة من الاواني المنزلية والاسلحة وأدوات الزينة ومجوهرات ومنحوتات مختلفة تمثل فنا استعملت فيه العديد من المواد كالحجر والعظم والبرونز والخشب المصقول .

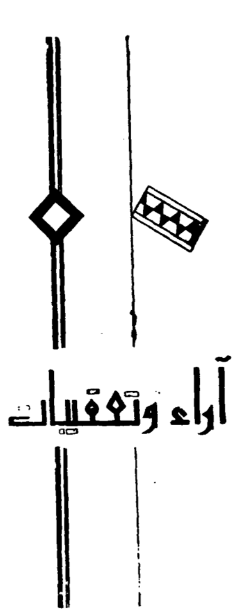
والقطع المعروضة تمثل الحياة والتقاليد والطقوس التي تعيشها القبائل التي تمثل نصف سكان غينيا الجديدة التي نالت استقلالها مؤخرا واصبح اسمها (غينيا الجديدة وبابوا) وعرضت في المعرض افلام عن الرحلات التي ادت الى الحصول على هذه القطع الجميلة .

كتاب عن :
اثر العرب في الحياة الشعبية الاوربية

من الكتب التي تناولت اثر العرب في معالم الفكر والفن والادب في اوربا ، كتاب من تأليف (كارل خروشتة) ومن ترجمة (عبدالناصر محمد سيد) ، بعنوان (اثر العرب في الحياة الشعبية الاوربية) .

يتحدث المؤلف في الفصل الاول عن الطقوس والكلمات المستعملة في السحر ويذهب الى ان مصادرها الاولى جاءت من الغرب . كذلك يبحث الكتاب في تأثير الملابس العربية الاسلامية في الملابس الاوربية وخاصة ملابس القرون الوسطى التي اقتبست من الازياء العربية الاندلسية .

وفي الفصل الرابع والاخير ، يقارن بين الوصفات الشعبية التي لا تزال تمارس في ارياف اوروبا حتى اليوم بالوصفات الشعبية المذكورة في كتب الطب العربية .


آراء وتعقيبات



حول تعريب "الفولكلور"

روكس بن زائد العزيزي

قرأت المقـال النفيس الذي كتبه الاسـتاذ (محمد شيت صالح الحياوي) في عدد التراث الشعبي الاول من السنة التاسعة الصفحة ٧ — الى ١٠ (حول تعريب الفولكلور) فشكرت للاستاذ الكبير جهده ، لكن الذي اعتقده ، ان كلمة (عمم) على وزن شمم وقلم ، لا تفي بالفرض . واذا كان لابد من التحول عن كلمة التراث ، فارى ان تحل محلها كلمة (اوابد) جمع (آبدة) . قال النويري : الأوابد الدواهي ، وهو مما حمى الله هذه الامة الاسلامية منها ، وحذر المسلمين عنها » نهاية الارب — ٣ : ١١٦ — لغة العرب للمرحوم الاب انستاس ماري الكرملي ،السنة السابعة ص٨٣٦ ، وقد سمى الافرنج الاوابد هذه بـ : Superstitions

حاشية المنهل ج٢ ، ص٧ .

ومن هذه الاوابد : البحيرة ، البلية ، الحامي ، الرتم ، السائبة ، الازلام ، القشير ، الهامة ، الوصيلة الميسر ، وأد البنات .

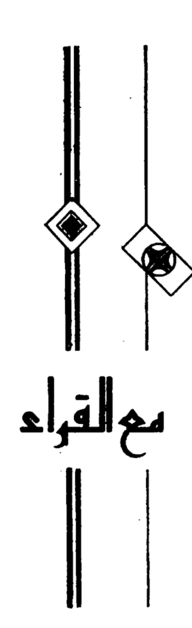
« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون » — سورة المائدة ، الاية ١٠٣ .

وعسى ان يكون في هذا ما يفيد .

عمان — الاردن

من مواد العدد القادم

- شعر العامية الفلسطينية المقاوم ٩١٧ ١ـ ١٩٦٧
- السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الاسلام
- الدهـانة
- ملامح التراث الشعبي في حياة الطفيليين .
- قصة النول والصائغ
- رقص الهوانم
- السبحة اداة ذكر ولهـو
- اختيار الزوجة كما تقدمه الحكاية الشعبية بالمغرب


مع القراء



● **الى السيد جاسم محمد عزيز ـ دائرة البريد والتوفير ـ البصرة**

نشكرك على رسالتك الكريمة وعواطفك تجاه المجلة ، وجوابا على استفسارك حول الفجر في الاقطار العربية ، نود ان نوضح اننا سنعمل جهدنا لتقصي عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، وان كانت هذه العادات والتقاليد لا تختلف من حيث الجوهر عن غجر اوربة الا فيما له علاقة بالعادات والتقاليد السائدة في الوطن العربي التي يحرص الغجـر على تبنيها سيرا على اسلوب حياتهم في تقليد سكان المناطق التي يمرون بها او يحلون فيها ، كما اثبتت ذلك الدراسة عن الفجر التي نشرت تباعا في هذه المجلة ، كما اننا سنحاول نشر ما جاء عن الغجر في المصادر العربية القديمة منها والحديثة استكمالا للبحث . مع خالص تقديرنا .

● **الى السيد نورمان ناصر ساكو / بغداد**

سبق ان نشرت الحكاية في عدد سابق من المجلة .

● **الى الصديقين / عبد صالح احمد ، حسن رشيد احمـد**

نشكر تحياتكما ونعلمكما ان بدل الاشتراك للطلاب هو دينار واحد يرسل بحوالة بريدية باسم رئيس التحرير مع كتاب تأييد يثبت انكما مازلتما طالبين مع التقدير .

● **الى السيدين علي جمعه علي / بغداد ، رفعت محمد جواد /النجف**

شكرا على تمنياتكما اللطيفة ويمكنكما التفضل بارسال مبلغ دينار ونصف بحوالة بريدية باسم رئيس التحرير ليتسنى ارسال المجلة اليكما مع تحياتنا وتقديرنا .

FOLKLORE IN THE WORLD

Customs of the Maoris of New Zealand

Compiled by Burhan Abd

A brief review of the habits and customs of the Maoris, the aborigines of New Zealand who used to have their special tradition before the European Conquest of this land.

THE FOLKLORE LIBRARY

Reviewed by **Talal Salim**

1. Baghdadi Proverbs and their Stories

by Dr M. Sadiq Zalzalah

2. Studies in Folklore

by Dr. Ahmad Abu Zaid and Others.

translated by

M. Kadhim Saadedin

BANNERS AND COLOURS

by

Zuhair Ahmad

Many primitive peoples in various parts of the world had special signs decorated on their armours, some used feathers or furs, or points on their bodies which distinguish them from other nations or tribes.

Here in his article the writer studies totem symbols, triple symbols, symbols and banners, in Assyria, Babylonia, Persia, Cartage, Greece, Rome, India, China, Egypt, etc . . .

FOLK TALE

The Lion and the Wood-Cutter. A Baghdadi folk tale retold by: **Saleem Taha Al-Tikriti**

FOLK SONG FROM EGYPT

Ya di es-saqiyal el-bahriyah (O, This Water-Wheel of Sea-side Country.) by: **Taimor Ahmad Yousuf**

A traditional folk song from Melaig Village of Menufiyah in the Egyptain delta. This Song is one of the marriage party songs.

THE ARCHIVES :

The Epic of Gilgamesh part VIII of the new translation by:

Dr. Sami Said Al-Ahmad.

FROM THE PEOPLES' FOLKLORE

The Enamel of Peking

A Chines Art of Arabic Origin by: **Sun Hua**

The Waved enamel of Peking is a kind of enamelled vessels. This kind of art occupies a high position among fine handicrafts in China for its traditional Chinese pictures with florid colonrs. China was acquaited with this art in the 13th century A.D. Then it developed into an art of Chinese type.

THE METHOD OF IBN KHALDUN OF STUDYING FOLKLORE

by

Najah Hadi Kubbah

Ibn Khaldun, unlike Al-Maqqri, Ibn Abd Rabihi, Abu Ali Al-Qali of Andalucia, was not only a collector of folklore material but he also deducted results that gave explanations, thus surpassing modern folklore researchers. He studied a lot of folk phenomena concerning various social layers in various places and times by observation, association, and listening to people.

The writer gives example of his studies and conclusions.

HADITHA - ON - THE EUPHRATES

by

Farhan Ahmad Al-Bayati

Haditha is a small city of Al-Anbar Governorate, 140 k.m. from Ramadi, centre of the province, and 240 k.m. from Baghdad The writer reviews the history of this city since 4th century A.D., The Islamic era, ancient and modren, with detaild refrences, Arabic and foreign.

GENEROSITY

by

Shakir Hadi Shukur

Some reflections on living in the Iraqi countryside among villagers. The writer talks about their generosity which he himself experienced.

ARABIC ARTICLES IN BRIEF

STATIONERY IN THE ARABIC TRADITION

by

Suhail Qasha

This academic research shows the role of the Arabs in the spread of stationery craft which preserved the tradition of humanity. It deals with the following items:

1. ink 2. ink-making 3. coloured-ink 4. stationery:

a- paper b- parchment c- pen and quill d- spoon e- sand-pot f- blotter g- vice h- pad i- table-cloth j- erazer k- ruler l- polishing tool m. silk-paper n- grindstone o- pen-case p- razor q- sharpener r- ink-pot

THE IRAQI MADRIGAL

by

Shakir Al-Barmaki

The Iraqi madrigal is a folk song in Vernacular sung by villagers on a great variety of occasions such as wars, fights, death, wedding, reception and seeing-off.

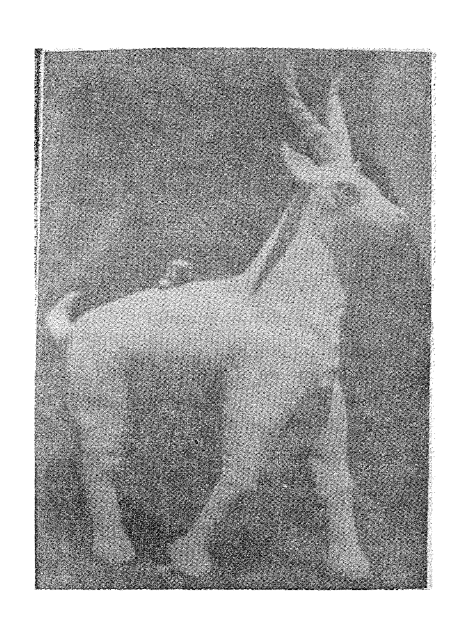
The asticle is divided into:

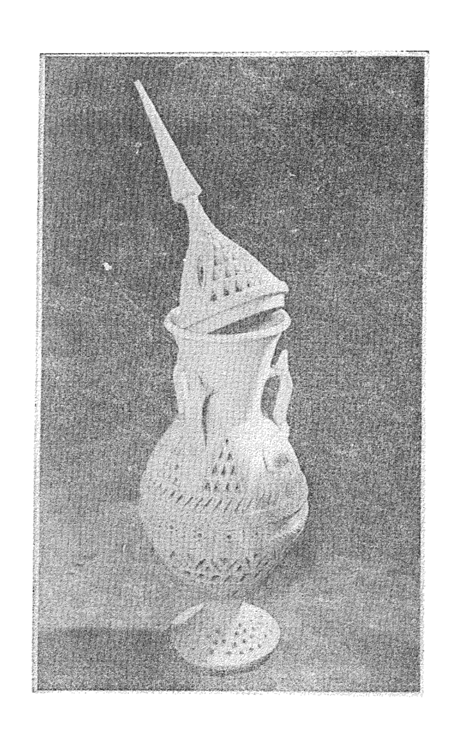
1. kinds of madrigals
2. general qualities of madrigals
3. men's madrigals in 1920 Revolution
4. women's madrigals in 1920 Revolution
5. patriotic madrigal
6. madrigals that became proverbs

LANGUAGE AND MEANS OF EXPRESSION OF THE GYPSIES

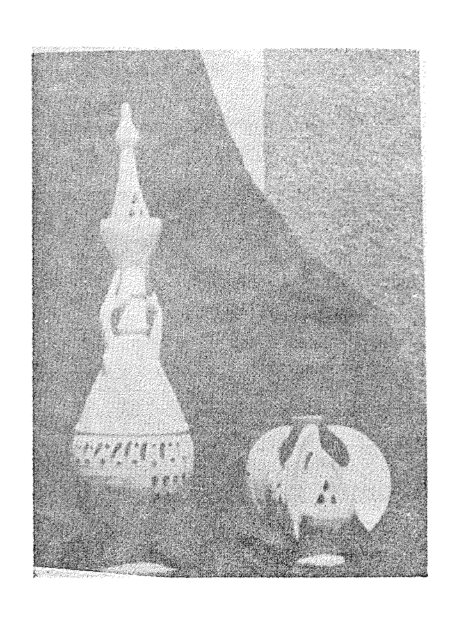
A new Chapter of "The Gypsies"

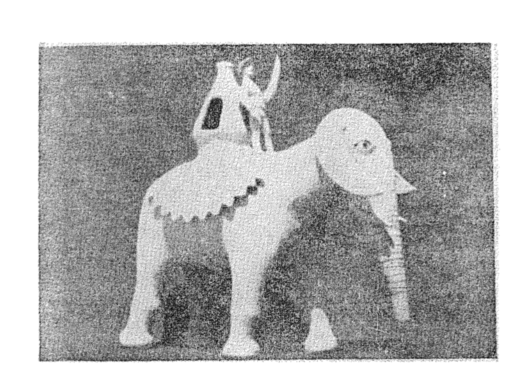
translated by Lutfi Al-Khouri











We took pictures of the models and bought whatever we could carry to Baghdad, and advised them not to use paint. Yet, we asked them about painting. They told us that they put the paints in a large bowl full of water with some kerosene. The pots are then plunged into it and taken out, for this reason we see the pretty painted pots or the ugly ones and those between both.

"How many Kilns are there in Tozkhormato ?"

" Only three. "

Translated from Al-Turath Al-Sha'bi
No. 9 Vol. II, 1971
by Kadhim Sa'adedin

We asked the man about clay preparation. He brings the clay adds water, filters it, mixes it with "tarraish" i.e. winged seeds of reeds, and adds a little sand and salt to it. This is left for two or three days wrapped in a wet sash for ageing and sends them into the kiln.

"How did it come into the minds of this group of potters to make the mermaid or the elephant which are not of the creatures of this area?" we asked the potter.

"I don't know, but I found my father doing so. I imitated him, so does my son.." but without skill.

We asked him to talk about his grandfather, for this talk might reveal something about the rise of this unique craft in Tozkhormato and Kifri near it. He could say nothing more than that his grandfathers were doing the same thing. He said that one of his relatives went to Ottoman Turkey during the First World War, but the craft had been the profession of his family before that man travelled abroad. The original models are still not modified since long ago, but the potter, nowadays, looks at illustrations of clay pots and imitates them with some modific-ation.

Looking at his face and seeing his features like those of Mongols, I remembered seeing some pots like these here in the Museum. I was about to tell him, "You may be of Mongol descent", but I held my tongue.

"Are the models of Kifri different from yours in Tozkhor-mato ?" we asked the man.

"They are nearlyy the same . Our relative who used to work in Kifri has already joined us."

"What about the water ?"

"We have a river, the Aq Su or the White River, which runs in winter, but ceases during the summer, so we go to wells."

"How many pieces a year do you make ?"

"A thousand at least."

TOZKHORMATO POTTERY SCHOOL

by

Dr. Akram Fadhil

Leaving Baghdad, on the way to Kirkuk, and travelling 180 Km, you will arrive at Tozkhormato, a village whose population is about 8000 ; the majority of them are Turkomans and the rest are Arabs and Kurds. They are either farmers, shepherds, traders ,weavers, or potters.

When you go through the main street of the village between two rows of coffee-shops on both sides of the street, you will be attracted by clay pots such as jars, pitchers, ewers, tame and wild beasts, real and imaginary, namely birds elephants and other forms which are unnameable. When you complain the paints of these pots which you like to be unpainted, the sellers tell you that you can purchase these pots unpainted downtown, but you will find lots of painted ones there. Here they will lead you to the Kilns.

On the outkirts of the village, you will see a house whose door is remarkable queer for its being ungeometric, whose outer wall are queerer for being exceptionally crooked. Then you enter to be told, "This is the Kiln." It is a small room for baking the clay pieces. Every thing round you is made of baked clay: pots, bowls, the walls and even the pup is tied to a piece of pottery, its food in a baked pot, its water in another kind of pot.

If you go into the store of pots, you will find uncountable number of jars: some can be filled from underside part, others have holes on their outer side; you wonder how they can hold water, but you are told that their is an inner wall inside. There are lions, elephants and monsters with the head of a man and the tail of a fish. You will see sheep, deer and animals which might have been extinct, or they might not be seen in nature, but created by man's wonderful mind.

We asked the potter to make a form for us to see how it is made. He sat on a mud-built bench at a wheel which he turns with his feet while he turns a piece of clay paste that he cut with a thing like a knife. He put it a side, when it was finished, to dry, then to go to be baked into the kiln and sold afterwards.

IN THIS ISSUE | Page



AL-TURATH AL-SHA'BI

Monthly Magazine Issued by

THE MINISTRY OF CULTURE AND ARTS

Republic of Iraq

No. 5 Vol. IX 1978

Editor-in-Chief
LUTFI AL-KHOURI

Editing Secretary
SA'DI YOUSUF

Correspondence should be
addressed to the :
Editor-in-Chief

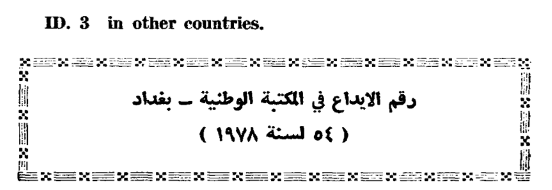
Subscription for one year :

ID. 1½ In Iraq.

ID. 1 for students.

ID. 2 in Arab States

ID. 3 in other countries.



Al-Hurriya House for Printing

Baghdad

1978

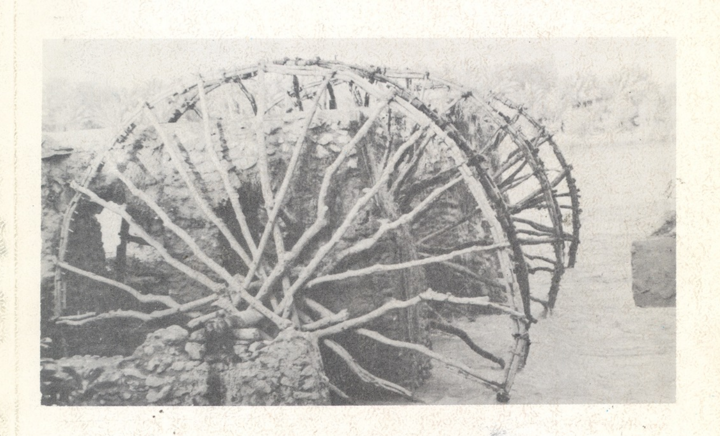


ALTURATH ALSHA'BI

Monthly Magazine Issued by

THE MINISTRY OF CULTURE AND ARTS

No 5 Vol. IX 1978



سعر المجلة في الاقطار العربية

ليبيا	١٠٠ فلس
لبنان	١٫٥ ل.ل
تونس	٢٠٠ فلس
البحرين	٢٥٠ فلسا
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٥٠ مليما

100 Fils

١٠٠ فلس

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة - بغداد